من روائع الأدب الفارسى

دكتـور
بديع محمد جمعـه

إهــداء

إلى جيل الرواد الذين بذلوا المزيد من الجهد لتعريف القارىء العربي بكنوز الأدب الفارسي ، أهدي هذا الكتاب ، معاهداً إياهم على مواصلة الرسالة ، حتّى تعود الصلة بين الأدبين العربي والفارسي إلى سابق ازدهارها .

بديع جمعة

تمهيد

من يتصفح الأدب الإيراني قديمه وحديثه ، يجده زاخراً بالعديد من الأعمال الشامخة التي تقف مرفوعة الهامة أمام روائع الآداب العالمية ، وإذا كانت الفرصة لم تسنح بصورة كافية للقارىء العربي لكي يطلع على هذه الكنوز الزاخرة ، فهذا مرجعه إلى تركيز مثقفينا على التوجه بأبصارهم صوب مغرب الأرض تاريخاً وحضارة وفكراً ، ولو اهتم بعض هؤلاء المثقفين بتوجيه جزء من جهدهم صوب مشرق الأرض لوجدوا الشرق غنياً بكنوزه الفكرية وبإبداعه الفني الذي يقف شامخ الرأس أمام تراث الغرب الفكري ، بل سيكتشفون أن كثيراً مما يفاخر به الغرب الآن مرجعه إلى الشرق .

وإنني وأنا أقدم هذا الكتاب إلى المكتبة العربية آمل أن يدرك القارىء العربي من خلاله ، أن الأدب الفارسي — مثاله في ذلك مثال بقية الآداب الشرقية — زاخر بالعديد من الروائع الفكرية التي تمتع القارىء وتوسع دائرة ثقافته .

وإذا كنت سأتحدث في هذا الكتاب عن بعض روائع الأدب الفارسي ، فليس معنى هذا أن الأدب الفارسي ليس فيه من الروائع غير ما أذكر ، بل إنني — أملاً في ألا أثقل على القارىء — اكتفيت بالتعريف بعدد محدود جداً من هذه الروائع ، كما جاء التعريف مقتضباً ، إذ أن كل عمل من هذه الروائع جدير بدراسة جادة مستقلة تقع في عدة مجلدات كما هو الحال بالنسبة لشاهنامة

الفردوسي ، ورباعيات الخيام ، ومثنوى جلال الدين الرومي ، وأدب سعدي الشيرازي ، وغير ذلك من الروائع التي سيضمها هذا الكتاب .

وقد توخيت في دراسة هذه الروائع أن أعرف بالعمل الأدبي وبمؤلفه وبإيراد نص فارسي منه ، حتى يستطيع القارىء العربي الذي يجيد اللغة الفارسية التعرف على أسلوب العمل الأدبي والطريقة التي يعرض بها المؤلف أفكاره ، ولعله يحاول قراءة العمل الأدبي كله ، وبعد ذلك أورد ترجمة عربية لكل نص فارسي ، ليكون في مقدور القارىء العربي الذي لا يجيد اللغة الفارسية الاطلاع على نموذج من هذا العمل الأدبي الرائع .

كما حاولت أن تكون الأعمال الأدبية التي أعرف بها ذات اتجاهات متعددة ، فبعضها في التاريخ ، وبعضها في أدب الرحلات والبعض في التصوف ، كما أن بعض هذه الروائع كتبت نثراً والبعض الآخر نظمت شعراً ، وقد حرصت على إيراد كل هذه الاتجاهات حتى يستطيع القارىء العربي الاطلاع على جزء من التراث الأدبي الفارسي في زواياه المختلفة .

وإذا كنت أقدم هذا الكتاب للقارىء العربي ، فإنني حرصت كذلك على الإشارة إلى بعض مظاهر الاتصال بين هذه الروائع الأدبية وما تمثله من فكر إيراني وبين الفكر العربي ، لعل القارىء العربي يدرك كم كانت الصلات وطيدة بين الأدبين العربي والفارسي في عصورهما المختلفة ، وربما يحاول البعض العودة إلى ترسيخ وتوطيد هذه العلاقات مرة أخرى .

وأخيراً أتمنى أن أكون قد وفقت في تقديم هذه الروائع الأدبية للقارىء العربي ، لعل جيلاً جديداً من المثقفين يقبل على قراءة الأدب الفارسي ويدعم الصلات التاريخية بين الأدبين العربي والفارسي من جديد .

والله ولي التوفيق ،

بديع جمعة

القسم الأول

من روائع النثر الفارسي

تاریخ طبری

تاريخ طبرى

كتاب تاريخ طبرى هو الترجمة الفارسية للكتاب العربي (تاريخ الرسل والملوك) تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري [1] الذي عاش في القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث ولد في عام ٢٢٤ هـ بمدينة آمل بمازندران وذلك بمنطقة طبرستان التي نسب إليها ، فعرف باسم الطبري [2] ، وقد عاش فترات من حياته متنقلاً بين الري وبغداد وواسط والبصرة ، حيث كان يجتمع إلى أهل العلم والفضل يستمع إليهم ويأخذ عنهم ، ولكي يستزيد من منابع العلم سافر كذلك إلى كل من الشام ومصر [3] ، والتقى بالعلماء في البلدين ، ثم عاد بعد ذلك في عام ٢٩٠ هـ إلى مسقط رأسه في آمل حيث قضى بها حقبة من الزمن ، ثم توجه إلى بغداد حيث عاش بقية حياته إلى أن وافته المنية في عام ٣١٠ هـ [4] .

وكان الطبري أستاذاً في علوم التفسير وقراءة القرآن ، وفي علوم الحديث والفقه واللغة والنحو والمنطق ، وعلوم الأدب والشعر ، وقد خلف وراءه

---

(١) كريم كشاورز : هزارسال نثر پارسى ج ١ ص : ٩٧ .
(٢) دكتر زهراى خانلرى : فرهنگ ادبيات فارسى درى ص : ٣٢٥ .
(٣) هزارسال نثر پارسى ج ١ ص : ٩٦ .
(٤) المرجع السابق ، ونفس الصفحة

تأليفات في معظم هذه الفروع ، ومن هذه المؤلفات ، جامع البيان في تفسير القرآن ، وهو ما يعرف باسم التفسير الكبير ، وكتاب اختلاف الفقهاء [1] ، ولكن أهم كتبه على الإطلاق ذلك الكتاب الذي نحن بصدده ، وأعني به كتاب تاريخ الرسل والملوك الذي يقع في اثني عشر مجلدا ، والذي شمل وقائع العالم منذ العصور الأسطورية وحتى عام ٣٠٢ هـ [2] ، وقد تناول الطبري الأحداث حسب سنوات حدوثها ، لا حسب الأقوام الذين شاركوا فيها ، وكان حريصاً على رواية عدد من الروايات في كل حادثة أو واقعة يعرف لها ، محاولاً إسناد كل رواية إلى الثقاة من الرواة حتى يكون كتابه موضع ثقة من القارئين ، ولذا أصبح كتابه حتى اليوم موضع ثقة ، ويأخذ معظم المؤرخين قوله حجة في كثير من الوقائع التي عرضها في هذا الكتاب القيم .

أما قصة ترجمته إلى اللغة الفارسية ، فتتلخص في أن الأمير نوح بن منصور الساماني أصدر أمراً لوزيره الفاضل أبي علي بن محمد بن عبد الله البلعمي لكي ينقل هذا الكتاب القيم إلى اللغة الفارسية ، فامتثل الوزير العالم لهذا الأمر وأنجز العمل ، وهو يقول في مقدمة الترجمة :

... لقد أقبلت على الترجمة امتثالاً لأوامر الأمير نوح بن منصور الساماني ، وقد وجدته خالياً من أي نقص ، ووجدت فيه علوماً كثيرة وآراءً سديدة وآيات قرآنية عديدة ، وأشعاراً عذبة ، ولكثرة ما به من فوائد تجشمت الصعاب وأجهدت نفسي لكي أنقله بتوفيق من الله عز وجل إلى اللغة الفارسية ....

ونظراً لأن المترجم كان شخصية عامة (كان وزيراً للأمير نوح الساماني) فقد عُرف الكتاب في إيران أولاً مقروناً باسمه (تاريخ بلعمي) [3] ، ولكن هذا الاسم اندثر وأصبح يعرف باسم (تاريخ طبرى) نسبة إلى المؤلف الأصلي

---

(١) فرهنگ ادبيات فارسى درى، ص : ٣٢٥ .
(٢) المرجع السابق ص : ١١٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص : ١١٦ .

وليس المترجم ، ولعل هذا الاسم هو الأكثر ذيوعاً وانتشاراً كذلك في الأصل العربي الآن .

وقد ادعى المترجم بأنه توخى ترجمة الكتاب كاملاً إلى اللغة الفارسية ، ولكن يلاحظ على الترجمة الفارسية بأن المترجم كان يغفل نقل أسماء الرواة الذين كانت تسند إليهم الروايــات المختلفة كما ورد في الأصل العربي ، تحرز المترجم كذلك من ذكر كل الروايات المختلفة التي وردت بالأصل العربي حول حادثة بعينها ، إذ كان يكتفي بذكر رواية واحدة يعتقد أنها الرواية الصحيحة من بين الروايات العديدة الواردة في الأصل [1] .

وترجع أهمية كتاب تاريخ طبرى في رأيي إلى نقاط عدة أهمها :

١ ـ أن الكتاب سواء في أصله العربي أو ترجمته الفارسية يعد مرجعاً هاماً في التاريخ القديم ، وما زال حتى اليوم موضع ثقة جميع المؤرخين ومثله في ذلك مثل تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) .

٢ ـ نظراً لكون المؤرخ فارسي الأصل فقد أفرد أهمية خاصة لتاريخ إيران الأسطوري والحقيقي ، مما يجعله من الرواة الذين كتبوا في هذا المجال باللغة العربية ، حتى يعرف العرب بمجد قومه وحضارتهم ، ولعل هذا ما دفع الأمير نوح بن منصور الساماني إلى اصدار الأمر بترجمته إلى اللغة الفارسية ليكون هذا التاريخ وتلك الأمجاد والمفاخر متاحة للإيراني الذي لا يعرف اللغة العربية معرفة جيدة حتى يتعرف على تاريخ أجداده وآبائه ، وبخاصة أن الدولة السامانية تعد من الدول الرائدة في إحياء القومية الإيرانية ، وليس هناك من وسيلة لهذا الإحياء أكثر أهمية من أن يعرف المواطن الإيراني تاريخ شعبه وأمجاده ويحاول السير قدماً ليعيد هذه الأمجاد . ولذا نجد أن الترجمة الفارسية قد طبعت عدة مرات في إيران ، كما قام الأستاذ الدكتور محمد جواد مشكور

---

(١) سبك شناسى ج ٢ ص : ٩ .

باستخراج كل ما ورد بالترجمة الفارسية عن تاريخ ايران ونشره في مجلد خاص ، وذلك في عام ١٩٦٨ م [١] .

٣ – على الرغم من أن المؤلف الأصلي الإمام محمد بن جرير الطبري فارسي الأصل إلا أنه ألف كتابه باللغة العربية ولم يؤلفه باللغة الفارسية ، وذلك لأن لغة العلم والدواوين في القرنين الثالث والرابع الهجريين – وقتما كان يعيش المؤلف – كانت اللغة العربية ، وعلى هذا فإن المؤلف إذا أراد لعمله ذيوعاً وانتشاراً كان لزاماً عليه أن يكتب باللغة العربية السائدة بين جميع الأمصار الإسلامية العربية منها وغير العربية ، أضف إلى ذلك أن اللغة الفارسية كانت قد اندثرت تقريباً في هذه الحقبة التاريخية ولم تعد تستعمل كلغة أدب أو بلاط ، ولم يكن لها وجود إلا في بعض المناطق النائية البعيدة عن مراكز الحضارة والعلم والفنون . كما يفيدنا هذا أيضاً في ضرورة الاعتراف بالفضل لمثقفي ايران الذين شاركوا في إثراء المكتبة العربية بالعديد من الكتب سواء المؤلف منها أو المترجم كما سنعرف فيما بعد عندما نتناول بالحديث ترجمة كليلة ودمنة إلى اللغة العربية .

٤ – تتميز لغة الترجمة الفارسية بكثرة الألفاظ العربية التي استخدمها الوزير البلعمي ، ويبدو أن وقوعه تحت تأثير الأصل العربي جعله ينقل العديد من الألفاظ العربية إلى الترجمة الفارسية ، أضف إلى ذلك أن اللغة الفارسية في هذا الوقت المبكر كانت معتمدة في كثير من ألفاظها على المعجم العربي ، ولم تكن نشأت بعد الحركات المطالبة بتنقية اللغة الفارسية من اللغة العربية كما سنعرض لذلك في أثناء مناقشة شاهنامه الفردوسي في القسم الثاني من هذا الكتاب .

٥ – من سمات الأسلوب في الترجمة الفارسية أنه بُعد عن التكلف

---

(١) هزارسال نثرپارسى : ط ص : ٩٧ .

والصناعات اللفظية ويكاد يخلو من الأسجاع والإغراق في الجناس والمترادفات إلا في المقدمة أو في مواضع أخرى يسيرة ، ولكن ليست بصورة كبيرة ، مما يجعلنا نقول إنه تفوق على النماذج الأدبية الأخرى التي تنسب إلى الفترة التاريخية التي ألف فيها — القرن الرابع الهجري — في سهولة أسلوبه وسلاسة عباراته .

° ° °

گريختن پرويز از مدائن

(پرويز) برفت با ياران تا بسه روز از عراق بيرون شدند ، و روز و شب همی تاختند تا بحد شام برسيدند ، ايمن شدند ، و از دور صومعهٔ ديدند ، راهبی آنجا ، بدان صومعه شدند و فرود آمدند ، راهب لختی نان خشك را آورد و خود ايشانرا نشناخت،پس آن نان بآب تر كردند و بخوردند ، پرويز را خواب گرفت كه سه روز بود تا نخفته بود ، سر بر كنار (بندُوی) نهاد و بخفت ، و هركس همچنان بخفتند ، و (بهرام چوبين) بمداين اندر آمد. چون بشنيد كه (هرمز) را بكشتند تدبير وی تباه شد ، و پرسيد كه پرويز از كدام سوی شد؟ گفتند از سوی شام ، و همی بروم شود نزديك قيصر و ولايت او ، پس (بهرام سياوشان) را بخواند و چهار هزار مرد بوی داد · گفت از پس پرويز برو برين اسپان آسوده بتاختن ، و هر كجا او را بيابی با ياران باز گردان ، و پرويز با ياران اندر صومعهٔ راهب خفته بود ، آن راهب بانگ كرد كه چه خسپيد كه سپاه آمد! گفتند كجاست؟ گفت بر دو فرسنگ همی بينم. ايشان هم بر جای بنشست و پای بمردند و دانستند كه بطلب ايشان آمدند ، دل بمرگ بنهادند ، پرويز گفت چه كنيم؟ مشورتی بكنيد كه خداوند عقل را چون متحير شود هر چند كاری بزرگ برو آيد نا چار عقل باويست .

بندوی گفت : من یکی حیلت دانم کردن که ترا برهانم وخود اندر مانم وکشته شوم .

پرویز گفت : یا خال باشد که نشوی که جان بحکم خدایست واگر تو کشته شوی و من برَهَم ، ترا خود این فخر بس است تا جاودان ، و اگر تو برهی ترا این عزیش باشد .

بندوی گفت : همه جامهای شاهانه خویش بیرون کن و مرا ده ، و خود بایاران برنشین و برو ، و مرا با این لشکر بگذار ، پرویز جامهای شاهانه از تَن بیرون کرد و بندوی را داد همه از سر تا پای ، وخود با (بُسطام) و بایاران برفت

بندوی آن جامهٔ پرویز اندر پوشید ، و راهب را گفت : اگر این سخن بگوئی بکشمت ، راهب گفت هر چه خواهیءکن .

بندوی جامه ها را اندر پوشید زربفت ، و عصابه با گوهرها بر بست ، و بر بام صومعه بایستاد ، ودر صومعه ببست تا سپاه فراز رسید ، بنگریستند ، او را بدیدند با آن جامها و گوهرها که همی بتافت بآفتاب اندر چون چراغ ، شك نکردند که وی ملکست . سپاه گرد آن صومعه فرود آمدند ، پس بندوی از بام فرو شد و جامهٔ خویش اندر پوشید و بر بام آمد و بانگ کرد مر سپاه را که منم بندوی ، امیر تان را بگوئید تا ایدر فراز آید تا پیغامی از (کسری) بوی دهم که فرمانی همی فرماید ، بهرام سیاوشان از میان لشکر بیرون آمد ، و فراز صومعه شد . و بندوی او را سلام کرد و سلام

پرویز بداد ، گفتا کسری پرویز ترا سلام کند و همی گوید که الحمد لله که تو آمدی از پس ما . بهرام ، او را بشناخت ، بر وی سلام کرد و گفت : من رهی پرویزم .

بندوی گفت : پرویز ایدون همی گوید که امروز سه روز است تا من تازم وغمین شده ام ، ودانم که باتو بباید آمد ، و خویشتن را به قضای خدای سپردن ، اگر بینی یك امروز فرود آی تا شبانگاه ، تاما بیاسائیم ، و تونیز با مردمان خویش بیاسای چون شب اندر آید برویم .

بهرام سیاوشان گفت : نعمةً وکرامة ، کمترین چیزی که ملك پرویز از من در خواست اینست .

آنروز بگذشت ، چون آفتاب فــرو شد بندوی بسر دیوار صومعه بر آمد ، و بهرام را بخواند ؛ و گفت : پرویز همی ایدون گوید که تو امروز با ما نیکوئی کردی ، و صبر کردی تا شب اندر آمد و تاریك شد،و باید که امشب نیز صبر کنی تا بامداد بگاه برویم .

بهرام گفتا : روا باشد ، سپاه را بگرد صومعه اندر ، فراز آورد و چون سپیده دم بود ، بهرام سپاه بر نشاند ، وبندوی را آواز کرد که بباید رفتن .

بندوی گفت : اینك بیرون آید ، و همی بودند تا آفتاب فراخ بر آمد ، و خواست که نیم روز شود ، بهرام تنگ دلی کرد، بندوی در صومعه بگشاد و بیرون آمد ، و گفت ایذر منم تنها ، وپرویز

ازدی باز برفتــه است و همی تازند ، ومن خواستم تا شمارا یك شبانروز بدارم تا وی دور بشود ، اکنون اگر شما بر ابر وباد نشینید او را اندر نیابید ، و هر چه با من خواهید ، کنید !

بهرام سیاوشان متحیر بماند ، بندوی را بر گرفت و سوی بهرام برد ، بهرام او را گفت : یا فاسق ! آن نه بس بود که ملك هرمز را بکشتی که این حرام زاده را نیز از دست من برهانیدی ؟ من ترا کشتنی کنم پیش همه خلق تا از تو عبرت گیرند ، و لیکن آنگاه کنم که بسطام را و پرویز را گرفته باشم ، پس همه تان بیکجای بکشم !

بهرام ، بندوی را بدست بهرام سیاوشان اندر نهاذ وگفتا این رابزندان اندر همی دار ، بتنگ ترجائی ،تاخدای ، ایشان را بدست من باز آرد . بهرام سیاوشان بندوی رابدست خویش بخانه برد و آنجا باز داشتش و نیکو همی داشت ، بروز بخانه اندر داشتی و بشب با وی بمجلس شراب بنشستی و می خوردندی و تا روز حدیثها همی کردندی، بر اومید آنکه مگر روزی پرویز باز رسد و او را نیکو دارد .

پس چون ماهی چند بر آمد و بهرام بمملکت همی بود ، (هرمز) را پسری بود خُرد ، نام وی (شهریار) ، بهرام ملك خویش را دعوی نکرد ، گفت من این مُلك بر شهریار بن هرمز همی نگاهدارم ، تا وی بزرگ شود آنگاه بوی سپارم . پس چون سه چهار ماه بگذشت ، یك شب بندوی با بهرام سیاوشان شراب همی خوردند و حدیث کردند ، بندوی گفت : من بیقین دانم که این ملك بر بهرام نپاید، و راست نه ایستد ، که وی ستمکارست ونخوت بسیار گرفتست ، و خدای عز وجل داد پرویز از وی بستاند .

بهرام سیاوشان گفت : من نیز دانم آنکه تو دانی و خدای او را عقوبت کند ، و من اومیدوارم که اگر خدای مرا نیرو دهد تا آن کار بکنم (کذا) ...

بندوی گفت : چه نیت داری ؟

گفتا: نیت آن که روزی اندر میدان بایستم ببهانهٔ چوگان زدن، و چون بهرام بیرون آید از کوشك ، من او را بکشم ، وپرویز را باز آرم وبملك بنشانم.

بندوی گفت : پس این کار کی خواهی کردن ؟

گفت : هر گاه که وقت باشد وراه یابم .

گفتا : فردا وقتست .

گفتا: راست گوئی ، وبر این بنهادند که این کار فردا راست کنند.

دیگر روز بهرام سیاوشان بر خاست و زره اندر پوشید و بر زبر زرهِ صدرهٔ چوگانی اندر پوشید ، وچوگان بر گرفت که بمیدان شود .

بندوی گفت : اگر این کار بخواهی کردن نخست بند از من بر دار و اسب و سلاح بمن ده که من ترا بکار آیم ، اگرت کاری افتد .

بهرام بند از وی بر داشت و اسب و سلاح دادش ، و خود بر نشست و برفت با چوگان ، و بندوی بخانهٔ بهرام سیاوشان اندر همی بود .

خواهر زادهٔ بهرام چوبین زن بهرام سیاوشان بود ، این زن کس فرستاد سوی بهـرام چوبین که شویِ مـن امروز جامهٔ چوگان زدن اندر پوشید و با چوگان بیرون شد و بزیر صُدره اندر

زره دارد ، ندانم این چیست ؟ خویشتن را از وی بر حذر دار ..

بهرام چوبین بترسید ، پنداشت که بهرام سیاوشان با همه سپاه بیعت کردست بر کُشتن وی ، بر نشست و چوگان بدست گرفت و بر در میدان بایستاد ، و هر که بوی بر گذشت چوگانی بر پشت وی زدی نرم نرم ، با هیچکس زره نیافت ، دانست که این تدبیر وی تنها ساختست ، شمشیر بر میان داشت ، چون بهرام سیاوشان اندر آمد ، چوگانی بر پشت وی زد ، آواز زره آمد گفت : هی ! بمیدان و چوگان زدن زره چرا داری ؟ شمشیر بزد وسرش بینداخت !

چون خبر بهرام سیاوشان سوی بندوی شد که وی را کشتند ، بر اسب نشست و برفت و بآذربایگان شد ، و بهرام دیگر روز بندوی را طلب کرد ، گفتند بگریخت ، بهرام دریغ بسیار خورد بناکشتن او .

• • •

تقديم :

اضطربت الأحوال في الدولة الساسانية منذ أواخر القرن السادس الميلادي وحتى سقوطها بعد بعث الرسول الكريم وفي أيام حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، مما جعل المجال سانحاً للفتن ، وفتك الأبناء بآبائهم ، وتطاول القواد على الملوك وأصبح هذا الاضطراب السياسي عاملاً مساعداً في تقويض دعائم الدولة الساسانية أمام زحف القوات الإسلامية ، وهذه الحادثة التي نتعرض لها بالترجمة تصور لنا بعض هذا التطاحن حول الظفر بالملك والعرش :

فقد كان يحكم إيران إبان تلك الفترة الملك هرمز بن كسرى ويعاونه في ذلك قائده بهرام جوبين ، ولكن حدث خلاف بينهما بعد فترة ، مما دفع بهرام جوبين لترك العاصمة (المدائن) بعض الوقت ، فانتهز بعض أعداء الملك هذه الفرصة ، وثاروا عليه ، وكان على رأس الثائرين أخوان يدعوان « بندوى » و « ندوى » وتم لهما القبض على الملك هرمز وزجا به في السجن ، وأجلسا مكانه على عرش إيران ابنه خسرو الثاني الذي لقب بعد ذلك باسم برويز وكان ذلك عام ٥٩٠م . ثم أقدما على قتل هرمز بعد أن استتب الحكم لابنه برويز .

عندما علم بهرام جوبين بما حدث ، أسرع صوب المدائن العاصمة لينتقم من قتلة الملك هرمز ، ولكن برويز ومعاونيه وبخاصة بندوى سارعوا بالهرب صوب الشام ، وكانوا يقصدون اللجوء إلى بلاد الروم طلباً للحماية لدى ملك الروم ويدعى « موريكيوس » . وقد تم لبرويز ما أراد – كما سنعرف من الترجمة – وتمكن من الذهاب إلى ملك الروم الذي ساعده بعد ذلك على العودة إلى الحكم في إيران بعد عام واحد من هروبه ، وذلك بعد أن تم القضاء على بهرام جوبين (٥٩١م) .

ومع ذلك لم يستتب الأمر في إيران ، وظلت الاضطرابات تتوالى ، والفتن تتعاقب إلى أن دكت سنابك خيول المسلمين حدود الدولة الساسانية ، وقضوا على عروش الظلم والفتن والمؤامرات هناك ، وحظيت بعد ذلك إيران بفترة هدوء بعد أن نعمت بدخول الإسلام إلى تلك الديار .

★ ★ ★

هروب برويز من المدائن

سار برويز مع مرافقيه ثلاثة أيام متتالية ، كانوا خلالها يسارعون الخطى صباح مساء حتى خرجوا من العراق ووصلوا إلى مشارف الشام ، وهناك شعروا بالطمأنينة والأمان . ثم رأوا من بعيد صومعة بها أحد الرهبان ، فتوجهوا إلى تلك الصومعة ، ونزلوا بها . وضع الراهب أمامهم – دون أن يعرف من هم – خبزاً جافاً بلا إدام ؛ فبللوا الخبز بالماء وطعموه . ثم استسلم برويز إلى النوم حيث عدمه طوال الأيام الثلاثة الماضية ، نام واضعاً رأسه بجوار بندوى ، وكما نام هو ، نام الجميع كذلك ..

أما عن بهرام جوبين فقد دخل المدائن ، وعندما سمع أن هرمز قد قُتل ، تملكه الاضطراب وشل تفكيره لفترة ، ثم سأل قائلاً : إلى أين مضى برويز ؟ قالوا : اتجه صوب الشام ، وسيمضي إلى بلاد الروم لدى القيصر ودولته .

استدعى (بهرام جوبين) بهرام سياوشان ، وأمده بأربعة آلاف رجل ، وقال له : امض في إثر برويز . وسارع الخطى خلفه بأولئك الفرسان الأشداء ، وحيثما تجده ، أعده مع مرافقيه !

كان برويز قد نام مع مرافقيه في صومعة الراهب ، وإذا بالراهب يصيح قائلاً : « كيف تنامون وقد أقبل الجيش ؟ » قالوا : « أين هو ؟ » قال : « إنني أراه على بُعد فرسخين » . وقفوا أماكنهم مشدوهين ودون حراك حيث أدركوا أنهم جاءوا في طلبهم ، وهنا تسرب الشعور بالموت

إلى قلوبهم ، ثم قال برويز : ما العمل ؟ أشيروا علينا ، فعندما تسيطر الحيرة على العقل يصبح أي أمر ولو كان تافهاً غاية في العظم ، وها قد فقد العقل كل حيلة وتصرف !

قال بندوى : إن لدي حيلة مُفادها العمل على حريتك وخلاصك ، ثم بقائي أنا هنا لكي أقتل !

قال برويز : أيها الخال ، لا يصح ذلك ، فأمر الروح مرهون بإرادة الله ، وإن تُقتل أنت وأتحرر أنا ، فكفاك هذا من فخر حتى تضمن الخلود والذكرى العطرة ، أما إذا تم لك الخلاص ، فسيكون ذلك مصدر سعادة لك !

قال بندوى : انزع عنك كل ملابس الملك ، وأعطني إياها ، ثم اركب الجياد مع مرافقيك وامض بعيداً عن هنا ، واتركني لهـذا الجيش . فخلع برويز ملابسه الملكية وأسلمها جميعها إلى بندوى ، ثم سارع بالمضي مع بسطام ومرافقيه .

لبس بندوى ملابس برويز ، وقال للراهب : إن تفش سر هذا الحديث قتلتك ! قال الراهب : افعل ما تريد!

ارتدى بندوى الأردية الموشاة بالذهب ، ووضع العمامة المرصعة بالجواهر ثم وقف على سقف الصومعة ، وقد أغلق بابها حتى وصلت قوات الجيش ورأوه . وعندما وجدوه مرتدياً تلك الملابس والجواهر التي تبرق تحت أشعة الشمس وكأنها ثريات ، لم يتطرق إليهم الشك في أن يكون غير الملك ! فحاصر الجيش الصومعة .

نزل بندوى من على سقف الصومعة وارتدى ملابسه الحقيقية ، ثم صعد إلى السقف مرة أخرى ، وصاح موجهاً الحديث إلى الجيش ،وقال: إنني بندوى ، قولوا لقائدكم أن يصعد إلى حيث أقف، حتى أسلمه رسالة من كسرى الذي كلفني بذلك .

خرج بهرام سياوشان من بين الجند ، وصعد إلى الصومعة ، فقرأه بندوى السلام، كما أبلغه تحيات برويز حيث قال له : إن كسرى برويز يقرؤك السلام إذ يقول : «حمداً لله أنك أتيت في أعقابنا» .

عرفه بهرام ، وقرأه السلام ، وقال : إنني في عون برويز !

قال بندوى : يقول برويز : لقد مضت حتى الآن ثلاثة أيام وأنا أواصل الفرار وأتحمل الهموم ، وأدرك أنه لا بد من الرحيل معك ، وقد أسلمنا أمرنا إلى القضاء ، فإن توافق على الانتظار اليوم حتى المساء لكي نستريح نحن ، وكذلك تستريح أنت ورجالك ، فإننا نمضي في معيتكم عندما يحل المساء .

قال بهرام سياوشان : نعمةً وكرامة ، إن هذا أقل شيء يمكن أن يطالبني به الملك برويز .

انقضى ذلك اليوم ، وعندما غابت الشمس ،صعد بندوى إلى أعلى الصومعة ، ونادى بهرام ، قائلاً : هكذا يقول برويز : لقد فعلت معنا اليوم الخير كل الخير ، وصبرت حتى حل المساء وعم الظلام ، وكم يجمل أن تصبر كذلك حتى يحل الفجر ، وحينئذ نرحل سوياً .

قال بهرام : موافق ، ثم أمر الجيش بمحاصرة الصومعة جيداً .

عندما انبلج الصبح ركب بهرام فرسه ، ونادى بندوى بصوت مرتفع قائلاً : الآن وجب الرحيل !

قال بندوى : هل جاء وقت الخروج ؟ لننتظر حتّى ترتفع الشمس ! وطلب مهلة حتّى منتصف النهار . فتملك الغضب قلب بهرام . ثم فتح بندوى باب الصومعة ، وخرج قائلاً : ها أنذا وحيد هنا ، لقد مضى برويز منذ الأمس وتمكن من الهرب . وقد أردت استبقاءكم هنا نهاراً وليلة حتّى يبتعد تماماً . والآن حتّى ولو ركبتم السحاب والرياح ، فلن تلحقوا به ، ولكم أن تفعلوا بي ما تريدون !

تملكت الحيرة بهرام سياوشان ، ثم ألقى القبض على بندوى ، ومضى به صوب بهرام (جوبين)، الذي قال له (لبندوي) : ألم يكفك أنك قتلت الملك هرمز ، حتّى تخلص ابن الحرام هذا من قبضتي ؟ سأقتلك أمام الجميع كي تكون عبرة للكل ، ولكنني سأرجئ فعل ذلك حتّى ألقي القبض على بسطام وبرويز ، كي أقتلكم جميعاً في مكان واحد !!

ثم أسلم بهرام (جوبين) أمر بندوى إلى بهرام سياوشان ، وقال له : زُجّ به في سجن غاية في الضيق ، حتّى يمكّنني الله منهم جميعاً . أخذ بهرام سياوشان بندوي معه إلى داره،وتحفظ عليه جيداً،فكان يبقيه في المنزل نهاراً ، ويجلس معه في مجلس الشراب ليلاً ، يحتسيان الخمر ويتسامران حتّى الصباح ، فربما يعود برويز ذات يوم ، فيحسن معه صنعاً !

انقضت عدة أشهر ظل بهرام (جوبين) محتفظاً خلالها بالملك ،

ولكن عندما ظهر أن هرمز ولداً صغيراً اسمه شهريار ، لم يدّع بهرام الملك لنفسه ، بل قال : إنني أرعى هذا المُلك لشهريار بن هرمز حتى يكبر ، فأسلمه إياه . وبعد أن انقضت ثلاثة أشهر أو أربعة ، وكان بندوى خلالها يشارك بهرام سياوشان الشراب والمنادمة ، قال بندوى : إنني على يقين بأن هذا المُلك لن يدوم أبداً لبهرام ولن يستقيم أمره ؛ لأنه ظالم عظيم الادعاء ، وسيقتص الله عز وجل منه جزاء ما فعله مع برويز !

قال بهرام سياوشان : إنني أدرك ما أنت مدركٌ ، وإن الله سيعاقبه . وكم آمل أن يمنحني الله القدرة كي أقوم بهذه المهمة !

قال بندوى : علام النية ؟

قال : لقد عزمت على أن أذهب ذات يوم إلى الميدان كي ألعب الصولجان ، وعندما يخرج بهرام من خيمته أسارع بقتله ، ثم أعيد برويز وأنصبه ملكاً مرة أخرى !

قال بندوى : ولكن متى تقدم على هذه الفعلة ؟

قال : حينما يحين الوقت وأجد الفرصة .

قال له : ليكن ذلك في الغد !

قال : صدقت ، واتفقا على تنفيذ ذلك في الغد !

وفي اليوم التالي نهض بهرام سياوشان ، وارتدى درعه ، ثم لبس فوقه ملابس لعبة الصولجان ، وأمسك بالصولجان ، وتوجه صوب الميدان .

قال له بندوى : إن كنت قد عزمت على تنفيذ هذه المهمة ، ففك وثاقي أولاً ، ثم أعطني سلاحاً وفرساً حتى أكون في عونك إن احتجت إلى ذلك .

فك بهرام وثاقه ، وأعطاه سلاحاً وفرساً ، ثم ركب (بهرام سياوشان) فرسه وتوجه صوب الميدان ، في حين بقي بندوى في دار بهرام سياوشان .

كانت زوجة بهرام سياوشان ابنة أخت بهرام جوبين ،لذا أرسلت شخصاً صوب بهرام جوبين تخبره بأن : زوجي قد ارتدى ملابس الصولجان وخرج صوب الميدان ، ولكنه لبس درعه تحت ملابس الصولجان ، لا أعلم لماذا فعل ذلك ؟ لذا أحذرك منه .

توجس بهرام جوبين خوفاً منه ، وظن أن بهرام سياوشان قد بايعه الجند جميعاً على قتله وتنصيبه مكانه . فركب (بهرام جوبين) فرسه وأمسك بالصولجان في يده ، ثم وقف على باب الميدان ، وكان يقرع بالصولجان ظهر كل من يمر به . فلم يجد أحداً قد ارتدى درعه . فأدرك أن هذا الأمر من تدبير (بهرام سياوشان) وحده . وكان يتمنطق بسيفه ، وعندما جاء بهرام سياوشان إلى الميدان قرع ظهره بالصولجان فسمع صوت الدرع ، فقال له : لماذا تلبس درعك ، وأنت متجه صوب ميدان الصولجان ؟ وبسرعة ضرب رأسه بالسيف ، فأطاح بها .

عندما وصل خبر بهرام سياوشان إلى بندوى ، وعلم أنه قتل ، امتطى الجواد وسارع بالفرار ، حيث توجه صوب آذربايجان . وفي اليوم التالي طلب بهرام (جوبين) بندوى ، فقالوا له : لقد هرب !

وهنا تملكت الحسرة البالغة بهرام لأنه لم يقدم على قتله من قبل !



إذا كان الطبري تحدث في النص الأول عن بعض الأحداث التاريخية خلال حكم الدولة الساسانية ، ففي النص الثاني نراه يتحدث عن الفتح الإسلامي لإيران ، خلال حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وتركز حديثه في هذا النص على الحروب في منطقة فارس مع الإشارة إلى أسماء عدد من القواد المسلمين الذين شاركوا في هذا الفتح ، وكذلك الإشارة إلى ما يتصف به الخليفة عمر من كياسة حربية ، وما كان يتمتع به كذلك من زهد وتقشف .

فتح شهرهای فارس [1]

چون سال بیست وسیم ازهجرت شد . دراول سال اوراخبر آمد . که شهرك ملك فارس سپاه بسیار جمع کرده است بتوج . وتوج بفارسی توزاست . وآن جامهٔ توزی از آنجا آورند ؛ وآن بکرانهٔ پارس است ، بجانب اهواز . وسپاه اهواز وعجم همه جمع شدند . عمر چون سپاه را بفرستاد . کسی را سپهسالار نکرد . ولیکن هرسرهنگی را برشهری امیر کرد وگفت : سپاه فارس بیك جای گرد آمدند . وتدبیر حرب میکنند ، وشما چون بفارس شوید . آنجا که ایشانند . مروید . تا ایشان را تدبیر شکسته شود . پس هر کسی با آن سپاه وی که بشهری آیند ، حرب کنند . وشهر توج را بمجاشع ابن الثقفی داد وشاپور واصطخررا بعثمان ابن ابو

---

(١) يعني بكلمة فارس هنا الاقليم الجنوبي الغربي من إيران وحاضرته الآن شيراز ، حيث تم فتح هذا الإقليم بعد سقوط العاصمة الإيرانية وهي المدائن في ذلك الوقت .

العاص داد وشیراز را به حکم بن العاص برادر او وپسا ودارگرد رابسارية ابن وهم الربلی داد. امیران که گفته آمد باسپاه برفتند. شهرك باهمه سپاه فارس بتوج جمع شده بودند پراکنده شدند؛ وتدبیرهای ایشان بشکست، واین کار برابر بهزیمتی بود. مجاشع حاکم توج وپشاور بشیراز آمدند، وجمعی سپاه درتوج مانده بود. مجاشع باسپاه خویش تاختن برد، وآن سپاه رابکشت، واموال آن دیار غنیمت نمود. ومجاشع برادر بوعبيدة بن مسعود بود. که حرب وقعت الجسر بود؛ در زیر پای فیل سفید کشته شد. واو پدر مختار بود، وآن شهر های فارس؛ اصطخر وتوج گشاده بود...

پس مجاشع توج رابگشاد؛ واموال آن برمسلمانان قسمت نمود، وخمس آنرا بخلیفه زمان فرستاد بافتح نامه. وعثمان بن ابو العاص با سپاه خویش باصطخرشد. وسپاه اصطخر پیش وی آمد. شهری نام وی کرد، وبتازی جورخوانند. واین آن شهریست که گلاب جوری از آنجا آورند. عثمان با ایشان حرب کرد. وایشانرا هزیمت نمود، وبدر اصطخر آمد. وشهر بحصار گرفت، وبا ایشان حرب کرد، وشهر بگشاد؛ وخبر فتح با غنیمت بخلیفه فرستاد. وحکم بن العاص برادر عثمان روی بشیراز نهاد. شهرك با سپاه بسیار از توج پیش باز او آمد، همه سلاح؛ چنانکه جز چشمشان هیچ جا برهنه نبود. وبا حکم نیزسپاه بسیاربود. پیران و وجوه عرب مهتران ومبارزان پیش آمدند. چون عبد الله معمر التمیمی وشبل بن معبد البجلی وجارود العهدی وابی مهلب ابو صفره باسپاه شهرك برابرشدند.

چون آفتاب برایشان تافت ، روشنی برلشکر مسلمانان افتاد . چشمها از آن روشنی می سوخت . چون لحظهٔ حرب نمودند ، لشکر شهرك روبهزیمت نهادند ، ومسلمانان کشتن بسیار کردند ، حکم بدست خویش شهرك وپسرش را بکشت ، مردی از عجم با شهرك بود نام او اردانیان ، اوبا خیل خویش بزینهار حکم آمد . وسپاه شهرك به هزیمت شدند . حکم غنیمت بسیاریافت ، وبرمسلمانان قسمت نمود ، وخبر فتح وغنیمت بعمر بن الخطاب فرستاد . وساریه سوی پسا وداراجرد شد ، ایشان در حصار شدند ، ومسلمانان مدت سه ماه بردر حصار ماندند ؛ اهل حصار از عجمان یاری خواستند . جمعی از اطراف وجوانب آمدند ؛ واهل حصار نیز بیرون آمده با یکدیگر ملحق شدند وبا مسلمانان جنگ کردند واز لشکر اسلام بسیاری کشته شد ، روز آدینه بود ، وقت نمازوحرب برپیاده دشت بود ؛ وبنزدیك لشکر مسلمانان کوهی بود بزرگ ، کافران از گرد مسلمانان در آمدند وکشتن میکردند وکار برمسلمانان تنگ شده بود ؛ وبیم هزیمت بود . ساریه ومسلمانان حرب میکردند . آواز عمر شنیدند ، چنانکه میگفت : یا ساریه ، الجبل ، الجبل ! میگوید : ای ساریه کوه گیر ! ساریه لشکرراگفت : من آواز عمر شنیدم ومی شنوم ! ولیکن آواز عمر نشاید بودن ؛ چراکه میان ما وعمر چند روزه راهست . پس ساریه پشت بکوه داد آنشب ایمن شدند . پس دیگرروز حرب کردند ، وظفر یافتند .

بعد از سه ماه‌که بردر حصار بودند عمر خبرایشان شنیده بود ، ودلش مشغول بود : آنشب آدینه بخواب چنان دیدکه : ایشان حرب میکردند ،

وچون حرب ببود مال بسیار یافت . وخبر فتح ساریه بعمر – رضي الله عنه – فرستاد . ودر میان آن اموال سفطی بود پر از گوهر آنچنان به جنس، آن را بسوی عمر فرستاد چون رسول بیامد ، عمر در مسجد بود وخوان نهاده ، مردم را نان میداد . وعمرهر روزی از بیت المال شتری بکشتی ، ودر مسجد بمردم طعام دادی بتخصیص – بدرویشان وفقیران وغریبان وره گذریان . این رسول بیامد ودرپیش عمر بایستاد . عمر پنداشت که او غریب است ، وبطلب طعام آمده است . او راگفت : بنشین وچیزی بخورو خود بمردم طعام میداد . اما نمیخورد وطعام با عیال خویش خوردی .

پس چون مردمان طعام بخوردند ، بخانهٔ خود رفت . وآن رسول از عقب او میرفت . اوراگفت : در آی ، آن مرد درون شد . عمر بنشست ، طعام طلب نمود ، وزن او ام کلثوم دخترامیر المؤمنین علی کرم الله وجه زن او بود . طشتی نان جووقدری روغن زیت واندك نمك درشت پیش آورد . عمر اوراگفت : چون چیزی نپختی ؟ گفتا : چون تردد طبخ کنم که مرا جامه نیست که بپوشم ، وجامه ام کلثوم دریده بود ؛ عمر با او مزاح کردکه ترا جامه بچه کارآید ، ترا همان بس که دختر علی بن أبی طالب علیه السلام باشی وزن عمر . بعد از آن عمر رسول راگفت : بسم الله طعام بخورکه اگر ام کلثوم از ما خوشنود بودی ، طعام ما برترتیب بودی . پس چون طعام بخوردند ، آن مرد دانست که عمراورا نمیشناسد . گفت : یا عمر من رسول ساریه ام بخبر فتح وغنیمت وخمس . عمر گفت : الحمد لله وروی بدو نهاد ، واز هر جای ازوی پرسید واو میگفت . پس آن

سفط پیش خلیفه نهاد ، عمر گفت : این را بنزد ساریه باز بر واو راگوی ، این را برمسلمانان قسمت کن ، که باتو در حرب بوده اند که برایشان واجب است . پس آن مرد ازخانه بیرون آمد ومتوجه خدمت ساریه شد .

(الترجمة العربية)

فتح مدن فارس :

... ما أن هلّ العام الثالث والعشرون من الهجرة حتّى نما إلى علمه في بداية هذا العام أن شهرك ملك فارس قد جمع جيشاً جراراً وتمركز في منطقة توج ، تلك التي تعرف في الفارسية باسم توز وإليها تنسب الأردية التوزية ، وتوج هذه تقع على مشارف فارس وعلى مقربة من الأهواز ، كما تجمع جيش الأهواز وجيش العجم كله . وعندما بعث عمر بالجيش الإسلامي لم يعين له قائداً عاماً ، ولكنه أمّر على كل مدينة أحد القواد ، وقال : لقد تجمع جيش فارس في بقعة واحدة ، وهم يستعدون للحرب ، فإذا ما صرتم إلى فارس ، فلا تتقدموا إلى حيث يتواجدون ، حتّى يفل التدبير والاستعداد من عزائمهم . وبعد ذلك فليحاربهم كل منكم في البلدة التي يعين عليها . ثم عهد بمدينة توج إلى مجاشع بن الثقفي ، وأعطى أمر شابور واصطخر إلى عثمان بن أبي العاص ، وأقطع أمر شيراز إلى أخيه الحكم بن العاص ، وعهد إلى سارية الربلى بأمر پسا ودارجرد وأخيراً توجه هؤلاء القواد بجيوشهم . أما عن جيوش فارس السابق تجمعها بقيادة شهرك بمدينة توج ، فقد دبت الفرقة بين صفوفهم وانفرط عقد تدبيرهم ، فكان هذا الأمر مساوياً للهزيمة ، وهنا تقدم مجاشع الموكل إليه أمر توج ويشاور صوب شيراز ، وكانت بعض الجيوش ما زالت متواجدة بمدينة توج ، فتمكن مجاشع وجيشه من التقدم والانتشار والتغلب على تلك الجيوش ، وغنموا أموال تلك الديار . ومجاشع هذا أخو أبي عبيدة بن

مسعود الذي مات يوم موقعة الجسر تحت أقدام الفيل الأبيض . كما أنه والد مختار (الثقفي) ، وقد تمكن من فتح مدن فارس اصطخر وتوج ....

وبعد أن فتح مجاشع توج ، وزع أموالها على المسلمين ، كما أرسل خمس الغنائم إلى خليفة الزمان مصحوباً بكتاب الفتح . أما عثمان بن أبي العاص فقد تقدم بجيوشه صوب اصطخر ، فسارع اصطخر – وهو من سميت المدينة باسمه ، ويعرف في اللغة العربية باسم جور ، وإلى هذه المدينة ينسب ماء الورد الجوري – إلى ملاقاته ، فتحارب عثمان مع هذا الجيش وهزمه ، ثم تقدم إلى بوابة اصطخر وحاصر المدينة وحارب جيشها وتم له فتحها . وبعد ذلك أرسل إلى الخليفة ببشارة الفتح وجزء من الغنائم . أما الحكم بن العاص أخو عثمان فقد توجه صوب شيراز حيث أعاد شهرك جمع جيوشه والتمركز هناك ، وكان جيشه الكثيف قد تدجج أفراده بالدروع لدرجة أنه لم يكن يُرى من المحارب إلا عيناه فقط ، وتجمع مع الحكم جيش كثيف كذلك حيث سارع جميع شيوخ العرب ووجهائهم ومبارزوهم ، ومنهم عبد الله معمر التميمي وشبل بن معبد البجلي وجارود العهدي وأبو مهلب بن أبي صفرة لملاقاة جيش شهرك .

وعندما أشرقت الشمس ، ووجهت أشعتها صوب جيش المسلمين ، ألهبت عيونهم وحماسهم بهذه الأشعة ، لذا ما أن جاءت لحظة الحرب حتى ألحقوا الهزيمة بجيوش شهرك وقتلوا الكثيرين منهم ، كما قتل الحكم بيديه كلاً من شهرك وابنه . ويقال إن أحد الأعاجم ويدعى اردانيان كان منضماً إلى شهرك ، ولكنه وجنده آثروا السلامة . وهكذا هُزم شهرك وغنم الحكم (بن العاص) مغانم وفيرة قسمها بين المسلمين ، ثم أرسل إلى عمر بن الخطاب أخبار الفتح والغنائم . أما سارية فقد توجه صوب پسا ودارجرد وقام بمحاصرتهما وظل المسلمون محاصرين لهما ثلاثة أشهر ، حتى طلب المحاصَرون المدد والعون من ذويهم من العجم ، فجاءتهم جماعات عديدة من الأطراف المجاورة ، وهنا خرج المحاصَرون لكي ينضموا إلى صفوف الأعاجم الوافدين وليحاربوا

المسلمين ، ولذا تمكنوا من قتل عدد كبير من جيش المسلمين ، وكان ذلك يوم الجمعة ، يوم الصلاة ، ومع ذلك استمرت الحرب ، وكان على مقربة من مواقع الجيش الإسلامي جبل عظيم ، فحاصر الكفار المسلمون وأعملوا فيهم قتلاً حتى ضاق الأمر بالمسلمين ، وخافوا الهزيمة . ولكن سارية والمسلمين واصلوا الحرب ، حتى سمعوا صوت عمر يقول : يا سارية ، الجبل ، الجبل ! أي يا سارية خذ حذرك من الجبل . فقال سارية للجيوش : لقد سمعت صوت عمر ، وما زلت أسمعه ، ولكن كيف يكون صوت عمر وبيننا وبينه مسيرة أيام عديدة . وأخيراً احتمى سارية بالجبل ، فوجد وجيشه الأمن والأمان . وفي اليوم التالي واصلوا الحرب ونالوا الظفر .

وبعد ثلاثة أشهر من الحصار سمع عمر بأخبارهم ، وشغل قلبه بأمورهم ، وكانت الليلة ليلة الجمعة فرأى في منامه أنهم قد واصلوا الحرب ، وكلما حاربوا ، أصابوا غنائم وفيرة ، وأخيراً أرسلت أخبار فتوحات سارية إلى عمر رضي الله عنه . ومن بين الأموال التي أرسلت إلى عمر سفط مليء بالجواهر .

وعندما وفد الرسول إلى عمر ، كان عمر بالمسجد حيث أقيمت الموائد ، إذ كان يوزع الطعام على عدد كبير من الخلق . فقد كان عمر يذبح في كل يوم جملاً من بيت المال ، ويخصصه لإطعام الخلق في المسجد ، وبخاصة المساكين والفقراء والغرباء وعابري السبيل ، فجاء هذا الرسول ووقف أمام عمر ، فظنه عمر أحد الغرباء جاء يطلب طعاماً . فقال له : اجلس ، واطعم شيئاً ، ثم شغل هو بتوزيع الطعام على الخلق دون أن يأكل شيئاً ، إذ كان يأكل دائماً مع أسرته .

وعندما أكل الجمع ، توجه (عمر) صوب داره ، فسار ذلك الرسول في إثره . فقال له : هيا ، ادخل . فدخل ذلك الرجل . جلس عمر وطلب الطعام ، فأحضرت إليه زوجته أم كلثوم ابنة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهها ، وعاء به خبز من شعير وقدر من الزيت وقليل من الملح الخشن . فقال

لها عمر : ألم تطهي شيئاً ؟ فقالت : كيف أفكر في الطهي وليس لي رداءٌ أرتديه . فقد كانت أردية أم كلثوم ممزقة ! فمازحها عمر قائلاً : ما حاجتك للرداء ؟ كفاك أنك ابنة علي بن أبي طالب (عليه السلام) [1] وزوجة عمر . بعد ذلك قال عمر للرسول : بسم الله تناول الطعام ، إذا كانت أم كلثوم عنا راضية ، لأعدت لنا طعاماً ! ! وبعد أن تناولا الطعام أدرك الرجل أن عمر لا يعرفه ، فقال يا عمر : أنا رسول سارية جئتك بأخبار الفتح والغنيمة والخمس . فقال عمر : الحمد لله . ثم نظر إليه وسأله عن كل شيء ، فأخبره الرجل بكل شيء ، ثم وضع السفط أمام الخليفة . فقال عمر : أعد هذا إلى سارية ، وقل له : وزعه بين المسلمين الذين شاركوا في الحرب ، فهو حق لهم . وأخيراً خرج ذلك الرجل من البيت ، وتوجه للالتحاق بخدمة سارية .

---

(١) هكذا يقول الشيعة عن آل البيت جميعاً .

سفر نامهٔ ناصر خسرو

« سفر نامه » ناصر خسرو

ألف هذا الكتاب الحكيم أبو معين ناصر بن الحارث القبادياني البلخي ، الذي ولد في قباديان ببلخ في عام ٣٩٢ هـ وبدأ يحصل علومه الأولى في مسقط رأسه ، ثم التحق في شبابه ببلاط الغزنويين ، وظل على ذلك حتى طرد السلاجقة الغزنويين من ما وراء النهر وخراسان فانتقل للعمل لدى السلاجقة حيث التحق ببلاط الأمير چغري بك حاكم خراسان ، والذي اتخذ من مرو حاضرة لإمارته ، وهنا انتقل ناصر خسرو للعيش بمنطقة مرو ، وظل على هذه الحال حتى الأربعين من عمره [1] ، وهنا زهد في العمل ، وآثر السياحة في العالم الإسلامي كي يستزيد من المراكز العلمية والفقهية المنتشرة في ربوع الديار الإسلامية ، فعبر إيران كلها وذهب إلى بغداد والبصرة ، ثم ذهب إلى آسيا الصغرى ومنها إلى الشام حيث توجه إلى حلب . ومنها إلى معرة النعمان التي التقى فيها بالأديب الفيلسوف العربي أبي العلاء المعري ، فأعجب بعلمه وفنه وأثنى عليه في كتابه سفر نامه . وبعد ذلك خرج من معرة النعمان إلى حماة ثم إلى طرابلس ومنها إلى بيروت فصيدا ثم توجه إلى صور وعكا وحيفا ، وفي أثناء ذلك زار الأماكن المقدسة في الشام ، وبعدها توجه إلى مكة لأداء

---

(١) فرهنك ادبيات فارسى ، ص ٤٩٧ – ٤٩٩ .

فريضة الحج ، وبعد الفريضة عاد إلى دمشق وبيت المقدس ثم توجـه إلى القاهرة [1] .

وفي القاهرة قضى ثلاث سنوات التحق فيها بخدمة البلاط الفاطمي ، كما شغل بالقراءة في المذهب الشيعي حتى اعتنقه ووصل إلى درجة كبيرة فيه ، حتى أن الفاطميين وثقوا فيه وفي علمه ، فكلفوه بأن يكون داعيتهم فيما وراء النهر وخراسان .

عاد ناصر خسرو إلى مسقط رأسه وبدأ يدعو للمذهب الإسماعيلي ويجادل علماء مدينته حتى نفروا منه وشجعوا العامة على إيذائه، مما اضطره إلى مغادرة بلخ والتوجه صوب مازندان ومنها إلى يمجان من أعمال بدخشان لكي يواصل دعوته ، وهناك نجح في تجنيد بعض الأتباع ، فانتشر المذهب الإسماعيلي فترة من الزمن في هذا المنطقة (بدخشان) ، بل يقول البعض إن هذه المنطقة ما زال بها حتى اليوم بعض أنصار المذهب الإسماعيلي ولعلهم من أخلاف من قبلوا دعوة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري . وقد قضى ناصر خسرو بقية حياته في تلك المنطقة حتى وافته المنية في عام ٤٨١ هـ [2] .

وقد خلف ناصر خسرو وراءه عدداً من المؤلفات أهمها :

١ — ديوان شعري يزيد عدد أبياته على أحد عشر ألف بيت .

٢ — زاد المسافرين الذي كتبه نثراً ليوضح فيه فكر الإسماعيلية ، والأسس التي تقوم عليها دعوتهم .

٣ — سفر نامه : وهو أهم كتاب خلفه ناصر خسرو ، إذ سجل فيه أخبار رحلته التي استمرت سبع سنوات متتالية ، والتي طاف فيها معظم بلدان

---

(١) ادوارد براون : تاريخ الأدب في ايران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، ص ٢٦٩ وما بعدها .
(٢) سبك شناسی ج ٢ ، ص ١٥٢ .

العالم الإسلامي ، ولهذا يعد الكتاب ذا أهمية كبيرة في جغرافية البلدان التي زارها وكذلك تاريخها [1] ، حيث كان ناصر خسرو حريصاً على وصف كل إقليم يزوره وصفاً دقيقاً سواء من ناحية الطقس أو المحاصيل التي ينتجها أو الأنهار التي تمر بهذا الإقليم أو ذاك ، كما كان يعرض للوضع السياسي لكل إقليم، ويتحدث عن حكامه وحالة الأمن هناك ، وأكثر الأقاليم التي حظيت بعظيم اهتمامه ، وأسهب في وصفه كانت مصر ، وربما يرجع ذلك إلى أنه قضى بها أكثر فترة قضاها في أي بلد أثناء رحلته ، حيث قضى بها ثلاث سنوات متتالية ، فأتاحت له هذه الإقامة الطويلة فرصة التعرف على نظام الحكم الفاطمي في مصر ، وعلى أحوال مصر المناخية والاجتماعية ، ولهذا يعد الكتاب مرجعاً هاماً في التعرف على طبيعة الحياة في مصر إبان منتصف القرن الخامس الهجري ، وسنعرض بعد قليل لجزء من هذا الوصف لنرى دقته في وصف القاهرة ، ميادينها وشوارعها وحاراتها ومساجدها وأسواقها [2] .

ومما يتميز به كتاب سفرنامه ، أن أسلوبه جاء بعيداً عن كل البعد عن التكلف والمغالاة في الصنعة ، بل تميز بالسلاسة والفصاحة معاً ، ولعل ناصر خسرو ألفه بهذا الأسلوب الذي يمكن أن نطلق عليه اسم « السهل الممتنع » لكي يكون في متناول فهم الخاصة والعامة على حد سواء ، وقد نجح في ذلك ، حيث حاز هذا الكتاب شهرة كبيرة بين الجميع [3] ، فطبع عدة مرات وترجم إلى لغات عدة منها اللغة الفرنسية حيث قام شيفر بطبعه وترجمته في باريس عام ١٨٨١ م . كما ترجمه أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب إلى اللغة العربية ، حتى يكون في مقدور القارىء العربي الاطلاع على ما جاء به من وصف للقاهرة وبعض البلدان العربية الأخرى التي زارها ناصر خسرو وكتب عنها .

---

(١) غلا محسين جواهرى : گلهاى جاويدان ، ص : ٥٢ .

(٢) تاريخ الأدب في إيران ص : ٢٦٩ وما بعدها .

(٣) هزارسال نثر پارس ج ١ ص : ١١٨ .

ومن سمات هذا الكتاب أيضاً أنه خلا من المصطلحات الفلسفية التي تزخر بها تعاليم فرقة الاسماعيلية ، فنحن نلاحظ أن كتابه زاد المسافرين ألفه أصلا ليتحدث عن هذه التعاليم ويشرحها ويدعو لها ، مما يجعل الكتاب غير ميسور فهمه على الكثيرين ، أما في كتاب سفر نامه فقد تجنب ناصر خسرو الخوض في غمار هذا التيار الفلسفي ، مما جعله كتاباً في متناول الجميع قراءته ، ويتساوى في ذلك من كان اسماعيلي المذهب ، ومن كان من أعداء الفرقة الإسماعيلية . إذ يعتبر الجميع الكتاب من أهم الكتب التي يضمها أدب الرحلات في اللغة الفارسيـــة .

ومما نفيده من الكتاب وسيرة مؤلفه ، أن السياحة العامية كانت ميسورة لكل مسلم لكي يطوف بكل ربوع العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ، دون وجود حدود إقليمية تمزق الوحدة الإسلامية وتضعف كيان العالم الإسلامي كما هو الحال في عصرنا الحديث . فكم من عالم أراد الاستزادة من بحار العلم فهجر موطنه الأصلي وتحرك صوب مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي سواء في بغداد أو دمشق أو القاهرة أو مكة .

ومن سمات الكتاب كذلك أنه كان يتحدث عن فضلاء وأدباء وعلماء كل بلد يزورها ، ولذا يعد الكتاب إلى جانب فوائده السابقة . ذا فائدة في التعريف ببعض هؤلاء الأعلام الذين التقى بهم ناصر خسرو في رحلته ، وعلى سبيل المثال ما قاله عن أبي العلاء المعري عندما التقى به في « معرة النعمان » .

° ° °

وإلى هنا نكتفي بالتعريف الموجز لكتاب العلامة ناصر خسرو « سفر نامه » ونورد فيما يلي نصاً يصف فيه مدينتي القاهرة ومصر . ويقصد المؤلف بالقاهرة ، قاهرة المعز لدين الله الفاطمي . في حين يقصد بمصر ، ما يطلق عليه الآن في القاهرة اسم (مصر القديمة) . أي ما يعرف قديماً باسم الفسطاط ، أي قاهرة عمرو بن العاص .

صفت شهر قاهره :

... پنج دروازه دارد ! باب النصر ، باب الفتوح ، باب القنطرة ، باب الزويلة ، باب الخليج . وشهر بارو ندارد كه بناها چنان مرتفعست كه از بارو قوی تر وعالی ترست . وهرسرای وكوشكی حصاری است ، وبيشتر عمارات پنج آشكوب وشش آشكوب باشد ، وآب خوردنی از نيل باشد ، سقايان باشتر نقل كنند وآب چاه ها هر چه بود نيل نزديكتر باشد خوش باشد ، وهرچه دور باشد شور باشد ... واندر شهر در ميان سراها باغچه ها واشجار باشد وآب از چاه دهند ... وآن سراها چنان بود از پاكيزگی ولطافت كه گوئی از جواهر ساخته اند نه ازگچ وآجر وسنگ ، وتمامت سراهای قاهره جدا جدا نهاده است چنانكه درخت وعمارت هيچ آفريده بر ديوار غيری نباشد وهركه خواهد هرگه كه بايدش خانهٔ خود باز تواندشكافت وعمارت كرد كه هيچ مضرتی بديگری نرسد . وچون از شهر قاهره سوی مغرب بيرون شوی جوی بزرگيست كه آنرا خليج گويند ، وآن خليج را پدر سلطان كرده است ... وسر جوی از مصر برگرفته است وبقاهره آورده وآنجا بگردانيده وپيش قصر سلطان ميگذرد ، ودوكوشك برسر آن خليج كرده اند ، يكی را از آن لؤلؤ خوانند ، وديگر را جوهره . وقاهره را چهار جامعست كه روز آدينه نماز كنند . يكی را زآن جامع أزهر گويند ، ويكی را جامع نور ، ويكی را جامع حاكم ويكی را جامع معز ، واين جامع .

بیرون شهرست برلب رود نیل .... واز مصر بقاهره کم ازیك میل باشد ، ومصر جنوبیست وقاهره شمالی ، ونیل از مصر بگذرد وبقاهره رسد وبساتین وعمارات هردو شهر بهم پیوسته است .

صفت شهر مصر :

برکرانهٔ شهر مسجد طولون است ، برسربلندی ، ودو دیوار محکم کشیده که جز دیوار « آمد » و « میافارقین » بمثل آن ندیدم . وآنرا امیری از عباسیان کرده است که حاکم مصر بوده است . وبروزگار حاکم بامر الله که جد این سلطان بود فرزندان ابن طولون بیامده اند واین مسجد رابه سی هزار دینار مغربی بحاکم بامر الله فروخته وبعد از مدتی دیگر بیامده اند ، ومناره یی که در آن مسجد ست بکندن گرفته . حاکم فرستاده است که شما مسجد را بمن فروخته اید چگونه خراب میکنید ؟ گفته اند ما مناره نفروخته ایم . پنجهزار دینار بایشان داده است ومناره را هم بخریده . وسلطان ماه رمضان آنجا نماز کردی وروزهای جمعه ... ودر شهرمصر غیر قاهره هفت جامعست چنانکه بهم پیوسته وبهر دوشهر پانزده مسجد آدینه است که روزهای جمعه درهر جای خطبه وجماعت باشد . درمیان بازار مسجد یست که آنرا باب الجوامع گویند ، وآنرا عمرو عاص ساخته است . بروزگاری که ازدست معاویه امیر مصر بوده ، وآن مسجد بچهارصد عمود رخام قائمست وآن دیوارکه محراب براوست سر تاسر تخته های رخام سپیدست وجمیع قرآن برآن تخته ها بخطی زیبا نوشته ، واز بیرون بچهار حد مسجد بازارهاست،

ودرهای مسجد در آن گشاده ومدام در آن مدرسان ومقریان نشسته ، وسیاحت گاه آن شهر بزرگ آن مسجد ست . وهرگز نباشد که درو کمتر ازپنج هزار خلق باشد ، چه از طلاب علوم وچه از غریبان وچه ازکاتبان که چك وقباله نویسند وغیر آن ...

... وبر جانب شمالی مسجد بازاریست که آنراسوق القناديل خوانند . در هیچ بلد چنان بازاری نشان ندهند ، هر ظرائف که در عالم باشد آنجا یافت شود ...

شهر مصر برکنار نیل شهاده است بدرازی ، وبسیاری کوشکها ومنظرها چنانست که اگر خواهند آب بریسمان ازنیل بردارند اما آب شهرهمه سقایان آورند از نیل ، بعضی بشتر وبعضی بدوش ....

ودر پیش مصر جزیره یی در میان نیل است که وقتی شهری کرده بودند وآن جزیره مغربی شهرست ودر آنجا مسجد آدینه بیست وباغهاست وآن پاره یی سنگ بوده است در میان رود واین دوشاخ از نیل هریك رابقدر جیحون تقدیر کردم امابس نرم وآهسته میرود . ومیان شهر وجزیره جسری بسته است . وبعضی از شهر دیگر سوی آب نیلست وآنرا جیزة خوانند . وآنجانیز مسجد آدینه بیست ، اماجسر نیست ، بزورق ومعبر گزرند ، ودر مصر چندان کشتی وزورق باشد که ببغداد وبصره نباشد .

أهل مصر هر چه فروشند راست گویند ، واگر کسی بمشتری دروغ گوید اورا براشتری نشانند وزنگی بدست او دهند تا درشهر میگردد وزنگ

میجنباند ومنادی میکند که من خلاف گفتم وملامت می بینم . وهرکه دروغ گوید سزای او ملامت باشد ....

واهل شهر عظیم توانگر بودند در آنوقت که آنجا بودم ودرسنهٔ تسع وثلاثین واربعمائه سلطان را پسری آمد ، فرمودکه مردم خرمی کنند ، شهروبازارها بیاراستند چنانکه اگر وصف آن کرده شود هماناکه بعض مردم آن را باور نکنند واستوار ندارند که دکان های بزازان وصرافان وغیرهم چنان بودکه از زر وجواهر ونقد وجنس وجامه های زر بفت وقصب جایی نبود ، که کسی بنشیند وهمه از سلطان ایمنند که هیچکس از عوانان وغمازان نمی ترسید وبر سلطان اعتماد داشتند که باکسی ظلم نکند وبمال کسی هرگز طمع نکند . وآنجا مالهادیدم از آن مردم که اگر گویم باصفت کنم مردم عجم راقبول نیفتد ومال ایشان را حد وحصر نتوانستم کرد وآن آسایش وامن که آنجا دیدم هیچ جا ندیدم ....

• • •

الترجمة العربية

وصف مدينة القاهرة

لها خمس بوابات هي : باب النصر ، باب الفتوح ، باب القنطرة ، باب زويلة وباب الخليج ولا يوجد سور عظيم حول المدينة حيث أن مبانيها مرتفعة إلى درجة تفوق أي سور ، ولكن يوجد حول كل قصر أو كوخ سور . ومعظم العمائر تتكون من خمسة طوابق أو ستة ، ومياه الشرب من النيل ،

حيث ينقلها السقايون على الجمال ، أما مياه الآبار فكلما اقتربت من النيل ، عذب ماؤها ، وكلما ابتعدت زادت ملوحتها ، .... وفي وسط المدينة توجد حدائق وأشجار بين القصور وتستمد مياهها من الآبار . وتلك القصور وصلت إلى حد من النظافة والجمال وكأنها صنعت من الجواهر وليست من المصيص والآجر والحجارة . وجميع قصور القاهرة كل على حدة حيث لا تستند أشجار أو عمارة أي مخلوق على جدار الغير ، وكل من يرغب في أي وقت أن يزيل عمارته ثم يعيد تشييدها من جديد ، فإنه لا يلحق ضرراً بأي إنسان . وعندما تخرج من مدينة القاهرة متوجهاً صوب المغرب ، يوجد نهر عظيم يقال له اسم « الخليج » وقد شق هذا الخليج والد السلطان ، ويوجد « فم » هذا الخليج في مصر ، ثم يتقدم صوب القاهرة ، وهناك يستدير ، ويمر أمام قصر السلطان ، وشيدوا عند فم الخليج قصرين صغيرين أطلق على أحدهما اسم (اللؤلؤة) ، وعلى الآخر اسم (جوهرة) وبالقاهرة أربعة مساجد تؤدى فيها صلاة الجمعة ، يقال لأحدها الجامع الأزهر والثاني الجامع الأنور والثالث جامع الحاكم والرابع جامع المعز ، وهذا الجامع يوجد خارج المدينة على شاطىء النيل ، ... ومن مصر إلى القاهرة أقل من ميل واحد ، حيث تقع مصر في الجنوب ، وتقع القاهرة في الشمال ، ويمر النيل من مصر ثم يصل إلى القاهرة ، وقد اتصلت حدائق وعمارات هاتين المدينتين ببعضهما البعض الآخـــر .

وصف مدينة مصر :

يوجد على مشارف المدينة مسجد ابن طولون ، وقد اتسم بالارتفاع وله جداران اتسما بالضخامة ولم أر مثيلاً لهما إلا في جدران (آمـــــا و (ميافارقين) . وقد شيده أحد أمراء العباسيين وقد كان حاكماً في مصر ،

في عصر الحاكم بأمر الله جد هذا السلطان (١) جاء أبناء طولون وباعوا هذا المسجد إلى الحاكم بأمر الله بمبلغ ثلاثين ألف دينار مغربي ، وبعد فترة جاءوا وأرادوا هدم المنارة الموجودة بهذا المسجد . فأرسل إليهم الحاكم (بأمر الله) قائلاً : لقد بعتم لي المسجد ، فلمَ تخربونه ؟ فقالوا : نحن لم نبع المنارة . فأعطاهم خمسة آلاف دينار واشترى المنارة ، ويؤدي السلطان الصلاة هناك طوال شهر رمضان وفي أيام الجمع .... وفي مدينة مصر – بالإضافة إلى ما في القاهرة – سبعة جوامع ، ولأنهما متصلتان ففي البلدين يوجد خمسة عشر مسجداً للجمعة ، حيث يوجد في أيام الجمع خطبة للجمعة وصلاة للجماعة في كل مكان . وفي وسط السوق يوجد مسجد يقال له باب الجوامع وقد شيده عمرو بن العاص عندما كان يتولى حكم مصر من قبل معاوية ، وذلك المسجد يقوم على أربعمائة عمود رفيع ، وذلك الجدار الموجود به المحراب غطي كله بالرخام الأبيض ، وقد سُطر على هذه الألواح القرآن كله بخط جميل ، وخارج المسجد من جميع جوانبه توجد الأسواق ، وتفتح أبواب المسجد عليها ، وعلى الدوام يجلس فيه المعلمون والمقرءون ، ويعد ذلك المسجد أكبر مكان للسياحة في تلك المدينة ، ولا يقل من يتواجدون فيه عن خمسة آلاف فرد في أي وقت ، سواء من طلاب العلوم أو من الغرباء أو من الكتاب الذين يكتبون الصكوك والسندات وغير ذلك ...

... وعلى شمال المسجد يوجد سوق يقال له : سوق القناديل ، ولا يوجد مثيل لهذا السوق في أي بلد مطلقاً ، فكل تحف العالم موجودة فيه .

تقع مدينة مصر على طوال ضفاف النيل . لذا توجد كثرة من القصور والحدائق بإمكانها أن تأخذ المياه من النيل بواسطة حبل ، أمـــا مياه المدينة فيحضرها السقايون من النيل إما على الجمال أو على أكتافهم .

وأمام مصر توجد جزيرة وسط النيل ، وقد جعلوا منها مدينة منذ فترة ،

---

(١) المستنصر بالله الفاطمي .

وهذه الجزيرة تقع غربي المدينة ، ويوجد بها مسجد للجمعة وحدائق وهي تبدو كصخرة وسط المجرى ، وهذان الفرعان للنيل أعتقد أن كل واحد منهما في حجم جيحون [1] ، ولكنه يسير هادئاً بطيئاً ، وقد بني جسر يربط بين المدينة والجزيرة ... ويطل على النيل جزء من مدينة أخرى يقال لها الجيزة ، وبها أيضاً مسجد للجمعة ، ولا يربطها (بمصر) جسر ، فيعبرون إليها بالزوارق والمراكب ، ويوجد بمصر عدد من السفن والزوارق لا توجد بكل من بغداد والبصرة .

أهل مصر صادقون في كل ما يبيعونه ، وإن يكذب أحد على مشترٍ يركبونه جملاً ويضعون في يده جرساً حتى يطوف بالمدينة ويحرك الجرس وينادي قائلاً : قد كذبت فأستحق الملامة ، وكل من يكذب جزاؤه الملامة .

وأهل المدينة جد أثرياء ، ففي الوقت الذي كنت فيه هناك أي في عام تسعة وثلاثين وأربعمائة رزق السلطان بمولود ، فأمر بأن يبتهج الناس ، فازدانت المدينة والأسواق بصورة لو أصفها فإن بعض الناس لن يصدقوها ولن يعتمدوا قولي ، فقد امتلأت حوانيت البزازين والصرافين وغيرهم بالذهب والجواهر والنقود والبضائع والملابس الموشاة بالذهب والقصب ، حتى لم يعد يوجد بها متسع لجلوس أي إنسان . والجميع آمنون في ربوع السلطان ، إذ لا يخشى أحد من وقيعة الجواسيس والغمازين ؛ إذ يثقون في أن السلطان لا يظلم أي شخص ، ولا يطمع مطلقاً في مال أي فرد .

وقد رأيت هناك أموالاً يملكها بعض الناس إن تكلمت عنها أو وصفتها فلن يصدق العجم ما أقوله فأنا لم أستطع عدها وحصرها ، وما ينعم به الناس من طمأنينة وأمن لم أر مثله في أي مكان آخر ...

• • •

(١) نهر طالما تغنى شعراء ايران الأقدمون بعظمته وكبره ووفرة مياهه وهو بمنطقة ما وراء النهر .

در آن شهر (معرهٔ النعمان) مردی بود که ابو العلاء معری می گفتند، نابینا بود و رئیس شهر او بود، ونعمتی بسیار داشت و بندگان و کارگران فراوان وخود همه شهر او را چون بندگان بودند. و خود طریق زهد پیش گرفته بود، گلیمی پوشیده، و در خانه نشسته، نیم نان جوین را تبهٔ کرده که جز آن هیچ نخورد، و من اینمعنی شنیدم که در سرای باز نهاده است و نوّاب ولازمان او کارشهر میسازند مگر بکلیات که رجوعی باو کنند، و وی نعمت خویش از هیچکس دریغ ندارد، و خود صائم الدهر، قائم اللیل باشد، وبهیچ شغل دنیا مشغول نشود. واین مرد در شعر و ادب بدرجهٔ است که افاضل شامی ومغربی وعراقی مُقرّند که درین عصر کسی بپایهٔ او نبوده است، ونیست و پیوسته زیادت از دویست کس از اطراف آمده باشند، و پیش او ادب و شعر خوانند، و شنیدم که او را زیادت از صد هزار بیت شعر باشد. کس از وی پرسید که ایزد تبارك وتعالی این همه مال ونعمت ترا داده است، چه سببست که مردم را میدهی وخویشتن نمیخوری؟ جواب داد که مرا بیش ازین نیست که میخورم. و چون من آنجا رسیدم این مرد هنوز در حیات بود.

الترجمـــة

أبو العلاء المعري

في تلك المدينة كان يوجد رجل يقال له أبو العلاء المعري ، وكان ضريراً ، كما كان حاكماً للمدينة . وكان يملك نعماً وفيرة والعديد من الغلمان والعمال . وكان جميع سكان المدينة بمثابة العبيد لديه . أما هو فقد اتخذ الزهد طريقاً له ! فكان يرتدي خشن الثياب ، ويلزم داره ، وكان يستهلك نصف رغيف من الشعير ، حيث لم يكن يأكل شيئاً خلاف ذلك مطلقاً . ولقد سمعت أن باب قصره كان مفتوحاً عــلى الدوام ، وكان نوابه وملازموه يُصرِّفون أمور المدينة ولا يرجعون إليه إلا في الأمور الكبيرة . ولم يكن يحرم أحداً من نعمائه ، أما هو فكان صائم الدهر ، قائم الليل على الدوام ، ولا يشغل نفسه بشغل الدنيا على الإطلاق . وقد وصل هذا الرجل في مجال الشعر والأدب إلى درجة أن أفاضل الشام والمغرب والعراق قد أقروا أنه في خلال ذلك الزمان لم يصل إلى مكانته أي شخص ولن يصل . وعلى الدوام كان يفد إليه أكثر من مائتي شخص من الأطراف ليقرءوا بين يديه الأدب والشعر ، وقد سمعت أنه نظم شعراً يزيد على المائة ألف بيت .

وقد سأله أحد الأشخاص قائلاً : لقد منحك الله تبارك وتعالى كل هذه الأموال والنعم ، فلماذا تمنحها للآخرين وتحرم نفسك ؟ أجاب قائلاً : ليس لي أكثر مما أطعمه ! وعندما كنت هناك (أي بمعرة النعمان) كان هذا الرجل على قيد الحياة .

كشف المحجوب للهجويري

كشف المحجوب للهجويري [1]

حفلت اللغة الفارسية بالعديد من الكتب النثرية والشعرية التي عنيت بالتصوف الإسلامي ورجاله. وإذا كانت اللغة العربية قد حظيت بكتب أرخت للتصوف وبينت أصوله كاللمع والتعرف إلى مذهب أهل التصوف ورسالة القشيري وغيرها ، فقد حظيت اللغة الفارسية هي الأخرى بعدد من الكتب الهامة في التصوف الإسلامي ، ومنها أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ، ولوائح جامى ؛ ولكن يأتي في مقدمة هذه الكتب جميعها كتاب كشف المحجوب الذي يعد أول كتاب ألف عن التصوف باللغة الفارسية . فكان المصدر الأول الذي استلهم منه المؤلفون بعده الكثير من الأخبار والمعاني التي تحدثوا عنها .

ومؤلف هذا الكتاب (كشف المحجوب) هو أبو الحسن علي بن عثمان الجلابي الهجويري الغزنوي ، وقد ولد إما في أواخر القرن الرابع الهجري أو أوائل القرن الخامس الهجري ؛ فتاريخ ولادته لم يرد في أي مرجع من المراجع

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذا الكتاب والاطلاع على ترجمته كاملة يحسن الرجوع إلى : كشف المحجوب للهجويري ، دراسة وترجمة وتعليق الدكتورة اسعاد عبد الهادي قنديل ، وقد نشر في مجلدين الأول عام ١٩٧٤ ، والثاني عام ١٩٧٥ وذلك بالقاهرة ، تحت اشراف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

بصورة مؤكدة وموثوق بها ، وقد حباه الزمان بأسرة متدينة متعلمة ، مما يسر له أن يفتح عينيه على الكتب وسلوك الطريق ، حيث كان والده على قدر كبير من التصوف والعرفان ولهذا كان أبوه المعلم الأول له ، ومنه أخذ الكثير من السلوك الطيب و الأخلاق الرضية .

وعندما شب على الطوق بدأ يتصل بمشايخ الصوفية يتعلم منهم ويستمع إلى نصحهم وإرشادهم ، ومن المشايخ الذين أدركهم وأفاد منهم كل من الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير ، وأبي القاسم القشيري ، وقد صرح الهجويري بأنه يعد نفسه من تلاميذ القشيري [1] .

ونتيجة للاضطرابات السياسية التي حدثت بين الغزنويين والسلاجقة في النصف الأول في القرن الخامس الهجري ، رحل الهجويري إلى الهند مع جيش محمود الغزنوي ، واتخذ من مدينة لاهور مقراً له ، وقضى بها بقية حياته إلى أن أسلم الروح ، ودفن بها وما زال قبره موجوداً بلاهور حتى اليوم . ويعرف مزاره باسم (داتا گنج بخش) أما عن تاريخ وفاة الهجويري فمختلف عليها كذلك ، وإن كان أرجحها أنه تُوفي في حدود عام ٤٦٥ هـ (١٠٧٣ م) .

والهجويري كان متعدد الثقافات إذ تعلم جميع العلوم السائدة في عصره ، سواء أكانت علوماً عربية أم فارسية ، فقد أجاد كلاً من اللغتين العربيـة والفارسية ، كما كان متبحراً في علوم القرآن والحديث وعلوم الكلام والمنطق ، كما كان له ديوان شعر ، ذكر في كشف المحجوب أن البعض انتحله [2] ، وقد ذكرت المصادر أنه ألف كتباً عديداً عدا كشف المحجوب ، منها : رسالة الفناء والبقاء ، وأسرار الخرق والملونات ، وكتاب البيان لأهل الإتقان ،

---

(١) هزارسال نثرپارسى ج ١ ص : ٢٥٩ .
(٢) فرهنك ادبيات فارس درى ، ص : ٥٣٥ .

ومنهاج الدين ، وشرح كلام حسين بن منصور الحلاج (١) ، وقد ضاع معظم هذه الكتب ولم يصل إلينا من تأليفه إلا كشف المحجوب فقط .

ولا شك أن رحلاته العديدة إلى العديد من الأمصار الإسلامية ساعدته في تعميق ثقافته الإسلامية والتبحر في علومها ، فقد ورد في الأنباء أنه رحل إلى كل من العراق وفرغانة والشام وأذربيجان وخوزستان وفارس وجرجان وخراسان وما وراء النهر وتركستان والهند (٢) ، وهكذا كان شأن جميع المثقفين في العالم الإسلامي ، حيث لم يكن يكتفي أحدهم بتحصيل العلوم والمعارف في مقر إقامته ، بل كان يرحل إلى كل بلد إسلامي يسمع أن بها شيخاً كبيراً قد يفيد من علمه ومسلكه ، كما أن المثقف الإسلامي كان لا يرى حدوداً تفصل الثقافة العربية عن الثقافة الفارسية أو التركية أو الهندية ، فكان الأديب والعالم في الأمة الإسلامية حريصاً على أن يكون متسع الثقافة ، ملماً باللغات الإسلامية حتى يستطيع الاطلاع على كل ألوان الفكر الإسلامي وفي لغاته المختلفة . وكم آمل أن يدرك شبابنا مدى التكامل بين ألوان الثقافة الإسلامية في لغاتها المختلفة ، فيقبلون على تعلم هذه اللغات ، ويحرصون على تأكيد هذه الصلات كما كانت في عهود ازدهار الفكر الإسلامي إبان القرون الماضية .

أما عن كتاب كشف المحجوب فهو في الفارسية بمكانة اللمع في العربية ، إذ أن كلا منهما يعد أقدم المؤلفات الصوفية في لغته ، وأكثرها قيمة وأوفرها مادة في التصوف (٣)

ويقول الهجويري في سبب التسمية :

أسميت هذا الكتاب كشف المحجوب ، والغرض من ذلك أنه طالما كان

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٢) كشف المحجوب للهجويري : د . اسعاد قنديل .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١١٠ .

اسم الكتاب ناطقاً على ما فيه ، فإن أهل البصيرة حين يسمعون اسم هذا الكتاب يعرفون ماذا كان الغرض منه ... ولما كان هذا الكتاب في بيان طريق الحق ، وكشف حجب البشرية ، فإنه لا يناسبه غير هذا الاسم [1] .

وينقسم كتاب كشف المحجوب إلى مقدمة وخمسة وعشرين قسماً ، وهذه الأقسام تضمها مجموعتان :

المجموعة الأولى في بيان علم التصوف ، وتضم أربعة عشر قسماً .

المجموعة الثانية وتضم أحد عشر قسماً ، ذكرها الهجويري لبيان كشف الحجب التي تعترض طريق السالك ، وكيف يستطيع أن يتخطاها ، لذا سمى الهجويري كل قسم منها باسم (كشف الحجاب) .

ويتسم أسلوب كشف المحجوب بأنه سلس فصيح ، كما وردت به تعبيرات عربية كثيرة [2] ، ولعل ذلك راجع إلى أن جميع المصطلحات الصوفية التي كانت سائدة في القرن الخامس الهجري ، أي وقت تأليف الكتاب كانت عربية الأصل ، كما أن الكتب الصوفية التي سبقته كانت مكتوبة باللغة العربية ، ولا بد أن يقع الهجويري تحت تأثيرها وهو يؤلف كتابه هذا ، كما أن الهجويري كان يجيد اللغة العربية ومن السهل عليه أن ينقل المصطلح العربي نفسه أو أن يترجم بعض هذه المصطلحات إلى اللغة الفارسية ، كما أن من سمات المثقفين في عصره أنهم كانوا على علم كامل ومعرفة جيدة باللغة العربية ، حيث كانت اللغة العربية لغة الثقافة الإسلامية الأولى في ذلك الوقت ، ولا غنى لأي مثقف مسلم من الإلمام بها والاطلاع على كنوزها .

وترجع أهمية كتاب كشف المحجوب بين كتب التصوف الإسلامي

---

(1) المرجع السابق ، ونفس الصفحة .
(2) هزارسال نثرپارسى ج ١ ص : ٢٥٩ .

عامة إلى ما يلي [1] :

١ — يعد أول كتاب فارسي في التصوف الإسلامي ، ولم يسبقه كتاب آخر إلا الترجمة الفارسية لكتاب (التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي) والتي قام بها المستحلي البخاري عام ٤٣٤ هـ .

٢ — جميع الكتب الصوفية الفارسية التي ألفت بعده اعتمدت اعتماداً كبيراً على ما جاء به من بيان لأصول التصوف أو إشارات لأحوال المشايخ وأعمالهم ، فقد أفاد منه فريد الدين العطار في كتابه تذكرة الأولياء ، إما نقلاً بالعبارات والكلمات . وإما بالتلخيص والأفكار ، وأفاد منه كذلك جامى في نفحات الأنس [2] .

٣ — مع ما للمع من مكانة في التصوف إلا أنه اقتصر على الأصول والعقائد الصوفية واعتمد في معالجته لهذه الأمور على ايراد أقوال الشيوخ المتقدمين ، ودون أن يدلي مؤلف اللمع بآرائه الشخصية إلا في القليل النادر : كما أن كتاب طبقات الصوفية اختص كما يفهم من عنوانه بتراجم شيوخ الصوفية السابقين ، واقتصر دور المؤلف على جمع هذه المعلومات وعرضها ، ثم جاء القشيري في رسالته وجمع بين هذين المنهجين ولكنه كان موجزاً في كل ما يقول . وقلما كان يدلي برأيه . أما كشف المحجوب فيجمع بين الأصول الصوفية وتراجم الشيوخ ، ولكنه زاد على القشيري في أنه سلك مسلك المعلم ، حيث تناول كل شيء بالإيضاح والتفسير ، بل إن الهجويري شارك برأيه كذلك في الجزء الخاص بالتراجم ؛ حيث كان يبدي رأيه في المسائل التي تعرض لها أثناء إيراده تراجم الشيوخ .

٤ — انفرد كشف المحجوب بميزة ضخمة لم يسبقه إليها كتاب آخر ،

---

(١) للاطلاع على المزيد من بيان القيمة العلمية للكتاب يرجع إلى الترجمة العربية التي قامت بها الدكتورة اسعاد قنديل ، وإلى الدراسة الجادة التي قدمت بها هذه الترجمة .

(٢) سبك شناسى جـ ٢ ص ١٨٧ .

وهذه الميزة تتمثل في القسم الرابع عشر منه ، وهو الباب الخاص بفرق الصوفية والتي قسمها مؤلفه إلى اثنتي عشرة فرقة ، نسب كلاً منها إلى مؤسسها ، وشرح المذهب الخاص بها ، ويقول نيكلسون ذلك : إن أبرز باب في كشف المحجوب ، هو الباب الرابع عشر الذي يتعلق بالمذاهب التي تتبعها مختلف الفرق الصوفية ، والتي عددها المؤلف باثنتي عشرة مدرسة صوفية ، وبقدر ما أعلم فإنه أول كتاب فعل ذلك (١) .

وأول مرة نشر فيها هذا الكتاب ، كانت عام ١٩٢٦م ، وذلك تحت اشراف المستشرق الروسي جكوفسكي في لينتجراد ، ثم قام المستشرق الإنجليزي نيكلسون بترجمته إلى اللغة الانجليزية ، وأخيراً قامت الدكتورة إسعاد قنديل بترجمته إلى اللغة العربية ونشر بالقاهرة في مجلدين بين عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ وعلى هذا ففي متناول القارىء العربي الاطلاع على هذا الكتاب القيم في علم التصوف والتعريف بالعديد من مشايخ التصوف ، وليدرك أن الكتب الصوفية الفارسية تكمل الكتب الصوفية العربية في معرفة أصول التصوف ، وإدراك أحوال شيوخه وأخبارهم .

نموذج من كتاب كشف المحجوب :

باب مرقعه داشتن

.... — بدانك لبس مرقعه شعار متصوف است ولبس مرقعات سنت است ...

... پيغامبر عم جامهٔ پشمين پوشيده وبرخر نشست ونيز گفت : عايشه را رض كي جامه را ضايع مكن تا رقعه نزنى ، يعنى پيوندها بران نگذارى

(١) مقدمة الترجمة الانجليزية لكشف المحجوب ، وذلك نقلا عن الترجمة العربية ، ص : ١٨٤ .

واز عمر خطاب رض می آید که وی مرقعه* داشت سی پیوند بران گذاشته ، وهم از عمر می آید رض که گفت : بهترین جامها آن بود که مؤنت آن کمتر بود ، واز امیر المؤمنین علی رض می آید که پیراهنی داشت کی آستین آن با انگشت اوبرابر بود ، واگر وقتی پیراهنی درازتر بودی سر آستین آن فرودریدی ونیز رسول را صلعم فرمان آمد ازخدای عز وجل بتقصیر جامه ...

.... ابراهیم ادهم بنزدیك ابو حنیفه آمد رح بامرقعه* از صوف ، اصحاب ویرا بچشم تصغیر نگریستند ، بو حنیفه گفت سیدنا ابراهیم آدهم آمد . اصحاب گفتندبرزبان امام مسلمانان هزل نرود وی این سیادت بچه یافت؟ گفت بخدمت بردوام کی بخدمت خداوند مشغول شد وما بخدمت تنهاء خود تاوی سید ما گشت ....

.... در جمله هرکه قصد صحبت متصوف کند ازچهار معنی بیرون نباشد :

گروهی را صفاه باطن وجلاء ظاهر ولطافت طبع واعتدال مزاج وصحت سریرت باسرار ایشان دیدار دهد تاقربت محققان ورفعت کبرای ایشان بینند وارادت آن درجه دامن گیر ایشان گردد تعلق بدیشان کنند بر بصیرت وابتداء حالشان بر کشف احوال وتجرید ازهوا واعراض از نفس باشد .

وگروهی دیگر را اصلاح تن وعفت دل وسکون وسلامت صدر باظهار ایشان دیدار دهدتا برزش شریعت وحفظ آداب اسلام وحسن معاملت ایشان

بینند وقصد صحبت ایشان کنند وبرزیدن صلاح بردست گیرند وابتداء حال ایشان برمجاهدت وحسن معاملت بود .

وگروهی دیگر را مروت انسانیت وظرف مجالست وحسن سیرت بافعال ایشان راه نماید تازندگانی ظاهر ایشان ببینند آراسته بظرف ومروت بامهتران بحرمت وباکهتران فتوت وبا اقران خود حسن معاشرت آسوده از طلب زیادت و آرمیده با قناعت قصد صحبت ایشان کنند وطریق جهد وتعب طلب دنیابر خود آسان کنند وخود را بفراغت از جملهٔ نیکان کنند .

وگروهی دیگر راکمل طبع ورعونت نفس وطلب ریاست بی آلت ومراد تصدر بی فضل وجستن تخصیص بی علم راه نماید بافعال ایشان وپندارد کی جز این کار ظاهر هیچ کاری دیگر نیست قصد صحبت ایشان کند وایشان بخلق وکرم ویرا مداهنت همی کند وبحکم مسامحت باوی زندگانی می گزارند از آنچ اندر دلهاءِ ایشان از حدیث حق هیچ چیز نباشد وبر تنهاءِ ایشان ازمجاهدت طلب طریقت هیچ نه وخواهند تا خلق مریشان را حرمت دارند چنانك محققانرا واز ایشان بشکوهند چنانك از خواص خداوند عز وجل وبصحبت وتعلق بدیشان آن خواهند کی آفات خودرا دز صلاح ایشان پنهان کنند وجامهٔ ایشان اندر پوشند وآن جامهاءِ بی معاملت بر کذب ایشان میخروشند ... و اندرین زمانه این گروه بیشترند . پس برتو بادا کی هرچه از آن تو نگردد توقصد آن نکنی که اگرهزارسال توبقبول طریقت بگوئی چنان نباشدکی یك لحظه طریقت ترا قبول کندکی

این کار بخرقه نیست بحُرقه است . چون کسی باطریقت آشنا بود ورا قبا چون عبا بود وچون کسی بیگانه بود مرقعهٔ وی رقعهٔ ادبار بود ومنشور شقاوت یوم النشور چنانك آن پیر بزرگ راگفتند ... چرا مرقعه نپوشی؟ گفت از نفاق بودکی لباس جوانمردان بپوشی واندرتحت ثقل معاملت جوانمردان درنیائی باترك حمل جوانمردی منافقی باشد پس اگر این لباس از برای آنست ، کی تاخداوند ترا بشناسدکی تو خاص اوئی او بی لباس بشناسد واگراز بهرآنست کی بخلق نمائی کی من ازان اویم اگر هستی ریا واگر نیستی نفاق واین راهی صعب پر خطراست واهل حق اجلّ آنندکی بجامه معروف گردند ...

... صفا ازخداوند تعالی بینده نعمتی وکرامتی عیان بود وصوف لباس ستوران بود پس حلیت حیلت بود ، گروهی حیلت قربت میکنند ، وآنچ برایشانست بجای می آرند ظاهر می آرایند امید آنرا تاازیشان گردند ، ومشایخ این قصه مرمریدان را حلیت وزینت بمرقعات بفرمودند وخودنیز بکردند تا اندرمیان خلق علامت شوند وجملهٔ خلق پاسبان ایشان گردند اگریك قدم بر خلاف نهند همه زبان ملامت دریشان دراز کنند واگر خواهندکی اندر آن جامه معصیت کنند ازشرم خلق نتوانندکرد درجمله مرقعه زینت اولیاء خدای عز وجل است عوام بدان عزیز گردند وخواص اندر آن ذلیل شوند عزّ عام آن بودکه چون بپوشند خلقانش بدان حرمت دارند وذل خاص آن بودکی چون آن بپوشند خلق اندر ایشان بچشم عوام نگرند وایشانرا بدان ملامت کنند پس عوام را مرقعه لباس نعما بود وخواص

راجوشن بلا بود واز آنچ بیشتری از عوام اندر آن مضطر باشند چنانك دست بکار دیگر نرسد ومر طلب جاه را آلتی دیگر ندارندکه بدان طلب ریاست کنند ومر آنرا سبب جمع نعمت سازند وباز خواص بترك ریاست بگویند وذل رابرعز اختیار کنند تا این قوم را این بلابود وآن قوم را آن نعما ، .. مرقعه پیراهن وفاست مراهل صفا را ولباس سرورست مراهل غرور را تا أهل صفا بپوشیدن آن ازکونین مجرد شوند وازمألوفات منقطع گردند واهل غرور بدان ازحق محجوب شوند واز صلاح بازمانند درجمله مرهمه راسمت صلاح وسبب فلاح است ومراد جمله ازآن محصول یکی را صفا بودو یکی را عطا ویکی را غطا ویکی را وطا .

الترجمة العربية

باب : لبس المرقعة

اعلم أن لبس المرقعة شعار المتصوف ، كما أن لبس المرقعات سنة ...

.... وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتدي رداءً صوفياً ويركب الحمار ، كما قال لعائشة رضي الله عنها : لا تضيعي الثوب حتى ترقعيه (أي دون أن توصليه عدة وصلات)، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كانت له مرقعة عليها ثلاثون رقعة ، كما ورد عن عمر أيضاً : خير الثياب أقلها مؤنة . وورد عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه كان له قميص لا يصل كمه إلى أصابعه ، وإذا وجد لديه قميص أطول من ذلك ، قص كميه ، كما صدر الأمر من الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتقصير الثياب ....

.... جاء إبراهيم بن أدهم صوب أبي حنيفة رحمه الله ، وكان يرتدي

مرقعة من الصوف ، فنظر إليه أصحابه – أي أصحاب أبي حنيفة – بعين التحقير : فقال أبو حنيفة : لقد جـاء سيدنا ابراهيم بن أدهم . فقال أصحابه : إن المزاح لا يرد على لسان إمام المسلمين ، فأنّى له بهذه السيادة ؟ فقال : بالمداومة على الخدمة ، فقد شغل بخدمة الخالق ، أما نحن فشغلنا بخدمة أنفسنا ، لذا صار سيدنا .

... وقصارى القول ، فإن كل من يقصد صحبة المتصوفة لا يخرج عن أربعة معان :

فريق يطلعه صفاء باطنه وجلاء ظاهره ولطف طبعه واعتدال مزاجه وصحة سريرته على أسرارهم ، فيرون قرب المحققين ورفعة كبرائهم . وتتمكن الإرادة من أصحاب هذه الدرجة في التعلق بهم وذلك عن بصيرة ، وتكون بداية حال هؤلاء مائلة في الكشف عن الأحوال والتجرد عن الهوى والإعراض عن النفس .

وفريق آخر ، يطلعه صلاح جسده وعفة قلبه وسكون صدره وسلامته على ظواهرهم فيرون ممارستهم للشريعة وحفظهم لآداب الإسلام وحسن معاملتهم ، فيقصدون صحبتهم ، ويختارون صلاح الأحوال على أيديهم ، وبداية حال هؤلاء تعتمد على المجاهدة وحسن المعاملة .

وفريق آخر (ثالث) تهديه مروءة إنسانيته وظرف مجالسته وحسن سيرته إلى أفعالهم . فيرون حياتهم الظاهرة وقد ازدانت بالظرف والمروءة . فتكون لهم مروءة مع العظماء . وفتوة مع الصغار ، وحسن معاشرة مع الأقران ، فيبغون صحبتهم وقد تخلوا عن طلب الزيادة ورضوا بالقناعة ، ويريحون أنفسهم من تحمل المشقة والجهد في سبيل طلب الدنيا ، وبتخليهم عن كل العلائق (الدنيوية) يجعلون أنفسهم من جملة الأخيار .

وفريق آخر (رابع) يدفعه كسل طبعه ورعونة نفسه . وطلبه للرياسة دون

عدة ، وتطلعه إلى الصدارة دون فضل ، وبحثه عن التخصيص دون علم — يدفعه كل هذا إلى أفعالهم ، ويقصد صحبتهم وقد ظنّ أن أمرهم قاصر على هذا الأمر الظاهر دون غيره ، فيقابلونه بخلقهم وكرمهم ، ويعايشونه بما اتسموا به من سماحة ، وهؤلاء — أي أصحاب الفريق الرابع — لا يوجد في قلوبهم أثر من حديث الحق ، كما خلت أجسادهم من أي أثر للمجاهدة في طلب الطريقة ، وهم يبغون أن يرعى الخلق حرمتهم كما يرعون حرمة المحققين ، وأن يجلوهم كما يجلون خواص الله عز وجل ، ويبغون من التعلق بهم إخفاء آفات أنفسهم في صلاح هؤلاء (المتصوفة) ، ويرتدون أرديتهم ، فإذا بتلك الأردية بدون المعاملة تصرخ بكذبهم .... وهذا الفريق هو الأكثر الأعم في هذه الأيام . وبالنسبة لك ليكن لزاماً ألا تقصد ما ليس لك ، لأنك لو ظللت تردد طوال مائة عام قبول الطريقة ، فلن يكون ذلك كأن تقبلك الطريقة لحظة واحدة ، إذ أن هذا الأمر لا يكون بالخرقة ، بل بالحرقة ، وحين يصبح الرجل عارفاً بالطريقة فسواء لديه القباء والعباء . وحين يكون غريباً — عن الطريقة — تكون مرقعته رقعة الإدبار ومنشور الشقاء يوم النشور ، كما قيل لذلك الشيخ الكبير : لمَ لا ترتدي المرقعة ؟ فقال من النفاق أن ترتدي لباس الفتيان ولا تفعل فعل الفتيان ، ومن النفاق التخلي عن تكليف الفتوة . فإن كنت ترتدي هذا اللباس ليعرف الله أنك له ، فهو يعرفك بلا لباس . وإذا كان ذلك لتقول للخلق : إنني لله ، فإن تكن هكذا — أي خالصاً لله — فهذا رياء ، وإن لم تكن هكذا ، فهذا نفاق . وهذا طريق صعب مليء بالأخطار ، وأهل الحق أجلّ من أن يُعرفوا بالثياب .

... الصفاء من الله تعالى نعمة للعبد وكرامة ظاهرة ، والصوف من لباس الأنعام ، ثم كانت الحاية حيلة ، إذ يجعل فريق الحيلة وسيلة إلى القربة ، ويؤدون ما عليهم ويزينون ظاهرهم آملين أن يكونوا من بينهم . وقد أمر مشايخ هذه الطريقة المريدين بأن يتحلوا بالمرقعات ، ويتزينوا بها ، وقد فعلوا هم ذلك أيضاً ، لتكون لهم علاقة بين الخلق ، وليكون الخلق جميعهم رقباء عليهم ،

فإن حادوا عن الحق خطوة تطاولت عليهم ألسنة الملامة ، وإن يرغبوا في ارتكاب معصية ، فلن يستطيعوا خجلاً من الخلق . والمرقعة — في الجملة — زينة لأولياء الله عز وجل ، يعز بها العوام ، ويذل بها الخواص . وعز العوام يتمثل في أنهم حين يرتدونها ، يحترمهم الخلق ، أما ذل الخواص فيتمثل في أنهم حين يرتدونها ، فإن الخلق ينظرون إليهم نظرتهم إلى العوام ، ويلومونهم على ذلك ، وعلى هذا فالمرقعة للعوام لباس النعم ، وللخواص رداء البلاء ، فمعظم العوام يكونون مضطرين في ذلك ، ولا سبيل أمامهم غير ذلك ، ولما لم تكن لديهم وسيلة أخرى لطلب الحياة ، فإنهم يطلبون الرئاسة بذلك ، ويجعلونها سبباً لجمع النعم ، أما الخواص فيقولون بترك الرئاسة ويفضلون الذل على العز . وهكذا تكون لهؤلاء القوم بلاء في حين تكون لأولئك نعمة ...

المرقعة رداء الوفاء لأهل الصفاء ، ولباس السرور لأهل الغرور ، فبها يتجرد أهل الصفاء من كلا الكونين ، ويلبسها ينقطعون عن كل مألوف ، أما أهل الغرور فهي حجاب لهم عن الحق ، وبها ينقطعون عن الصلاح ، وفي الجملة فإنها بالنسبة للجميع سمة الصلاح وسبب الفلاح ، والمراد من كل هذا ، أنها صفاء لواحد ، وعطاء لواحد وغطاء لواحد ووطاء لواحد .

قابوسنامه (نصیحت نامه)

قابوسنامه [1]

قال المستشرق الإنجليزي ادوارد جرانفيل براون في كتابه تاريخ الأدب في إيران الجزء الثاني : فاز كتاب قابوسنامه بشهرة عريضة وهو بغير شك قمين بها ، وأهل لها لأنه مليء بالحكمة والبراعة ، غني بالحكايات والأمثلة . يضاف إلى هذا أنه كتاب ملكي كتبه صاحبه بأسلوب صريح لا مواربة فيه ، مستمداً موضوعاته من تجاربه الكثيرة الناضجة وخبرته الطويلة [2] ...

ومؤلف هذا الكتاب القيم هو الأمير عنصر المعالي كيكاوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمگير بن زيار ، وهو الملك الزياري السابع الذي حكم في كوهستان ما بين عامي ٤٤١–٤٦٢ [3] . وقد كان هذا الأمير على صلة كبيرة بالأسرة الغزنوية ، حيث تزوج ابنة السلطان محمود الغزنوي [4] ، كما توجه إلى الهند في صحبة السلطان مسعود الغزنوي أثناء حملاته لنشر الإسلام هناك ،

---

(١) للمزيد من المعلومات عن قابوسنامه يرجع إلى الترجمة العربية التي قام بها الدكتور أمين عبد المجيد ونشرت بالقاهرة : ١٩٥٢ .

(٢) ادوارد ج . براون : تاريخ الأدب في ايران ج ٢ ص ٣٤٦ ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي .

(٣) كتاب نصيحت نامه ياقابوسنامه ، تصحيح ومقدمه دكتر أمين عبد المجيد ، تهران ١٣٤٢ ش ص : ١٩ .

(٤) ادوارد براون : تاريخ الأدب ج ٢ ص ٣٤٦ .

ولذا فقد ذكر المؤلف في كتابه أنه شارك في الجهاد من أجل نشر الإسلام في كل من الهند وجورجيا وأرمينية ، ولعل مشاركته في نشر الإسلام في كل من جورجيا وأرمينية كانت أثناء توليه الحكم في كوهستان وبعد أن تخلى عن مصاحبة الغزنويين في الهند ، فقد قيل بأنه ظل مقيماً في الهند بعد وفاة السلطان مسعود الغزنوي مدة ثماني سنوات كان خلالها نديماً للسلطان مودود بن مسعود .

وعلى كل حال فالأخبار المتعلقة بحياة المؤلف وفترة حكمه ضئيلة للغاية في كتب التاريخ كما أنه لم يشأ أن يذكر الكثير من أخباره في كتابه قابوسنامه ، بل إن أغلب المؤرخين يعرّفونه بأنه مؤلف قابوسنامه أكثر من تعريفهم إياه بأنه كان حاكماً وملكاً . ووسط هذا الغموض لم نعرف عنه إلا القليل النادر ، ومن ذلك القول بأنه ولد في حوالي عام ٤١٢ هـ[1] وأنه بدأ تأليف الكتاب حوالي عام ٤٧٥ هـ أي وله من العمر ثلاثة وستون عاماً ، وأنه توفي بعد الفراغ من تأليف كتابه بفترة وجيزة ، وأنه إلى جانب كونه كاتباً ذا أسلوب متميز — كما سنعرف عند الحديث عن كتابه — كان يقرض الشعر كذلك ، ولكن قدرته على النظم كانت أقل بكثير من قدرته على الكتابة النثرية . ولهذا جاء شعره ركيكاً إذا ما قيس بفصاحة نثره .

وكتاب قابوسنامه يعرف أحياناً باسم كتاب النصيحة . وقد أخذ الاسم الأول من اسم مؤلفه وهو قابوس معرب كيكاوس ، أما الاسم الثاني فهو يتفق وطبيعة الكتاب بالغرض من تأليفه ، وقد وردت العبارة التالية في آخر مقدمة الكتاب : اعلم بعد ذلك يا بني أن كتاب النصيحة هذا ، وهو هذا الكتاب المبارك، قد وضعته على أربعة وأربعين باباً ، ولهذا يرجع أن يكون الاسم القديم لهذا الكتاب هو نصيحت نامه (كتاب النصيحة)[2] ، ولكن هذا الاسم توارى وراء اسم مؤلفه ، فأصبح يعرف باسم قابوسنامه .

---

(١) هزارسال نثر پارسی ج ٢ ص ٤٢٢ .

(٢) دكتر أمين عبد المجيد : كتاب نصيحت نامه ياقابوسنامه ص : ٣ .

وقد ألف الأمير عنصر المعالي قابوس كتابه هذا ليكون بمثابة إرشاد ونصح لابنه الأمير گيلانشاه ، فقد ذكر في المقدمة شكوى الآباء من عدم امتثال الأبناء للنصح ، فأراد بهذا الكتاب أن ينصح ابنه متخذاً طريق الرفق واللين والتشويق حتى يؤثر في نفس ابنه وقلبه ، لعله يمتثل لنصائحه ، ومما يعلي من قدر الكتاب ، أن جميع ما ورد به كان من واقع تجارب المؤلف وقراءاته وثقافته ، وقد عرض علينا المؤلف أفكاره في خلط عجيب من الصنعة والبساطة ، والشك والزهادة ، والاستخفاف والعفاف ، فنراه يعالج الموضوعات الأخلاقية دون أن يتعرض لناحيتها الروحية ، فيكتفي ببيان فائدة الصلاة والصوم حتى يقبل القارئ عليهما لما فيهما من نفع شخصي له ، ويقول في كتابه بوجوب اتباع أحكام الإسلام لأنه لا توجد حكومة أقوى من حكومة الإسلام [1] ....

ويشتمل الكتاب بعد المقدمة على أربعة وأربعين باباً أو فصلاً ، كل باب منها في مطلب مستقل ، ومطالب هذا الكتاب ترجع في معظمها إلى تيسير دفة الحكم ، والحياة الخاصة بالأشراف ومن هم على صلة بهم من أهل العلم والفضل والفضيلة .

ويمكن تقسيم الموضوعات التي تناولها الكتاب إلى ثمانية موضوعات هي [2] :

١ — الحكم

٢ — الوعظ والإرشاد

٣ — في العلوم المتصلة بفن الحياة ، والحياة الاجتماعية .

٤ — في الأخلاق والتربية

---

(١) براون : ج ٢ ص : ٣٥٤ .

(٢) دكتر أمين عبد المجيد : قابوسنامه ، ص ١١ .

٥ – في طلب العلم وتحصيل الفضل .

٦ – في الرياضة كالفروسية

٧ – في الأعمال والحرف ، كالتجارة والطرب والفلاحة والصناعة

٨ – في السياسة وإدارة المملكة .

وفي وسط هذه الأبواب أو الفصول كان الكاتب يورد حكايات بلغ عددها إحدى وخمسين حكاية ليوضح بها آراءه ونصائحه ، وذلك بأسلوب سلس شيق ، تدل على تفوق المؤلف في سرد الحكايات والقصص .

وتبدو أهمية كتاب قابوسنامه في نقاط عدة أهمها :

١ – صدق الكاتب فيما يكتب ، فلم يكن يقدمه لملك أو أمير حتى يتملقه ، أو يكتب غير ما يقصد ، بل كان الكاتب ملكاً ، لذا بعد كتابه عن التملق والرياء والنفاق ، وكان أباً يكتب لابنه ، فكان صادق الأحاسيس عندما يوجه النصح والإرشاد لابنه وفلذة كبده ، كما كان صاحب تجربة واسعة وعلم وفير ، مكنه كل ذلك من أن يحسن العرض والنصح ، ويقدم الكثير من المعلومات والنصائح مع إسناد بعض الحكم إلى قائليها سواء من الفرس أو العرب أو اليونان .

٢ – كان المؤلف شاعراً إلى جانب كونه كاتباً ، لذا أورد كثيراً من أبيات الشعر في ثنايا النثر ، وهو يعد من أوائل الكتب التي نهجت هذا الأسلوب في التأليف [١] وتبعه في ذلك سعدي في الگلستان ، وقد كانت بعض الأشعار من تأليف الكاتب نفسه وبعضها من نظم غيره ، ولكن من الملاحظ أن عنصر المعالي قابوس كان يصرح أحياناً باسم الشاعر وأحياناً يورد البيت دون ذكر صاحبه . كما أن الحق يوجب القول بأن أسلوبه النثري يفوق أسلوبه الشعري

---

(١) سبك شناسى ج ٢ ص ١٢٠ .

وعلى هذا فإن الدارسين يعتبرون شعره ركيكاً إذا ما قيس بفصاحة أسلوبه النثري وسلاسته .

٣ – أورد المؤلف كثيراً من الأمثال والحكم التي كانت شائعة الاستعمال في عصره ، أو التي اطلع عليها المؤلف في قراءاته ، فأثبتها في مواضعها من الكتاب لتكون عوناً له على هداية ابنه ، وحمله على تقبل النصح والموعظة ، ومن هذه الأمثال والحكم نسوق ما يلي [١] :

– كل طائر يطير مع شاكله .

– المرء في داره كالملك في مملكته .

– عصفور في اليد خير من طاووس مرتقب .

– من أتعس الأمور أن يحتاج الرقيب إلى من يراقبه .

– إذا أردت أن تدخل مكاناً ، فانظر أولاً كيف تخرج منه .

– مهما بلغ الأمر ، فلن يؤتمن القط على الشحم (الدهن) .

– الحيوان المجرب خير من الإنسان عديم التجربة .

– ضاع الحمار وسرق الرسن .

– أن تحظى بالقليل نقداً ، خير من توعد بالكثير أجلاً .

– ليس في مقدور من نام في القبر أن ينام في الدار .

٤ – يعد كتاب قابوسنامه من الكتب الهامة في النثر الفارسي التي أطلعتنا على الكثير من مظاهر التمدن والتحضر والأوضاع الاجتماعية في عصره ؛ بل يمكن اعتباره خير مصدر للتعرف على الكثير من مظاهر الحضارة الإسلامية

---

(١) المرجع السابق ، ونفس الصفحة ، وتاريخ الأدب لبراون ، ص : ٣٥٤ .

قبل الغزو المغولي [1] .

٥ – يعتبر نثر قابوسنامه من أفضل وأسلس نماذج النثر في اللغة الفارسية[2]، وأسلوبه يتسم بالإيجاز في اللفظ مع الإشباع في المعنى . وخلوه من المترادفات اللفظية . كما أن الألفاظ العربية المستعملة فيه جاءت عفواً ودون قصد ، إذ لم يستعمل إلا ما كان سائداً في زمانه من ألفاظ كانت في متناول فهم الجميع ، فالكتاب للنصح والإرشاد ، وعلى هذا يجب أن يكون واضحاً قريب المنال ، حتى لا يضيع فكر القارىء في معرفة المحسنات والصور البلاغية ، ثم ينسى النصيحة وهي لب الكتاب وهدفه الأول ، وليس معنى هذا أي ضعف أو وهن في الأسلوب ، بل إنه أسلوب قوي سلس ، يدخل في باب السهل الممتنع من الأساليب . كما كان عنصر المعالي حريصاً على أن يزين كلامه بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأشعار الفارسية والعربية التي تخدم الغرض الذي يكتب من أجله .

٦ – لقد أحيا الكتاب الطريقة القديمة التي كانت سائدة قبل الإسلام ، وهي تأليف كتب النصيحة للملوك ، وقد تبعه في ذلك عدد من الكتب في الأدب الفارسي ، إما عن طريق التأليف ككتاب سياست نامه لنظام الملك ، ونصيحة الملوك المنسوب إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، والبوستان والگلستان لسعدي ، أو عن طريق النقل والترجمة والتقديم والتأخير والحذف من الكتب العربية أو الفارسية الأخرى مثل أخلاق ناصرى [3] .

° ° °

ونتيجة لما حظي به هذا الكتاب القيم من اهتمام داخل إيران وخارجها ، فقد ترجم إلى عدة لغات أجنبية . فقد ترجم إلى الفرنسية ، حيث ترجمه

---

(١) سبك شناسی ج ٢ ص : ١١٤ .

(٢) فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ٣٩١ .

(٣) دكتر أمين عبد المجيد ، قابوسنامه ، ص ١٨ ، ١٩ .

كويري Query كما ترجم إلى الإنجليزية والروسية ، وترجم ثلاث مرات إلى اللغة التركية [1] ، ثم ترجم إلى اللغة العربية في عام ١٩٥٢ وذلك بفضل الدكتور أمين عبد المجيد بدوي .

ونتيجة أيضاً لشهرته الواسعة وتميزه في مجال النثر الفارسي وفي طريقة سرد الحكايات والقصص المشوقة ، فقد نقلت عنه كثير من الكتب القديمة ، ومنها حديقة الحقيقة لسنائي وجوامع الحكايات لمحمد عوفي ، ونگارستان للقاضي أحمد غفاري ، وتاريخ طبرستان لابن اسفنديار ، ومطلع الأنوار لخسرو الدهلوي ، وروضة الأنوار لمحقق سبزوار ، وغير ذلك من الكتب التي ألفت بعده [2] .

وخير ما نختم به الحديث عن قابوسنامه كلمة ملك الشعراء بهار في كتابه سبك شناسى : « يمكننا القول بشجاعة ، وجرأة ، أن قابوسنامه يقف في الصف الأول من صفوف النثر الفارسي السلس والتام والجميل » [3] ...

* * *

نصوص فارسية من كتاب قابو سنامه :

نظراً لأن كتاب قابوسنامه يضم أربعة وأربعين باباً ، وإحدى وخمسين حكاية ، فسنورد نماذج لهذه الأبواب ، ونماذج أخرى للحكايات ، على أن نتبع كل نموذج فارسي بترجمته العربية :

---

(١) تاريخ الأدب في ايران ، ج ٢ ص ٣٤٦ .
(٢) قابوسنامه : نشر دكتر أمين عبد المجيد ، ص : ٤ .
(٣) سبك شناسى ، ج ٢ ص ١١٤ .

۱ – باب نهم – درپیری وجوانی

ای پسر ! هرچند جوانی ، پیر عقل باش ، نگویم که جوانی فکن لیکن جوان خویشتن دار باش وازجوانان پژمرده مباش ، که جوان شاطر نیکو بود ، چنانکه ارسطاطالیس گوید : (الشباب شعبة من الجنون) ونیز از جوانان جاهل مباش ، که از شاطری بلانخیزد واز جاهلی بلا خیزد . وبهرهٔ خویش بقدر طاقت از روزگار جوانی بردار ، که چون پیرشدی خودرا نتوانی گرد آورد ، چنانکه آن پیر گفت : که چندین سال حسرت وغم خوردم ، که چون پیرشوم ، خوبرویان مرانخواهند ، اکنون که پیر شدم ، من خود ایشان را نمیخواهم واگرخود خواهم نزیبد . وهرچند که جوان باشی ، خدای عز وجل فراموش مکن وازمرگ ایمن مباش ، که مرگ نه جوان داند ونه پیر . چنانکه عسجدی میگوید :

بیت

مرگ به پیری ، وجوان نیستی   پیر بمردی وجوان زیستی

• • •

الباب التاسع : في الكهولة والشباب

يا بني ! مهما كنت شاباً فلتكن لك رجاحة عقل الشيخ . لا أقول : تخل عن الشباب . ولكن حافظ على شبابك . ولا تكن من الشباب الخامل ، فالشاب الحصيف ما أعظمه . فقد قال أرسطاطاليس : الشباب شعبة من الجنون . وكذلك لا تكن من الشباب الجاهل ، فالبلاء لا يتولد من الحصافة وإنما يتأتى البلاء من الجهل . وخذ حظك من أيام الشباب قدر الطاقة . فإن

أصبحت كهلاً ، فلن تستطيع التحكم في نفسك ، وهكذا قال ذلك الشيخ : كم من السنين تحملتُ الحسرات والغم ، فعندما أصبح شيخاً ، فلن تهواني الحسان ، وعندما أصبحت الآن كهلاً ، فإنني الآخر لا أهواهن ، وإن أهواهن فلا يليق ذلك ، وطالما كنتَ شاباً فلا تنس الله عز وجل ، ولا تأمن دنو الأجل ، فالموت لا يفرق بين شاب وكهل ، وهكذا قال العسجدي :

بيـــت

لا يرتبط الموت بالمشيب أو بالشباب   ولا أن يموت الشيخ ويعمر الشباب !

° ° °

۲ – باب بیست ودوم : در امانت نهادن

اگرکسی بتوامانتی بدهد ، بهیچ حال مپذیر وچون پذیرفتی نگاهدار ، از آنکه امانت پذیرفتن بلا پذیرفتن بود . واگرکس بتوامانتی بدهد ، این امانت رابری بازدهی ، چنانکه ایزد عز وعلا در محکم تنزیل خود میفرماید که (أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) که طریق مردمی وآدمی گری وجوانمردی آنست ، که امانت نپذیری . وچون پذیرفتی نگاه داری ، وبسلامت بخداوند باز رسانی .

° ° °

الباب الثاني والعشرون : في إيداع الأمانة

إن يودع شخص لديك أمانة ، فلا تقبل بأي حال مطلقاً ، وإن قبلت فكن حذراً ! وذلك لأن قبول الأمانة قبول للبلاء ، ... وإن يعطك شخص

أمانة ، فعليك أن تردها إليه مرة أخرى ، امتثالاً لأمر الله عز وعلا في محكم تنزيله (أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فطريق الرجولة والأدمية والفتوة هو ألا تقبل أمانة ، ولكن إن قبلت فلتحفظها ، وتعيدها سالمة إلى صاحبها .

• • •

٣ – باب سی وپنجم – در رسم شاعری

اگر شاعری باشی . جهدکن تاسخن تو سهل ممتنع باشد ، وپرهیز از سخن غامض ، وچیزی که تو دانی وکسی دیگرنداند که بشرح حاجت افتد ، مگوی ، که شعر از بهر مردمان گویند نه از بهرخویش . وبوزن وقوافی تهی قناعت مکن وبی صناعت وترتیب شعر مگوی ، که شعر راست ناخوش بود . یا صنعت وحرکت بایدکه بود وغلغلی بایدکه بود اندر شعر واندرزخمه واندر صوت ، تامردم را خوش آید ویاصناعتی برسم شعر چون مجانس ومطابق ومتضاد ومتشاکل ومتشابه ومستعار ومکرر ومردف ومزدوج وموازن ومضمون ومضمر ومسلسل ومسجع ومستوی ومرشح وموصل ومقطع ومخلع ومسمط ومستحیل ذو قافیتین ورجز ومتقارب ومقلوب ، أما اگر خواهی که سخن تو عالی باشد وبماند ، بیشتر سخن مستعار گوی واستعارت بر ممکنات کور ودر مدح . استعارت بکار دار . واگر غزل وترانه گویی سهل ولطیف وبقوافی گوی که معروف باشد ، وتازیهای سرد وغریب مگوی وحسب حالهای عاشقانه وشحنهای لطیف گوی وامثالهای خوش بکار دار چنانگه خاص وعام را خوش آید ، وشعر عروضی وگران مگوی ....

• • •

إن تكن شاعراً ، فاجتهد أنْ يكون كلامك من السهل الممتنع ، وتجنب الكلام الغامض ، ولا تقل الشيء الذي تعرفه ، ولا يعرفه الآخرون وإنما يحتاج إلى شرح وتوضيح ، فالشعر ينشد من أجل الجميع ، لا من أجل النفس . ولا تقنع بالأوزان والقوافي الجوفاء ، ولا تنظم شعراً بلا صنعة وحسن ترتيب ، فالشعر المباشر غير مقبول . فإما أن تكون فيه صنعة وحركة كما يجب ، وبه حرارة وغليان كما يجب ، سواء في طريقة النظم أو في تحريك الأحاسيس أو في الصوت حتى يكون مستحسناً من الخلق ، وأنْ تكون تلك الصناعة متعلقة بقوانين الشعر مثل الجناس والطباق والمتضاد والمتشاكل والمتشابه والمستعار والمكرر والمردف والمزدوج والموازن والمضمون والمضمر والمسلسل والمسجع والمستوى والمرشح والموصل والمقطع والمخلع والمسمط والمستحيل ذي القافيتين والرجز والمتقارب والمقلوب . وإن كنت ترغب في الارتفاع بكلامك وتضمن له الخلود ، فليكن معظم حديثك مقروناً بالاستعارة ، ولتقل الاستعارة المقبولة . ولتستخدم الاستعارة في المديح ، وعندما تنشد غزلاً أو أغنية فلتكن سهلة لطيفة . وأن تكون قوافيها شائعة معروفة ، ولا تضمنه الكلمات العربية الباردة والغريبة . ولتقل بما يتفق وحسب الأحوال العاطفية والكلام اللطيف ، ولتستعمل الأمثال المستحسنة كتلك التي يستحسنها كل من الخاص والعام ، ولا تقل شعراً عروضياً ومُستهجناً .

* * *

٤ — باب چهل ودويم — در آئين پاد شاهى

اى پسر ! اگر روزى پادشاه باشى پارسا باش ، وچشم ودست از حرم مسلمانان دور دار ، وپاك شلوار باش . كه پاك شلوارى دينيست ودرهر كارى . راى خودرا فرمان بردار خردكن وهركارى كه خواهى كردن

اول با خرد مشورت کن که وزیر الوزراء پادشاه خردست . وتاروی درنگ بینی ، شتاب زدگی مکن وبهر کاری که در خواهی شدن ، نخست طریق بیرون آمدن آن کار برگیر وتا آخر نه بینی ، اول مبین . ودرهمه کارها مدارا نگاه دار ، وهرکاری که بمدارا برآید ، جز بمدارا پیش مبر . وبه بیدادی مپسند وهمه کارها وسخنها را بچشم داد بین ، تادر همه کارها حق وباطل بتوانی دیدن ، که چون پادشاه چشم داد وخردمندی گشاده ندارد ، طریق حق وباطل بروگشاده نشود . وهمیشه راستگوی باش ولیکن کم گوی وکم خنده باش ، تاکهتران برتو دلیری نکنند ، که گفته اند : بدترین کاری پادشاه را دلیری رعیت است ونافرمانی حاشیه وعطای که ازو بیابد بمستحقان نرسد ....

• • •

الباب الثاني والأربعون : في دستور السلطنة

أيها الغلام ! إن تكن ذات يوم سلطاناً ، فلتكن زاهداً عفاً ، ولتبعد عينك ويدك عن حرمات المسلمين . ولتكن طاهر الذيل ، فطهارة الذيل من الدين ، ولتجعل رأيك في كل أمر خاضعاً لمنطق العقل ، وأي عمل تريد إتيانه ، فلتستشر فيه أولا من يصغرك ، فرئيس الوزراء سلطان صغير ، وإن تر وجها للتأخير ، فلا تسلك طريق العجلة ، وفي أي عمل تريد أن تخوض فيه فلتنظر أولاً طريق الخروج . ولا تنظر إلى البداية إن كنت لا ترى النهاية ، ولتسلك طريق المداراة في كل الأمور ، وفي كل أمر لا يتم إلا بالمداراة ، لا تمض فيه بغير المداراة ، ولا تستحسن الظلم ، ولتنظر إلى كل الأعمال والأقوال بعين الإنصاف ، حتى تستطيع رؤية الحق والباطل في كل الأمور ، فإن يعدم

السلطان العين المبصرة للإنصاف والتعقل ، فلن يفتح أمامه طريق الحق والباطل ، ولتكن صادقاً فيما تقول دائماً ، ولكن لتكن قليل الكلام ، قليل الضحك ، حتى لا يتجرأ عليك الصغار . فقد قيل : أسوأ ما يصيب السلطان تجرؤ الرعية عليه ، وعدم الطاعة من الحاشية ، والعطاء الذي يتصدق به فلا يصل إلى مستحقيه ! ...

* * *

٥ – حکایت

از جمله حاجبان پدرم حاجبی بود اورا حاجب کامل گفتندی . پیر بود وازهشتاد برگذشته بود ، خواست که اسپی بخرد . رایض اورا اسپی آورد ، فربه ونیکو رنگ ودرست قوایم . حاجب اسب را بدید وبپسندید وبها فرونهاد . چون دندانش بدید ، اسب پیر بود ، نخرید ، مردی دیگر بخرید ، من اورا گفتم : یا حاجب ، این اسب که فلان بخرید ، چرا تونخریدی ؟ گفت : او مردی جوانست واز رنج پیری خبر ندارد ، وآن‌اسب بزرگ منظراست . اگر او بدان غرّه شود معذور است . اما من از رنج وآفت پیری باخبرم واز ضعف وآفت او خبر دارم ، وچون اسب پیر خرم معذور هم نباشم .

* * *

حكـــاية

كان من بين حجاب والدي حاجب يقال له : الحاجب الكامل ، وكان

شيخاً قد تجاوز الثمانين . فأراد أن يشتري حصاناً ، فأحضر إليه السائس حصاناً مكتنزاً وحسن المنظر ، وذا قوائم مستقيمة . فرأى الحاجب الحصان وأعجب به ، وسأل عن ثمنه ، ولكن عندما رأى أسنانه ، وجد الحصان مسناً ، فلم يشتره ، واشتراه رجل آخر . فقلت له : يا حاجب ، هذا الحصان الذي اشتراه فلان ، لِمَ لَمْ تشتره ؟ قال : إنه رجل شاب ولا يدري شيئاً عن متاعب الشيخوخة ، وهذا الحصان الكبير مجرد منظر ، فإن يخدع هو بذلك ، فله عذره . أما بالنسبة لي وقد خبرت آفة الشيخوخة وألمها ، وأدركت ضعفها وعجزها ، فإنني إن أشتر حصاناً مسناً ، فلا أكون معذوراً كذلك ! !

• • •

٦ – حكايت

چنان شنودم که وقتی دو صوفی باهم میرفتند ، یکی مجرد بود ودیگری پنج دینار داشت . مجرد دلیر همی رفت وباك نداشت وهر کجاکه رسیدی ایمن بودی وجایگاه مخوف میخفتی ومیغلطیدی بمراد دل . وخداوند پنج دینار از بیم نیارستی خفتن ولیکن بنفس موافق او بودی ، تا وقتی بسرچاهی رسیدند جائی مخوف بود وسر چند راه بود؛ صوفی مجرد طعام بخورد وخوش بخفت وخداوند پنج دینار از بیم نیارست خفتن . همی گفت : چکنم . پنج دینار زر دارم واین جای مخوف است وتو بخفتی ومرا خواب نمیگیرد ، یعنی که نمی یارم خفت ونمی یارم رفت . صوفی مجرد گفت : پنج دینار بمن ده ، بدو داد . وی بتك چاه انداخت ، گفت : برستی ، ایمن بخسب وبنشین وبرو ، که مفلس در حصار روئین است .

• • •

حكايــة

هكذا سمعت أن صوفيين ذات مرة كانا يسيران معاً ، وكان أحدهما معدماً ومع الآخر خمسة دنانير . فكان المعدم يمشي جسوراً غير خائف ، وحيثما وصل كان يستشعر الأمن ، كما كان يستسلم للنوم في أي مكان مخيف ، وينعم بمراد قلبه ، أما صاحب الخمسة دنانير فلم يكن يستطيع النوم من الخوف ، ولكنه مضطر لمصاحبته ، إلى أن جاء وقت ووصلا إلى حافة بئر ، وكان المكان مهيباً ، وعلى مفرق عدة طرق ، فأكل الصوفي المعدم طعامه ونام هانئاً ، أما صاحب الخمسة دنانير فلم يستطع النوم . وأخذ يقول : ماذا أفعل ! معي خمسة دنانير ذهبية وهذا المكان جد مخيف . لقد استسلمت أنت النوم ، أما أنا فقد جفاني النوم ، أي أنني لا أستطيع النوم ، كما لا أستطيع المضي ! فقال الصوفي المعدم : أعطني الدنانير الخمسة ، فأعطاه إياها . فألقاها في قاع البئر ، وقال : لقد تحررت ، فنم مطمئناً واجلس وامض ، فالمعدم قوي صلد في المعارك !

* * *
*

٧ ــ حكايت

شنودم كه روزى شبلى رحمة الله عليه در مسجدى شد ، تا دو ركعت نماز بگزارد وزمانى برآسايد ، در مسجد كودكان دبيرستان بودند ، اتفاق را وقت نان خوردن كودكان بود ودوكودك بنزديك شبلى رحمة الله عليه نشسته بودند ، يكى پسر منعمى بود ويكى پسر درويشى ودوزنبيل نهاده بودند ، در زنبيل پسر منعم نان وحلوا بود ودرزنبيل پسر درويش نان تهى پسر منعم نان وحلوا ميخورد وپسر درويش از وى حلوا همى خواست .

پسر منعم گفت : اگر ترا پارهٔ حلوا بدهم توسگ من باشی ؟ گفت : باشم . گفت : بانگ کن تا ترا حلوا بدهم . آن بیچاره بانگ سگ همی کرد وپسر منعم حلوا بوی همی داد . چندکرت هم چنین بکرد وشیخ شبلی رحمة الله در ایشان نظاره میکرد ومیگریست . مریدان گفتند : اي شیخ . ترا چه رسید که گریان شدی ؟ گفت : نگاه کنیدکه طامعی وبی قناعتی بمردم چه میکند . چه بودی اگرآن کودك بنان خشك تهی خود قانع بودی وطمع حلوای آن کودك نکردی ، تاوی را سگ همچون خودی نبایستی بود .

پس ای پسر اگر زاهد یافاسق باشی قانع وپسندکارباش تا بزرگ ترین وپاك ترین جهان تو باشی وبدان ای پسرکه من دراین چهل وچهار باب این کتاب درهرفنی که دانستم ، چنانك توانستم با تو سخن گفتم ودر هر بابی سخنی چند ترا نصیحت کرم وپندی بدادم .

• • •

حكايـــة

سمعت أن الشبلي رحمة الله عليه ذهب ذات يوم إلى مسجد ، لكي يصلي ركعتين ويستريح بعض الوقت . وكان بالمسجد تلاميذ يدرسون . ومصادفة كان الوقت وقت تناول الأطفال طعامهم . فجلس على مقربة من الشبلي رحمة الله عليه طفلان ؛ أحدهما ابن غني والآخر ابن فقير . فوضع كل منهما زنبيله بجواره . فكان في زنبيل الولد الغني خبز وحلوى ، وفي زنبيل الفقير خبز فقط . ثم أخذ الولد الغني يأكل الخبز والحلوى ، وكان الطفل الفقير يطلب

منه قطعة من الحلوى . فقال الطفل الغني : إن أعطك قطعة من الحلوى ، فلتكن كلبي ! فقال : لأكن . فقال لتنبح حتى أعطيك الحلوى . فأخذ ذلك المسكين ينبح نباح الكلب ، والطفل الغني يعطيه الحلوى ، وهكذا فعل عدة مرات والشيخ الشبلي رحمه الله ينظر إليهما ويبكي . فقال المريدون : أيها الشيخ ، ماذا أصابك حتى تنتحب هكذا ؟ قال : انظروا كيف يفعل الطمع وعدم القناعة بالناس . ماذا كان يحدث لو أن ذلك الطفل قنع بخبزه الجاف وحده ، ولم يطمع في حلوى ذلك الطفل ، ولما أحال نفسه كلباً بهذه الصورة التي لا تليق ؟

وأنت يا بني [1] سواء أكنت زاهداً أو فاسقاً ، فلتكن قانعاً غير طامع ، حتى تكون أعظم وأطهر من في الدنيا . واعلم يا بني إنني في هذه الأربعة والأربعين باباً في هذا الكتاب قد حدثتك بكل ما أعرفه ، وذلك قدر استطاعتي ، وفي كل باب جعلت بعض الكلام بمثابة النصح والموعظة لك .....

(١) الحديث هنا يوجهه المؤلف عنصر المعالي قابوس إلى ابنه گيلانشاه ، ويفهم من الكلام أن ذلك جاء في آخر الكتاب .

سیاست نامه

خواجه نظام الملک

سياست نامه [1]

إذا كان كتاب قابوسنامه ألفه أمير لكي يقدم فيه النصح لابنه الذي سيخلفه على العرش من بعده ، فإن كتاب سياست نامه ، يسير في نفس الخط الفكري ، إذ ألفه أشهر وزير أنجبته الأرض الإيرانية منذ الفتح الإسلامي حتى الآن ، وهو خواجه نظام الملك ، ألفه ليقدم فيه النصح للملوك والحكام ، ويبين لهم كيف تساس أمور المملكة ، وقد ساعدته على ذلك الفترة الطويلة – حوالي ثلاثين سنة – التي شغل فيها منصب الوزارة لدى سلاطين السلاجقة في عز عنفوانهم وعظيم مجدهم ، كما كان صاحب فضل كبير في نشر الثقافة الإسلامية وإنشاء المدارس في شتى البلاد التابعة للدولة السلجوقية ، وتفصيل الدور الذي لعبه نظام الملك يتمثل في النبذة الآتية عن تاريخ حياته السياسية والفكرية [2] :

اسم المؤلف هو أبو الحسن بن علي بن اسحق الطوسي ويلقب بنظام الملك ، وقد ولد في مدينة طوس عام ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) وتعلم في صباه اللغة الفارسية واللغة العربية ودرس العلوم الفقهية حتى اشتغل لدى بعض حكام المناطق المجاورة ، ثم واتته الفرصة لكي يلتحق ببلاط الأمير ألب أرسلان

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور السيد محمد العزاوي ، ونشره بالقاهرة .
(٢) سأكتفي باعطاء نبذة موجزة غاية الايجاز ، فكتب التاريخ العربي والفارسي ودوائر المعارف خاصة بأخبار هذا الوزير الكبير .

السلجوقي قبل أن يصبح سلطاناً أعظم للسلاجقة ، وظل يعمل في بلاطه حتى توفي السلطان طغرل الأول عام ٤٥٥ هـ ، وانتقلت السلطنة إلى ألب أرسلان ، ولكن كانت الوزارة يشغلها في ذلك الوقت وزير فاضل اسمه عميد الملك الكندري . فخطط نظام الملك وأعوانه حتى تخلصوا من هذا الوزير ، وتولى نظام الملك الوزارة . فكان بمثابة الشريك لألب أرسلان في تسيير دفة الحكم ، وكان بمثابة المعلم له كذلك حيث كانت خبرة نظام الملك تفضل خبرة ألب أرسلان ، إذ كان نظام الملك باعتراف الجميع من أقدر رجال الإدارة وأقوى رجال السياسة . كما ساعده على ذلك أنه كان شديد الوطأة على الإسماعيلية الذين كانوا يهددون الدولة من الداخل . وإلى جانب ذلك كان كريماً غاية الكرم مع الأدباء والفضلاء والعلماء ، كما لم يضن ببذل أي جهد في سبيل صيانة الأمن وإسعاد الخلق ونشر الدين والتعليم . ومن أول الأعمال الهامة التي أقدم على تنفيذها بعد توليه الوزارة إنشاؤه المدرسة النظامية ببغداد ، وإسناد أمر التدريس فيها إلى حجة الإسلام أبي حامد الغزالي .

وقد ظل نظام الملك وزيراً لألب أرسلان حتى توفي هذا السلطان في عام ٤٦٥ هـ . وتولى ابنه ملكشاه من بعده ، فاحتفظ نظام الملك بالوزارة في عهده كذلك . وكان عوناً له على تسيير دفة حكم الدولة السلجوقية المترامية الأطراف . كما كان سوطه المسلط على رقاب الملاحدة من أنصار المذهب الإسماعيلي . كما أن إقدامه على تأليف سياست نامه كان امتثالاً لأوامر ملكشـــاه .

وقد ظلت الأمور بينهما على هذا المنوال حتى أواخر عهد كليهما ؛ فقد حدث في حدود عام ٤٨٥ هـ خلاف بينهما نتيجة للوشايات المختلفة ؛ فاتهم السلطان وزيره بأنه قد قسم الوظائف الإدارية في الدولة بين جميع أبنائه ، حتى أنهم سلبوه سلطانه ؛ كما كان الخلاف بين زوجات ملكشاه حول تحديد ولي العهد سبباً في ازدياد الخلاف بين السلطان ووزيره . حتى

أرسل السلطان إليه ذات مرة يعنفه على تدخله في كل صغيرة وكبيرة في الدولة ، ويسأله هل هو وزيره أم شريكه ، فما كان من الوزير إلا أن رد عليه قائلاً : « إن الذي وضع التاج على رأسك هو الذي وضع العمامة على رأسي » أي إن بقاءك في الحكم مرهون ببقائي ، فغضب السلطان ولكنه لم يجرؤ على اتخاذ موقف عدائي منه أو إقالته لالتفاف الناس جميعاً حول نظام الملك . ثم خرج السلطان والوزير قاصدين بغداد في رمضان سنة ٤٨٥ هـ ، وهنا تربص دعاة المذهب الإسماعيلي للوزير نظام الملك في الطريق وأردوه قتيلاً ، مما كان سبباً في اتهام البعض للسلطان بالتحريض عليه ، ولكن لم يمض أكثر من شهرين حتى مات السلطان نفسه ، وبذلك فقدت الدولة السلجوقية أكبر حماتها وبدأت تدخل في صراعات حول العرش ، مما ساعد أعداءها على التصدي لها ... وقد أدى هذا بطبيعة الحال إلى ضعفها ثم زوالها بعد ذلك ، وكأنها كانت تعتمد على دعامتين أساسيتين هما نظام الملك وملكشاه وما أن سقطت هاتين الدعامتين حتى سارعت الدولة كلها إلى السقوط ، وإن أخذ ذلك بعض الوقت بطبيعة الحـــال .

أما عن قصة تأليف سياست نامه ، فتتمثل في أن السلطان ملكشاه رغب في أن يؤلف كل واحد من مستشاريه رسالة في نظام الحكم ، يبين فيها أنواع المفاسد والعيوب التي انتشرت في أرجاء البلاد ونواحي إدارتها ، كما يبين كذلك أنواع البدع المستحدثة الضارة التي أخذت في الظهور ، وأنواع العادات الحسنة التي أصابها الإهمال [1] ...

فاستجاب جمع كبير من مستشاري السلطان ملكشاه ومنهم الوزير نظام الملك وألفوا عدة رسائل في نظام الحكم ، وعندما قرأ السلطان الرسائل كلها لم يعجبه غير رسالة الوزير نظام الملك ، حتى ورد في الأخبار أنه قال بصددها :

« لقد عالج نظام الملك جميع الموضوعات وفقاً لرغبة قلبي ، ولم يترك

---

(١) براون : تاريخ الأدب في ايران جـ ٢ ترجمة الدكتور الشواربي ص : ٢٦٠ .

شيئاً لباحث حتى يضيفه إلى كتابه ، ومن أجل ذلك فإني أتخذه هادياً ومرشداً يهديني سواء السبيل »[1] ...

ويقال إن نظام الملك بعد أن أعجب السلطان برسالته ، استردها مرة أخرى ليضيف إليها موضوعات أخرى ونكات تضفي عليها مزيداً من الايضاح ولتفسير بعض المبادىء التي أشار إليها بإيجاز من قبل . وورد في الأخبار بأن نظام الملك كان قد بدأ في تأليفها عام ٤٨٤ هـ وأنه أتمها في حدود سنة واحدة إذ انتهى منها قبل أن يتوجه مع السلطان ملكشاه إلى بغداد عام ٤٨٥ هـ . وهي الرحلة التي لم يعد منها حيث اغتيل أثناءها .

والطريقة التي اتبعها في تأليف كتابه يسيرة قريبة : فهو يتناول ناحية من النواحي الإدارية التي يلاحظ عليها الخلل والنقص : ويبين طريقة علاجها ثم يسوق مما حفظه أو رآه أو سمعه ما يؤيد ما ذهب إليه في طريق العلاج[2] .

والاسم المشهور لهذا الكتاب هو « سياست نامه » ولكنه يعرف أحياناً باسم (سير الملوك) أو (السير) فقط ، وعلى كل حال فاسم سياست نامه أصدق الأسماء الثلاثة ، لأن المؤلف كان يرشد ملكشاه إلى السياسة الصحيحة فيما يتصل بشخصه وأهل بيته وداخل البلاد وخارجها أو بعبارة أخرى في كل الواجبات الملكية[3] .

والكتاب يقع في خمسين باباً ولكنه — كما يقول ملك الشعراء بهار ، كان يقع أولاً في أربعة وخمسين باباً[4] اندثرت أربعة أبواب منها .

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة .
(٢) نظام الملك ، سياست نامه ، ترجمة وتعليق الدكتور السيد محمد العزاوي ، ص : ١٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص : ١٦ .
(٤) سبك شناسى ج ٢ ، ص : ٩٥ .

وترجع قيمة كتاب سياستنامه لما يلي :

١ ـ مؤلف الكتاب شخصية لها قيمتها التاريخية ، وقد قام بدور كبير في تدعيم حكم الدولة السلجوقية ، ولذلك فإن الآراء التي قدمها في كتابه سياست نامه آراء مستمدة من واقع عمله وتجاربه ، ولم تكن مجرد آراء نظرية غير قابلة للتنفيذ أو التجريب ، بعكس ما كتبه غيره من المؤلفين الذين لم تتح لهم فرصة العمل السياسي كابن سينا الذي ألف رسالة في السياسة أو الغزالي في كتابه نصيحة الملوك ... وغيرهما .

٢ ـ بجانب الأخبار التاريخية التي تضمنها كتاب سياست نامه ، فإنه يعد كتاباً مفيداً في تصوير الحالة الاجتماعية في القرن الخامس الهجري ، وما كان يسود هذا القرن من تيارات سياسية ومذهبية مختلفة ، وبخاصة تيار دعاة الإسماعيلية الذين خصهم نظام الملك بالكثير من الذكر ، وإن كان ذلك تم في صورة هجوم مستمر عليهم وعلى دعوتهم ، لأنه اعتبرهم خارجين عن الطريق الإسلامي الصحيح .

٣ ـ يتميز أسلوب سياستنامه بأنه سلس واضح بعيد عن الغموض ، كما جاء خالياً من كل المحسنات البلاغية ، وإن استعمل كثرة من الألفاظ العربية [1] ، ولعل الصلات الوطيدة التي كانت تربط الدولة السلجوقية والخلافة العباسية في بغداد ، وما تبع ذلك من ذهاب نظام الملك أكثر من مرة إلى بغداد ، كل ذلك خفف من الاتجاه الذي ساد قبل ذلك ، والداعي إلى ضرورة الإقلال من الألفاظ العربية في الكتابة الفارسية ، ولهذا أكثر نظام الملك من الألفاظ العربية كسمة الأسلوب الفارسي وقت تأليف الكتاب .

ومع كل هذا فأسلوب سياستنامه أجمع الكل على فصاحته وجزالته ، ومنهم براون في كتابه تاريخ الأدب في إيران ، وعباس اقبال في مقدمة نسخة

---

(١) سبك شناسى ، ج ٢ ص ٩٦ وما بعدها .

طهران من سياستنامه والتي أشرف على نشرها ، وملك الشعراء بهار في كتابه سبك شناسى الجزء الثاني . وكذلك مترجم سياستنامه إلى اللغة العربية ، الدكتور السيد محمد العزاوي ، وغيرهم كثيرون .

٤ – وردت في سياستنامه بعض القصص، كما وردت قصص أخرى في كتاب قابوسنامه ، ولكن بعض قصص سياستنامه اتسمت بالطول وإيراد بعض التفصيلات بصورة أكبر مما هو موجود في قصص قابوسنامه ، أي أن سياست نامه تعد مرحلة من مراحل الانتقال من الحكاية القصيرة إلى الحكاية الطويلة أو إلى ما يسمى باسم المقامات بعد ذلك [١] .

وأمام كل هذه المميزات التي تميزت بها سياست نامه ، فقد حظيت باهتمام عدد كبير من المشتغلين بالأدب الفارسي في داخل إيران وخارجها ، كما ترجمت إلى لغات عدة ، واستحقت أن يقول عنها المستشرق الإنجليزي الشهير براون : « وكتاب سياست نامه يعتبر في رأيي من أهم الكتب الممتعة القيمة التي كتبت نثراً في الفارسية » [٢] ...

• • •

نصوص فارسية من كتاب سياستنامه

١ – اندر مُقطعان وبر رسيدن از احوال تا با رعايا چون مى روند :

مقطعان كه اقطاع دارند ، بايد كه بدانند كه ايشان را بر رعايا جز آن نيست كه مال حق كه بديشان حوالت كرده اند از ايشان بستانند بر وجهى

---

(١) دكتور السيد محمد عزاوي ، مقدمة ترجمة سياستنامه العربية ، ص : ١٨ .

(٢) ادوارد براون : تاريخ الأدب في ايران جـ ٢ ترجمة الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، ص : ٢٦١ .

نیکو ، وچون آن بستدند ، آن رعایا ، به تن ومال وزن وفرزند وضیاع واسباب، از ایشان ایمن باشند ، ومقطعان را بر ایشان سبیلی نبود [1] . ورعایا ، اگر خواهندکه به درگاه آیند وحال خویش باز نمایند ، مرایشان را از آن بازندارند . وهر مقطعی که جزاین کند دستش کوتاه کند واقطاعش باز ستانند وبا او عتاب کنند ، تادیگران عبرت گیرند . وایشان را بحقیقت باید دانست که مُلك ورعیت ، همه سلطان را است . مقطعان بر سرایشان ؛ ووالیان همچنین چون شحنه ای اند ، بارعیت همچنان روندکه پادشاه بادیگر رعایا ، تا پسندیده باشد ، واز عقوبت پادشاه وعذاب آخرت ایمن باشند .

في أهل الاقطاع والسؤال عن سيرتهم في الناس

ينبغي لأهل الاقطاع أن يدركوا أنه ليس لهم على الرعية إلا أن يجبوا منهم المال الحق الذي عهدت إليهم جبايته بالرفق والحسنى ، فإذا جبوه ، وجب أن يستشعر الناس الأمن على أنفسهم ونسائهم وأموالهم وعيالهم وكذلك على معايشهم وضياعهم . وليس لأهل الاقطاع أن يعترضوا سبيلهم بعد ذلك . أما إذا رغبت الرعية في أن ترد باب الملك لتطلعه على أمرها . وجب عليهم — أهل الاقطاع — ألا يحولوا بينهم وبين ذلك . أما من سار من المقطعين في الناس بغير ذلك ، وجب أن تغل يداه وأن ينزع منه إقطاعه ، وأن يحاسب ويعاتب على ذلك حتى يكون عبرة للآخرين . ومهما يكن فعليهم أن يدركوا أن المُلك والرعية للسلطان جميعاً . وأنهم — أي أهل الاقطاع وكذلك الولاة وهم على رأس الرعية ، ليسوا إلا حراساً ينبغي ألا يكون لهم على الرعية إلا ما يكون

---

(١) يعني به ایشان تعرض نتوانند کرد .

للسلطان عليها ، وذلك حتى يكونوا موضع استحسان وقبول ، وحتى يكونوا في مأمن من عقوبة السلطان وعذاب الآخرة .

• • •

۲ — اندر ندیمان ونزدیکان پادشاه وترتیب کار ایشان :

پادشاه را چاره نیست از ندیمان شایسته داشتن وبا ایشان گشاده وگستاخ در آمدن ، که بزرگان وصاحب طرفان وسپاهسالاران را بسیار نشستن ، شکوه وحشمت پادشاهان را زیان دارد ، وایشان دلیر گردند [۱] . ودر جمله ، هرکه را شغلی وعملی فرمودند ، او را بایدکه ندیمی [۲] نفرمایند ؛ وهرکه را ندیمی فرمودند ، بایدکه هیچ عملی نفرمایند ، که به حکم انبساطی که بر بساط پادشاه دارد دراز دستی کند ومردمان را رنج رساند .

عامل همیشه بایدکه ازپادشاه ترسان باشد وندیم گستاخ . وچون ندیم گستاخ نباشد پادشاه از او حلاوت نیابد . وطبع پادشاه از ندیم گشاده شود . وایشان [۳] را وقتی معلوم باشد ، چون پادشاه بار بداد وبزرگان همه بازگشتند ، آنگه وقت نوبت ایشان باشد .

ودر ندیم چند فایده است : یکی آنکه پادشاه را مونس باشد ، ودیگر آنکه چون شب وروز با او باشد به محلّ جانداری [٤] بود ، واگر نعوذ بالله خطری

(۱) یعنی گستاخ ، جسور .
(۲) یاء « ندیمی » مصدری است یعنی ندیم بودن .
(۳) یعنی ندیمان را .
(٤) یعنی نگهبان ، محافظ .

پیش آید ، ندیم باك ندارد که تن خویش را سپر بلا کند . ودیگر هزارگونه سخن با ندیم بتوان گفتن ، از جدّ وهزل ، که باوزیر وبزرگان نتوان گفت ، که ایشان صاحب عمل اند وکارکنان پادشاه باشند ، ونیزاز ندیمان هزارگونه سخن شنوند واحوال نمایند ، به حکم گستاخی از خیر وشر در مستی وهشیاری ، که در آن فایده ومصلحت باشد .

ولیکن ندیم بایدکه گوهری وفاضل وتازه روی وپاك مذهب وراز دار وپاکیزه جامه بود ، وسمر وقصص ونوادر ، از هزل وجد ، بسیار یاد دارد ، ونیکو روایت کند ، وهمواره نیکوگوی ونیك پیوند باشد[1]؛ ونرد شطرنج داند باخت ، واگر رودی بداند زد وملاهی کار داند بست[2] بهتر باشد . وبایدکه موافق پادشاهان باشد ؛ وهرچه پادشاه گوید وکند ، زه واحسنت بر زبان دارد ؛ ومعلمی نکند که « این بکن » . و « آن مکن » . و « آن چراکردی ؟ » و « آن نباید کرد . » ، که ایشان رادشوار آیدوپس به کراهیت کشد .

وهرچه تعلّق به عشرت وتماشا ومجلس انس وشراب وشکار وگوی زدن وخورد وبرد ومانند این دارد ، روا باشدکه باندیمان تدبیر کند ، که ایشان این معنی را مهیّااند . وباز هرچه تعلق به مملکت وعمارت ومصاف وتاختن وسیاست وذخیره ووصلت وسفر ومقام ولشکر ورعایا دارد ومانند آن ، با وزیر وبزرگان دولت وپیران جهاندیده تدبیر کند اولیتر باشد ، که

---

(۱) ظاهراً مقصود کسی است که سخن نیك پیوندد ومناسب مقام آرد .
(۲) یعنی به نواختن سازها وآوزاخوانی وبازیها آشنا باشد ، دانستن — توانستن .

ایشان در این معنی داهی تر باشند ، تا همه کارها به وجه خویش رود .

وبعضی پادشاهان ، طبیب ومنجم را ندیم کرده اند . وگفته اند : تا هرچه خورد ، طبیب می گوید که منفعت ومضرّت هریکی چیست ، واوراچه سازد وچه نسازد ؛ وطبیعت مزاج او نگاه داشته اند . و منجّم وقت وساعت نگاه می دارد ، واز سعد ونحس آگاهی می دهد ، وشغلی راکه خواهد کرد وقتش اختیار می کند . وبعضی از پادشاهان این هر دو راکا هل بوده اند . گفتند : « طبیب ما را همیشه ، بی بیماری ، از خوردنیهای خوش وپاکیزه باز دارد ، وبی علّتی دارو دهد ، وبی رنجی فصد کند . ومنجم همچنین ازکارها کردن منع کند ، وازمهمات باز دارد . وچون نگاه کنی هردو آنند که مارا از مراد ولذت وشهوت دنیا همیشه باز دارند ؛ وعیش برما منغص کنند ؛ وآن اولیتر که ایشان را به وقت آنکه حاجت باشد طلب کنیم » .

اما اگر ندیمان جهاندیده وبه هر جای رسیده باشند وبزرگان را خدمت کرده ، نیکوتر باشد . وچون مردمان خواهند که از خوی وعادت پادشاه بدانند ازندیمانش قیاس کنند : اگر ندیمانش خوشخوی وگشاده طبع وبردبار وجوانمرد وظریف باشند ، بدانندکه پادشاه خوشخوی وخوش طبع ونیکو سیرت وپسندیده عادت است ؛ واگر ندیمانش ترشروی وخویشتن ساخته ومستخفّ ومتکبر وبخیل ومُحال طلب ورعنا باشند ، بدانندکه پادشاه ناخوش طبع وبدخوی وبلساز وبد سیرت است وکف بسته ومتهور .

(۱) یعنی مزاج پادشاه .

ودیگر هر یکی را از ندیمان مرتبتی ومنزلتی باشد : بعضی را محل نشستن باشد وبعضی را محل ایستادن ؛ چنانکه از قدیم باز عادت مجلس ملوك وخلفا بوده است وهنوز این رسم درخاندان قدیم مانده است . وخلیفه را همیشه چندان ندیم باشدکه پدران اورا بوده است . وسلطان غزنین راهمیشه بیست ندیم بوده است : ده برپای وده نشسته ؛ وایشان این رسم وترتیب از سامانیان دارند . وبایدکه ندیمان پادشاه را کفافی وحرمتی تمام باشد میان حشم ؛ وایشان بایدکه خویشتندار ومهذّب باشند وپادشاهدوست .

• • •

٢ — في الندماء والمقربين وترتيب أحوالهم :

لا بد للسلطان من الندماء المقبولين ، والدخول معهم في المزاح والمنادمة ، لأن الجلوس بكثرة مع العظماء وكبار رجال الدولة والقواد ، يقلل من هيبة السلطان واحتشامه ، كما أنه يجرؤهم عليه . وعلى العموم فلا ينبغي لمن يتولى أمراً من الأمور أن يُتَّخذ نديماً ، ومن سُمح له بأن يكون نديماً ، لا يجب أن يُكلف بأي عمل ، حتى لا تطول أيديهم على الرعية بما يحظون به من انبساط على بساط السلطان .

ويجب على العامل أن يخشى السلطان دائماً ، في حين يجب على النديم أن يكون فكها ، أما إذا عدم النديم الفكاهة فلن يستطيبه السلطان ، فطبع السلطان ينشرح من النديم ، وينبغي لهم (للندماء) وقت معلوم ، فحين ينفض المجلس وينصرف الأكابر ، يكون هذا وقتهم (الندماء) .

وفي النديم فوائد عدة : إحداها أن يكون مؤنساً للسلطان ، والثانية أن يكون حافظاً له ما دام مصاحباً إياه آناء الليل والنهار ، وإذا تعرض السلطان

لأي خطر — والعياذ بالله — فلا يتردد في أن يجعل جسده مجناً وفداءً لهذا البلاء . والثالثة أنه يمكن التحدث مع النديم بألف لون من ألوان الحديث من جد وهزل مما لا يمكن التحدث به مع الوزير والأكابر ، لأنهم أرباب الأعمال وولاة السلطان . كما يمكن للسلطان أن يستمع من الندماء لألف لون من ألوان الحديث والتعرف على الأحوال وذلك بحكم ما له من دالة عليه ، وبما يتضمنه ذلك من خير وشر وصحو وسُكر . ومما لا يخلو سماعه من الفائدة والمصلحة .

ولكن يجب أن يكون النديم أصيلاً فاضلاً صبوح الوجه ، صحيح العقيدة ، كتوماً طاهراً وعلى معرفة كبيرة بالأسمار والقصص والنوادر وما تتضمنه من هزل وجد ، وأن يكون مجيداً لروايتها ، وأن يكون على الدوام عذب الحديث ، يحسن اختيار الألفاظ والأقوال ، وأن يعرف كيف يلعب النرد والشطرنج . وإن يكن على معرفة بالضرب على الأوتار والأنغام والغناء ، فهذا أمر أفضل وأحسن . كما يجب أن يكون وفق مراد السلطان دائماً ، وكلما تحدث السلطان جرى على لسانه قول « أحسنت » ، لا أن يكون بمثابة المعلم ، فيقول : افعل هذا ، ولا تفعل ذاك . ولمَ فعلت هذا ؟ وما كان يجب أن تفعل ذاك . فإن ذلك يشق على السلطان ويولد الكراهية .

ويجب أن يُدبَّر مع الندماء كل ما يتصل بالشراب واللهو ومجالس الأنس والمنادمة والصيد والصولجان والولائم وما شابه ذلك ، فهم (الندماء) مهيأون لمثل هذه الأمور . أما كل ما يتصل بالمملكة وعمارها والقتال والحرب والحكم والأسلحة ، والصلة والسفر والمقام والجيش والرعية وما شابه ذلك فأولى به أن يناقش مع الوزير وأكابر الدولة والشيوخ ذوي التجربة ، فهؤلاء أكثر إحاطة بهذه الأمور ، وذلك لكي يسير كل أمر في مساره الصحيح .

ولقد اتخذ بعض السلاطين الطبيب والمنجم من ندمائهم ، وقالوا في ذلك : إن الطبيب سيقول رأيه في كل ما يؤكل ، ويتحدث في نفع ومضرة كل صنف . كما سينصح (السلطان) بما يفعله ومالا يفعله ، وسيحفظ مزاجه .

أما المنجم فسيحفظ الأوقات والساعات وسيخبر (السلطان) بأوقات السعد والنحس ، ويختار لكل عمل الوقت الذي يؤدى فيه . ولكن بعض السلاطين ينكرون كليهما معاً ، ويقولون : « إن الطبيب يحرمنا من الأطعمة الشهية دون مرض ، ويعطينا الأدوية دون علة ، ويفصد دماءنا بلا داع من آلام ، كما أن المنجم يمنعنا من إتيان الأعمال ويمنعنا من القيام بالمهام . أما الحفاظ على أوامرهما فيحرمنا دائماً من متعة الحياة وشهوة الدنيا ، كما أنهما ينغصان علينا معيشتنا ، والأولى أن نطلبهما إذا ما دعت الحاجة إليهما » .

أما إذا كان الندماء ذوي تجربة ، وقد خبروا الحياة وخدموا الأكابر : فهذا من الأفضل والأحسن ، وإن يرغب الناس في معرفة طباع السلطان وعاداته ، فليقيسوا على ندمائه : فإن كان ندماؤه صبوحي الوجه ظريفي الطبع متذرعين بالصبر وذوي شهامة وظرف ، فسيُعرف أن السلطان هو الآخر صبوح الوجه ظريف الطبع حسن السيرة مقبول العادة . أما إذا كان ندماؤه متجهمي الوجوه متكبرين مستخفين بالأمور بخلاء يطلبون المحال حمقى ، فسيُعرف بأن السلطان سيء الطبع سيء الطوية ، قبيح الفعال ، سيء السيرة بخيلاً متهوراً .

وشيء آخر أن لكل واحد من الندماء مرتبة ومنزلة ، فبعضهم يسمح له بالجلوس والبعض الآخر مكانه الوقوف . فعلى مثل هذا كانت مجالس الملوك والخلفاء منذ قديم الزمان ، وما زالت هذه الرسوم باقية لدى الأسر العريقة . ويكون لدى الخليفة على الدوام من هؤلاء مثلما كان لآبائه ، فسلطان غزنين [1] كان له على الدوام عشرون نديماً ، عشرة وقوفاً وعشرة جلوساً ، وقد أخذوا هذه العادة والنظام عن السامانيين . وينبغي لندماء السلطان تمام الاحترام بين الحشم ، وأن يكونوا متزنين مهذبين محبين للسلطان .

• • •

(1) غزنين أو غزنة عاصمة الدولة السلجوقية ومؤسسها محمود الغزنوي الذي توفي عام ٤٢١ هـ .

۳ – اندر مشاورت کردن پادشاه در کارها بادانایان وپیران :

مشاورت کردن درکارها از قوی رایی مرد باشد واز تمامی عقل وپیش بینی . چه ، هرکسی را دانشی باشد وهریکی چیزی داند : یکی بیشتر داند ویکی کمتر ، ویکی دانشی داند وهرگز کاربنبسته ونیازموده ، ویکی هم دانش داند وهم کار بسته وتجربه ها کرده . مثل این چنان باشدکه یکی معالجت دردی و علتی ازکتاب طب خوانده باشد ونام آن داروها همه به یاددارد وبس ، ویکی نام همه داروها بداند ومعالجت آن علت کرده باشد وبارها تجربت کرده ، هرگزاین با آن برابر نباشد . همچنین یکی باشد که سفرها بسیار کرده باشد وجهان بیشتر دیده وسرد وگرم بیشتر چشیده ودر میان کارها بوده ، با آن کس برابر نتوان کرد ، این کس را ، که هرگز سفر نکرده باشد وولایتها ندیده ودرمیان کارها نبوده ، ویا میانه حال باشد . این معنی را [1] گفته اندکه « تدبیر ، همه ، با دانایان وپیران وجهاندیدگان بایدکرد » . ونیزیکی را خاطری تیزتر باشد ودرکارها زودتر تواند دید ، ویکی کند فهم تر باشد .

ودانایان گفته اند که « تدبیر یك تنه چون زور یك مرده باشد وتدبیر دو تنه چون زور دو مرده و تدبیر ده تنه چون زور ده مرده باشد » . ودر هرحالی نیروی ده مرده پیشتر وقویتر از نیروی یك مرده باشد . همچنین تدبیر ده کس قویتر از تدبیر دوکس باشد یا سه کس یا پنج کس . وهمه

(۱) یعنی برای این معنی ، به جهت این معنی .

جهانیان متفق اندکه از آدمیان هیچ کس داناتر از پیغامبر ما محمد مصطفی (ص) نبوده است . همه دانش که اورا بود ، از پس همچنان بدیدی که از پیش ، وآسمانها وزمینها وبهشت ودوزخ ولوح وقلم وعرش وکرسی وآنچه در این هر دو میان است [1] بر او عرضه کردند ، وجبرئیل علیه السلام هر زمان همی آمد ووحی همی آورد واز بوده ونابوده خبر همی داد ؛ با چندین فضیلت ومعجزات که اورا بود ایزد ، تعالی ، اورا همی فرماید ، « وشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ . » [2] ، یا محمد ، چون کاری خواهی کرد ویا مهمی ترا پیش آید با یاران خویش تدبیرکن . اورا مشورت همی فرماید کردن چون او بی نیاز نبود از تدبیر و مشورت ، بباید ، دانستش که هیچ آفریده نیاز نتواند بود .

پس چنان واجب کند که چون پادشاه کاری خواهد کرد و یا او را مهمی پیش آید ، باپیران وهواخواهان واولیای دولت خویش مشاورت کند ، تاهر کسی را در آن معنی هرچه فراز آید بگویند ، وآنچه رای پادشاه دیده باشد [3] باگفتار هریکی مقابله کنند ، وهریکی چون گفتار ورای یکدیگر بشنوند وبراندازند [4] ، رای صواب از آن میان پدیدار آید . ورای وتدبیر صواب آن باشد که عقلهای همگنان برآن متفق شود که « چنین می بایدکرد » . ومشورت ناکردن درکارها از ضعیف رایی باشد

---

(۱) در جای : آنچه درمیان این هردواست .
(۲) آل عمران ، آیة : ۱۵۹ .
(۳) یعنی صلاح دیده باشد .
(٤) یعنی اظهار رای کنند .

وچنین کس را خود کامه خوانند . وچنانکه هیچ کاری بی مردان کارنتوان کرد ، همچنین هیچ شغلی بی مشورت نیکو نیاید . والحمد لله که خداوند عالم را خَلّدَ اللهُ مُلْكَهُ ، هم رای قوی است وهم مردان کار و تدبیر دارد ؛ ولیکن این قدر ازجهت شرط کتاب یادکرده شد .

• • •

٣ — في مشورة السلطان للعلماء والحكماء في الأمور

المشورة في الأمور من قوة الرأي للرجل ، ومن تمام العقل وبُعد النظر ، فمهما توفر للإنسان من علم ومعرفة ، فإنه يعلم أشياء علماً يقينياً ، ويعرف أشياء معرفة سطحية ، وقد يدرك أحدَ العلوم ولكنه لم يختبره مطلقاً ولم يضعه موضع التجريب ، وهناك شخص آخر يعرف نفس العلم واختبره وجربه مرات عديدة . ومثالهما في ذلك مثال رجلين قرأ أحدهما في كتب الطب عن كيفية معالجة الأمراض والعلل ، وحفظ أسماء الأدوية وكفى ، أما الآخر فقد عرف أسماء تلك الأدوية كلها ، وعالج من قبل تلك العلل وخاض التجربة عديد المرات ، فلا يمكن أن يتساوى هذا بذاك . وكذلك لا يمكن أن يتساوى ذلك الرجل الذي شد الرحال كثيراً ورأى معظم أنحاء العالم ، وقاسى البرد والقيظ وخاض تجارب عدة ، بذلك الرجل الذي لم يسافر قط ، ولم ير الأقاليم والولايات ، ولم يخض التجارب والأعمال ، بل ظل قابعاً مكانه . ولتوضيح هذا المعنى ، فقد قيل : « يجب أن تدبر الأمور دوماً مع العلماء والشيوخ والمجربين » . كما لا يمكن أن يتساوى ذلك الذي يتسم بحدة الخاطر الذي ينظر إلى الأمور سراعاً ، بذلك الذي يتمعن ويدرك الأمور على مهل .

وقد قال العلماء : « إن تدبير رجل واحد كقوة رجل واحد ، وتدبير رجلين كقوة رجلين ، وتدبير عشرة رجال ، كقوة عشرة رجال » . وعلى

كل حال فقوة عشرة رجال أكثر وأقوى من قوة رجل واحد . كما أن تدبير عشرة رجال أقوى من تدبير رجلين أو ثلاثة رجال أو خمسة . وقد اتفق جميع الأنام على أنه لا يوجد بين الخلق رجل واحد أعلم من رسولنا محمد المصطفى (ص) . فمع ما كان له من علم ، وما كان في مقدوره أن يرى خلفه كما يرى أمامه ، وقد عرضت عليه السموات والأرضين والجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسي وما بين ذلك ، وأن جبريل عليه السلام كان يهبط عليه في كل وقت ، ويأتيه بالوحي ويخبره بالأنباء وما كان فيها ، وما لم يكن ، مع كل هذه الفضائل والمعجزات التي كان يتمتع بها ، فإن الله تعالى قد أمره قائلاً « وشاورهم في الأمر » أي يا محمد ! إن أردت أن تقدم على فعل ، أو إن جد عليك أمر ، فتدبره مع أصحابك . لقد أمره بالمشورة ، ومن مثله ليس في حاجة إلى التدبير والمشورة ، ويجب أن يُعلم أنه لا يوجد مخلوق قط فى غير حاجة (للخلق ومشورتهم) .

إذن فمن الواجب ، إذا أراد السلطان إتيان عمل أو إن تعرض له مهمة فعليه أن يستشير الحكماء وأنصاره وأولي الأمر في الدولة ، حتى يقول كل شخص منهم ما يعن له في هذا الأمر . ويقابل السلطان ما كان يراه صالحاً بقول كل منهم ، وعندما يقول كل واحد منهم رأيه ويستمعون إليه ويناقشونه فسيتولد الرأي السديد من كل هذه الآراء . والرأي الصائب والتدبير المحكم هو ما أجمعت عليه عقول جميع المناقشين . « وهكذا يجب أن تؤخذ الأمور » . أما ترك المشورة فمن شأن ضعيف الرأي ، ويسمى مثل هذا الشخص بالمستبد . وكما أن العمل لا يمكن أن يتم بدون رجل يؤديه ، كذلك لا يستقيم أمر دون مشورة . والحمد لله أن ملك العالم[1] خلد الله ملكه يتسم بقوة الرأي ، وحوله رجال ذوو تدبير ورأي ، ولكنني ذكرت هذا حتى أوفي الكتاب حقه .

• • •

(١) يقصد ملكشاه بن ألب ارسلان الذي الف الكتاب من اجله

کلیله ودمنهٔ بهرامشاهی

أبو المعالی نصرالله غزنوی

كليله ودمنه بهرامشاهى

تأليف أبي المعالي نصر الله الغزنوي

يقول براون في الجزء الثاني من تاريخ الأدب في إيران :

« أول ما أقرره في هذا الموضوع هو أن الكتب العالمية التي نجحت نجاح كليلة ودمنة قليلة جداً ، كما أن الكتب التي ترجمت إلى سائر اللغات مثل كليلة ودمنة نادرة جداً (١) .

وقال ريو في فهرسه :

« إن هذه الترجمة – الفارسية – نالت كثيراً من الإعجاب في إيران بحيث أن مؤرخ المغول ومادحهم (الوصاف) يجعلها مثالاً للفصاحة والبلاغة ، كما أن صاحب هفت اقليم يقرر أن سائر المنثورات الفارسية لا تبلغ مبلغها من حيث الجودة وحسن السلوك » (٢) ...

والحق يقال : كما حظي كتاب كليلة ودمنة بشهرة عريضة بين قراء العربية سواء أكانوا من الأدباء أو من العامة ، فقد حظي بنفس الشهرة نفس الكتاب في اللغة الفارسية سواء قبل ترجمة أبي المعالي نصر الله أو بعده ، حتى أنه حظي

(١) تاريخ الأدب في إيران ج ٢ الترجمة العربية ص : ٤٤٤ .
(٢) نقلا عن المرجع السابق ص : ٤٤٣ .

باهتمام عدد كبير من كتابهم وشعرائهم ، ولكن الترجمة التي قام بها أبو المعالي نصر الله كانت أهم هذه الترجمات وأكثرها انتشاراً وتداولاً ، كما كانت منطلقاً لترجمات وشروح أخرى أعقبتها ، كما حظيت هذه الترجمة بعدة طبعات حجرية وحديثة .

وقبل أن نواصل الحديث عن الترجمة الفارسية نتحدث بعض الشيء عن أصل الكتاب ، ثم قصة انتقاله إلى اللغة الفارسية الإسلامية .

كان هذا الكتاب من كتب اللغة السنسكريتية المشهورة [1] ، وكان اسمه (كرتكا دمنكا) [2] وقد ألفه بيدبا الفيلسوف باسم الملك الهندي دبشليم ، وحفظ في خزائن ملوك الهند ، إلى أن وصل خبره إلى الملك أنو شيروان الساساني ووزيره الحكيم بوزرجمهر ، فتدارسا معاً كيفية الحصول عليه ، وبحثوا عمن يجيد اللغتين السنسكريتية لغة الهند والتي كتب بها الأصل الهندي ، والبهلوية لغة إيران والتي يراد ترجمة الكتاب لها ؛ فوجدوا ضالتهم المنشودة في الطبيب برزويه » فكلفاه بالذهاب إلى الهند والحصول على هذا الكتاب وترجمته ، وسافر برزويه ونجح في ترجمة الكتاب وعاد إلى البلاط الإيراني ، فأكرم أنو شيروان وفادته ، وسأله أن يطلب ما يشاء ، فكان مما طلبه أن يضيف بزرجمهر الحكيم إلى بداية الكتاب باباً يتحدث فيه عن برزويه الطبيب وذهابه إلى الهند ، ليكون اسم برزويه مقترناً بهذا العمل الكبير ، فقبل أنو شيروان هذا المطلب ، وطلب من بزرجمهر أن يكتب هذا الباب ويلحق في بداية الكتاب [3] . وكان عنوان الترجمة البهلوية (كليگك ودمنگك) .

ظل الكتاب متداولاً في إيران باللغة البهلوية إلى أن تم الفتح الإسلامي واندثرت اللغة البهلوية كلغة يتعامل بها الإيرانيون ، فأقدم ابن المقفع بماله

(١) لغة الهند القديمة .

(٢) بهار : سبك شناسى ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

(٣) دكتور أمين عبد المجيد : القصة في الأدب الفارسي ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص : ٣١١ .

من علم واسع باللغتين البهلوية والعربية على نقل الكتاب إلى اللغة العربية ، ويقال إن ذلك كان عام ١٣٣ هـ ، وهذه الترجمة العربية يرجع إليها الفضل في بقاء كليلة ودمنة من الاندثار ، فقد ضاع الأصل السنسكريتي ولم تبق منه إلا أبواب متفرقة في كتب الأدب الهندي ، كما اندثرت الترجمة البهلوية وكذلك الترجمة السريانية التي كانت هي الأخرى مترجمة عن الأصل السنسكريتي . وهكذا كانت ترجمة ابن المقفع بمثابة الأصل لكل الترجمات الموجودة حالياً لهذا الكتاب الفريد الذي ترجم إلى كل من اليونانية والفارسية والعبرية واللاتينية والأسبانية والايطالية والسلافية والتركية والألمانية والإنجليزية والدنمركية والهولندية والفرنسية ، وإلى غير ذلك من اللغات (١) .

وبعد ترجمة ابن المقفع لهذا الكتاب ، وجدت مجموعة من المحاولات لنظم هذا الكتاب ومنها ما نظمه الشاعر العربي ابان بن عبد الحميد اللاحقي ، شاعر البرامكة ، وقد نظم الكتاب امتثالاً لأوامر البرامكة حتى يسهل عليهم حفظه ، وقد جاء في مقدمته :

هذا كتـــــاب أدب ومهنـــة   وهو الذي يدعى كليلة ودمنة
فيـــه دلالات وفيـــه رشـــد   وهو كتاب وضعته الهنـــد

وقد اندثرت هذه المنظومة ولم يبق منها أكثر من ستة وسبعين بيتاً ، تتعلق بمقدمة الكتاب وبجزء من باب الأسد والثور .

ثم قام عبد الله بن هلال الأهوازي بترجمة كليلة ودمنة ترجمة ثانية من البهلوية إلى اللغة العربية وذلك باسم يحيى بن خالد البرمكي ، وقام سهل بن

---

(١) براون جـ ٢ ص : ٤٤٤ .
(٢) عصر المأمون جـ ٢ ص ٣٢١ -- ٣٢٤ .

نوبخت الحكيم بنظمها شعراً ، ولكن لم يبق منها إلا القليل [1] .

أما عن ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية ، فقد ورد في كتب تاريخ الأدب بأن الشاعر الرودكي ، الذي يعتبره الفرس أبا الشعر الفارسي بعد الإسلام ، نظم هذا الكتاب شعراً ، ولكن للأسف ضاع معظمه ولم تبق منه إلا أبيات متفرقة .

ثم رأى أبو المعالي نصر الله ترجمة ابن المقفع العربية فأعجب بها وبدأ في ترجمتها ، فعلم بذلك الملك الغزنوي بهرامشاه (٥١٢ — ٥٤٧ هـ) ، فشجعه على إتمامها ويقال إن ذلك كان بعد عام ٥٣٩ هـ [2] ، فأتمها وقدمها إلى بهرامشاه ولذا فهذه الترجمة تعرف باسم « كليلة ودمنه بهرامشاهي » ونتيجة لنجاح أبى المعالي نصر الله في ترجمتها ، فقد حاول عدد كبير من الكتاب والشعراء كتابتها من جديد أو نظمها ومن هؤلاء ، الشاعر بهاء الدين أحمد المتخلص بقانعي والذي كان يعيش في القرن السابع الهجري ، فقد نظمها في البحر المتقارب وقدمها إلى عز الدين كيكاوس من سلاجقة آسيا الصغرى [3] .

وفي القرن التاسع الهجري قام ملا حسين الكاشفي الواعظ السبزواري بنظم ترجمة أبي المعالي ، ولكنه أدخل عليها بعض الاتجاهات العرفانية ، وقد نظمها باسم الأمير الشيخ أحمد المتخلص بسهيلي ، لذا أسمى منظومته باسم « أنوار سهيلى » ويعتقد براون بأن هذه الترجمة أفضل من ترجمة أبي المعالي نصرالله ، ولكن الأستاذ عبد العظيم قريب في مقدمة طبعته الجديدة لكتاب كليلة ودمنة لأبي المعالي يدافع عن ترجمة أبي المعالي ويقول إن أسلوبها أفضل بكثير من أسلوب أنوار سهيلي حيث شغل مؤلف أنوار سهيلي بالمحسنات والإغراق في

---

(١) سبك شناسى ج ٢ ص : ٢٥١ .
(٢) براون ، ج ٢ ، الترجمة العربية ص : ٤٤٣ .
(٣) سبك شناسى ج ٢ ص : ٢٥٢ .

الصنعة مما جعل كتابه أصعب فهما من الترجمة الفارسية لأبي المعالى نصر الله [1] .

وفي القرن العاشر الهجري أمر أكبر شاه ملك الهند وزيره الفاضل الشيخ أبا الفضل بن الشيخ مبارك بتأليف تهذيب لكتاب كليلة ودمنة ، فأتمه وأسماه (عيار دانش) .

ومع كثرة هذه الترجمات والشروح التي حظيت بها اللغة الفارسية لكتاب كليلة ودمنة ، فإن الترجمة التي قام بها أبو المعالي نصر الله تعد أحسنها جميعاً وأشهرها وأكثرها تداولاً ، وتقع هذه الترجمة في ستة عشر باباً ، يذكر أبو المعالي في مقدمتها أن عشرة أبواب منها ذات أصل هندي ، أما الأبواب الستة الباقية فمن أصل فارسي أضيفت إلى الكتاب قبل الإسلام وبعده ، وهذا ثبت بالأبواب الهندية الأصل [2] :

١ ـ باب الأسد والثور	٢ ـ باب التفحص عن أمر دمنة
٣ ـ باب الحمامة المطوقة	٤ ـ باب البوم والغربان
٥ ـ باب القرد والسلحفاة	٦ ـ باب الناسك وابن عرس
٧ ـ باب السنور والجرذ	٨ ـ باب ابن الملك والطير
٩ ـ باب الأسد وابن آوى	١٠ ـ باب الأشبال واللبؤة

أما الأبواب الستة الفارسية الأصل ، فهى :

١ ـ باب ابتداء كليلة ودمنة	٢ ـ باب برزويه الطبيب
٣ ـ باب الناسك والضيف	٤ ـ باب البلار والبراهمة
٥ ـ باب السائح والصائغ	٦ ـ باب ابن الملك وأصحابه

(١) نقلا عن القصة في الأدب الفارسي ص : ٣٢٤ .
(٢) كليلة ودمنة طبع عبد العظيم قريب ، نقلا عن القصة في الأدب الفارسي ؛ ص : ٣١٣ .

ولكن يجب ملاحظة أن نسخ كليلة ودمنة في اللغات المختلفة ، بلَ وفي اللغة الواحدة ليست متفقة في عدد الأبواب فبعضها يقع في ستة عشر باباً ، وبعضها يقع في سبعة عشر باباً ، والبعض يقع في تسعة عشر باباً ، ولا يمكن للباحث أن يؤكد بسهولة أي النسخ أصح وذلك لأن النسخة الأصلية لم يعثر عليها ، كما أن الكتاب قد تداولته أيد كثيرة ، مما أصابه بضياع بعض أجزاء منه ، أو إضافة بعض الأبواب والحكايات إليه .

ويتسم أسلوب ترجمة أبي المعالي نصر الله بعدة مميزات منها :

١ – نتيجة لوقوع أبي المعالي أثناء الترجمة تحت تأثير الأسلوب العربي الذي يترجم عنه ، فقد جاء أسلوبه الفارسي قريباً من الأسلوب العربي في كثير من المواضع ، كما أكثر المترجم من استعمال الألفاظ العربية وكذلك المصطلحات العربية [1] .

٣ – مع اهتمام أبي المعالي نصر الله بتزيين كتابه بالصور البلاغية والمحسنات اللفظية والمعنوية ، فقد كانت هذه الصور سهلة المنال بعيدة عن التعقيد والصعوبة ، وكانت عاملاً في سمو الأسلوب وجماله بين الأساليب النثرية المعاصرة له ، مما جعل الكتاب يتفوق على الكتب الأخرى التي ألفت في وقت تأليفه ، وبعد ذلك أيضاً .

٣ – لم يلتزم أبو المعالي بمجرد الترجمة ، فقد أضاف إلى الكتاب العديد من مظاهر الاقتباس من الأشعار العربية والفارسية والحكم والأمثال والمواعظ ، وكذلك من آيات القرآن الكريم ، وبعض أحاديث الرسول عليه السلام [2] . وقد كان نصر الله رائداً في هذا المجال ، فقبل ذلك ، لم يكن المؤلف يورد الآيات والأشعار إلا إذا كانت الآية شاهداً على رأي معين ، أو إذا كان بيت

(١) سبك شناسى ج ٢ ص ٢٦٦ وما بعدها .
(٢) فرهنك أدبيات فارسي درى ؛ ص : ٤١٢ .

الشعر سيؤكد رأياً يراه الكاتب ، أما أبو المعالي فقد كان حريصاً على الاقتباس والتضمين كوسيلة من وسائل تجميل الأسلوب وتزيينه ، وقد تبعه عدد من الكتاب والأدباء ونهجوا هذا النهج الذي كان أبو المعالي رائداً عظيماً من رواده [1] . ولا شك أن كل هذه الاقتباسات زائدة على الترجمة العربية لابن المقفع ، إذا لم نر في آثار ابن المقفع الباقية أثراً لمثل هذا الاقتباس والتضمين وتزيين العبارة بأي نوع من الشعر والصناعة . وهذا يحملنا على القول بأن أبا المعالي أباح لنفسه الخروج عن النص وعدم التقيد به ، وأضاف إليه ما راقه من حكم وأمثال وأشعار وقرآن وحديث ، وعلى هذا فلا يمكننا — كما يقول الدكتور أمين عبد المجيد — ، والحالة هذه أن نطمئن إلى أن الترجمة التي قام بها أبو المعالي صورة صادقة لترجمة ابن المقفع العربية ، غير أننا في نفس الوقت لا نستطيع الوقوف على مدى تصرفه في هذه الترجمة ، لعدم اطلاعنا على النص الذي ترجم عنه [2] .

وإلى جانب ما لهذا الكتاب — عربياً كان أم فارسياً — من أهمية وتهافت العامة والخاصة على قراءته لما فيه من المتعة والفائدة معاً ، حيث يأخذ كل قارىء ما ورد به من حكايات مأخذاً يتفق وثقافته وسعة إدراكه ، فإنه مثال طيب للدراسة المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي على وجه الخصوص، حيث يتتبع الدارس لهذا الكتاب أصوله الهندية ثم الإضافات التي زيدت على الكتاب في اللغة البهلوية ، وهل أضيفت إضافات أخرى في الترجمة العربية التي قام بها ابن المقفع ، والروح العربية التي يمكن أن تكون قد تسربت إلى هذا الكتاب ، ثم الإضافات الفارسية التي أضافها أبو المعالي نصرالله وغيره من المترجمين في ترجماتهم الفارسية ، كما نستطيع دراسة كتاب كليلة ودمنة في ضوء حركة الترجمة المتبادلة بين اللغتين العربية والفارسية ، وأثر هذه الترجمات

---

(١) سبك شناسي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ وما بعدها .
(٢) القصة في الأدب الفارسي ، ص : ٣٢٣ .

على إثراء كل من الأدبين العربي والفارسي وبخاصة في عصر الخلافة العباسية : وما يستتبع ذلك من دراسة لأصحاب اللسانين الذين قاموا بهذا العبء الأكبر من توثيق الروابط بين الأدبين العربي والفارسي .

• • •

وقبل أن ننهي الحديث عن كتاب كليلة ودمنة ، علينا أن نعرّف تعريفاً موجزاً بأبي المعالي نصر الله صاحب أشهر ترجمة فارسية لكتاب ابن المقفع ، وهو الذي سنترجم منه بعض الحكايات بعد هذه النبذة اليسيرة عن حياة أبي المعـــالي :

أبو المعالي حمد الدين نصر الله بن محمد بن عبد الحميد الغزنوي كان تلميذاً — كما يقول دولتشاه — للشيخ أبي المحامد الغزنوي (١) ، عكف على الدرس والتحصيل في صباه وشبابه ، ثم التحق بخدمة الدولة الغزنوية في عصر بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم الغزنوي الذي حكم ما بين عامي ٥١٢ — ٥٤٧ ﻫ ، وبهرا مشاه هذا هو الذي شجعه على إتمام ترجمة كليلة ودمنة ، ولذا قدمها له أبو المعالي بعد أن أتمها . وقد وصل أبو المعالي إلى الوزارة في عهد خسرو ملك الغزنوي الملقب بتاج الدولة (٥٥٥ — ٥٨٢ ﻫ) ، ولكن لم تطل مدة بقائه في الوزارة ، حيث تدخل الوشاة — كما يقول محمد عوفي (٢) — فأفسدوا العلاقة بين أبي المعالي وخسرو ملك مما دفع به إلى السجن ، ثم القتل بعد ذلك .

وعلى كل حال فقد خلدت الترجمة الفارسية لكتاب كليلة ودمنة اسم أبي المعالي أكثر مما خلدته الوزارة ، بل إن هذه الترجمة جعلت اسمه يجري على ألسنة المهتمين بالآداب أكثر من جريان اسم خسرو ملك الذي فتك به .

---

(١) نقلا من سبك شناسى ، ج ٢ ص : ٢٤٨ .
(٢) محمد عوفي : لباب الألباب ج ١ ، ص : ٩٢ — ٩٣ .

نماذج من حكايات كليلة ودمنة

١ – حكايت

بطی آبگیر روشنائی ماه میدید . پنداشت که ماهی است . قصد میکرد تابگیرد هیچ نمی یافت . چون بارها آنرا بیازمود حاصل ندید ، فروگذاشت . دیگر روز هرگاه که ماهی بدیدی پنداشتی که روشنائی است . قصد نپیوستی وثمرت این تجربهٔ آن بود که همه روز گرسنه میماند .

الترجمة العربية :

حكاية

رأت بطة ضوء القمر في بحيرة فظنته سمكة ، وتوجهت لكي تمسك بها فلم تجد شيئاً ، وعندما أعادت الكرة عدة مرات ولم تظفر بشيء ، عادت أدراجها . وفي نهار اليوم التالي كلما رأت سمكة ، كانت تظنها ذلك الضوء ، فلم تجد في طلبها ، ونتيجة لهذه التجربة ظلت طوال نهارها جائعة ! !

• • •

٢ – حكايت

آوردهٔ اند که روباهی در بیشهٔ رفت ، آنجا طبلی دید در پهلوی درختی افگنده ، وهرگاه بادی بجستی شاخ درخت برطبل رسیدی ، آوازی سهمناك بگوش روباه آمدی . چون روباه ضخامت جثه بدید ومهابت آواز بشنید طمع در بست که گوشت وپوست او فراخوار آوازباشد ، میکوشید تا آنرا بدرید . الحق جز پوستی بیشتر نیافت . مرکب ندامت را در جولان کشید

وگفت ندانستم که هر کجا جثهٔ ضخم تر وآواز هائلتر منفعت آن کمتر .

الترجمة العربية :

حكاية

زعموا أن ثعلباً أتى أجمة ؛ فرأى هناك طبلة قد أُلقيت بجوار شجرة ، وكلما حركت الرياح أغصان الشجرة ولامست الطبلة ، وصل إلى سمع الثعلب صوت عظيم . وعندما رأى الثعلب ضخامة الجثة وسمع الصوت المهيب ، تملكه الطمع بأن لحمها وجلدها لذيذ ومستساغ ، فاجتهد في تمزيقها ، ولكنه – والحق يقال – لم يحظ بغير الجلد ، فتملكته الندامة ، وقال : لم أكن أدرك أنه حيثما وجدت جثة ضخمة وصوت مهول ؛ كانت المنفعة أقل !

• • •

٣ – حكايت

دو شريك بودند ، يکی دانا ويکی نادان ببازرگانی ميرفتند . در راه بدرهٔ زر يافتند گفتند سود ناکرده درجهان بسياراست بدين قناعت بايدکرد ، باز گشتند چون نزديك شهر رسيده خواستندکه قسمت کنند ، آنکه دعوی زيرکی کردی گفت چه قسمت کنيم آنقدرکه بدان حاجت باشد برگيريم وباقی باحتياط جائی بنهيم وهروقت ميآئيم وبر قدر حاجت برميگيريم ، بدين قرار دادند ونقدی سره از آن صره برداشتند باقی درزير درختی باتفاق نهادند وبشهر رفتند .

ديگر روز آنکه از ايشان بخرد منسوب بود وبکياست موسوم بيرون

رفت وزر ببرد وروزها برآن بگذشت . مغفل را بسیم حاجت افتاد بنزدیک شریک آمد وگفت بیا تا از آن دفینه چیزی برگیریم که من محتاج شده ام . هر دوبهم بیامدند ، زر نیافتند . زیرك دست بگریبان مغفل زد که زر توبرده وکسی دیگر خبر نداشت . بیچاره سوگند میخورد ، سود نداشت ، او را برای حاکم آورد وزر دعوی کرد وقصه باز گفت . قاضی پرسید که گواهی وحجتی داری ؟ گفت درختی که در زیر آن بوده است گواهی دهد که زر این خائن بی انصاف برده است ومرا محروم گردانیده ، قاضی را ازاین سخن شگفت آمد . پس از مجادله بسیار میعادی معین گشت که قاضی بیرون رود ودر زیر آن درخت بنشیند وبگواهی درخت حکم کند . مغرور بخانه رفت وپدر را گفت کار این زر بیك شفقت وایستادگی تو باز بسته است ومن باعتماد تو تعلق بگواهی درخت کردم . اگر موافقت نمائی زر ببریم وهم چندان دیگر بستانیم . پدر گفت آنچه بمن راست میشود چیست . گفت میان درخت گشاده است ، چنانکه اگر ده کس در آن میان پنهان شوند هیچ نتوان دید . امشب بباید رفت ودر میان آن بود ، فردا چون قاضی بیاید گواهی چنانکه رسم است بده . پدر گفت ای پسر بسا حیلت است که بر محتال وبال گردد .

الترجمة العربية :

٣ ــ حكاية

كان هناك شريكان أحدهما حصيف والآخر مغفل ، وفي طريقهما إلى

السوق ، عثرا على صرة مليئة بالذهب . فقالا : ما أكثر الكسب بلا عمل في الدنيا ، فيجب أن نقنع بهذا ، فقفلا راجعين ، وعندما اقتربا من المدينة ، رغباً في الاقتسام ، فقال ذلك الذي يدعي النجابة ، لم القسمة ؟ فلنأخذ القدر الذي نحتاجه ، وندفن الباقي حفاظاً عليه ، ثم نأتي من وقت إلى آخر ونأخذ منه قدر الحاجة ، فاتفقا على هذا القرار ، وأخذا جزءاً من الذهب ، ووضعا الباقي بالاتفاق فيما بينهما تحت شجرة ، ثم توجها صوب المدينة . وفي اليوم التالي خرج ذلك الذي يدعي النجابة ومن يتسم بالكياسة ، وسرق الذهب . ومضت بعد ذلك أيام وأيام . ثم احتاج المغفل إلى المال ، فذهب إلى شريكه ، وقال : هيا لكي نأخذ قدراً من الذهب المدفون حيث أنني في احتياج له . فذهبا معاً ، ولم يجدا الذهب . فأمسك الحصيف بتلابيب المغفل قائلاً له : لقد سرقت الذهب دون أن يدري أحد . فأقسم المسكين ولكن دون جدوى ، فمضى به إلى الحاكم مطالباً بالذهب ، وهناك قص القصة . فقال القاضي : هل لديك دليل وسند . قال : إن الشجرة التي كان الذهب بأسفلها لديها الدليل على أن هذا الخائن قد سرق الذهب ، وحرمني منه . فتملك العجب القاضي من هذا الكلام .. وبعد جدال كبير ، تحدد موعد معين ليخرج فيه القاضي وليجلس تحت تلك الشجرة ، وليحكم بمقتضى شهادة الشجرة . وتوجه المغرور إلى داره وقال لوالده : إن هذا الذهب متعلق بشفقتك وعونك وإنني أعتمد عليك في شهادة الشجرة . فإن توافق فإنني آخذ الذهب ومثله كذلك . فقال الوالد : ماذا يُطلب مني دون لف أو دوران ؟ قال : إن الشجرة مفرغة من داخلها ، وإذا اختفى بها عشرة أشخاص ، لا يمكن رؤيتهم قط . فيجب أن تذهب الليلة وأن تتوارى بداخلها ، وعندما يأتي القاضي غداً ، فلتقدم الشهادة كما اتفقنا عليها . فقال الوالد : يا بني ما أكثر الحيل التي تصيب المحتال بالوبال .

ولكي ندرك أن أبا المعالي نصر الله قد أدخل بعض التغيير على الأصل العربي الذي كتبه ابن المقفع ، أورد نص هذه الحكاية كما جاءت في النص العربي لابن المقفع [1] :

زعموا أن خباً [2] ومغفلاً اشتركا في تجارة وسافرا ، فبينما هما في الطريق تخلف المغفل لبعض حاجته ، فوجد كيساً فيه ألف دينار ، فأخذه فأحس به الخب فرجعا إلى بلدهما ، حتى إذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام المال ، فقال المغفل : خذ نصفه ، وكان الخب قد قرر في نفسه أن يذهب بالألف جميعه . فقال له : لا نقتسم فإن الشركة والمفاوضة أقرب إلى الصفاء والمخالطة ، ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقي في أصل الشجرة ، فهو مكان حريز ، فإذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعنا أحد ، فأخذا منه يسيراً ودفنا الباقي في أصل دوحة ودخلا البلد . ثم إن الخب خالف المغفل إلى الدنانير فأخذها وسوى الأرض كما كانت ، وجاء المغفل بعد ذلك بأشهر فقال للخب قد احتجت إلى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا ، فقام الخب معه وذهبا إلى المكان فحفرا فلم يجدا شيئاً ، فأقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول : لا تغتر بصحبة صاحب ، خالفتني إلى الدنانير فأخذتها فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب إلا شدة في اللطم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها أحد سواك ؟ ثم طال ذلك بينهما فترافعا إلى القاضي ، فاقتص القاضي قصتهما ، فادعى الخب أن المغفل أخذها ، وجحد المغفل ، فقال للخب ألك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي إن المغفل أخذها وكان الخب قد أمر أباه أن يذهب فيتوارى في الشجرة ثم إن القاضي لما سمع من الخب أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه ، حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها . نعم المغفل أخذها ، فلما

---

(١) كتاب كليلة ودمنة : ترجمة عبد الله بن المقفع ص ٧٢٢٧١ (باب الأسد والثور) طبع المكتبة الثقافية بيروت .

(٢) أي مخادع .

سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه ، فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران . فاستغاث أبو الحب عند ذلك فأخرج وقد أشرف على الهلاك ، فسأله القاضي عن القصة فأخبره بالخبر فأوقع بالحب وبأبيه صفعاً وأركبه مشهوراً وغرم الحب الدنانير ، فأخذها وأعطاها المغفل .

• • •

٤ – حكاية

آورده اند که زاهدی گاوی بخرید وسوی خانه میرفت ، دزدی بدید ، در عقب آمد تاگاو ببرد ، دیوی درصورت آدمی با او همراه شد ، دزد از او پرسیدکه توکیستی ، گفت دیوم که براثر آن زاهد میروم تا بفرصت اورا بکشم . آنگاه او را گفت تو حال خود بامن بگوی . جواب داد که من مردی عیار پیشه ام ، میروم که گاو این زاهد بدزدم ، پس هر دو بعقب زاهد رفتند ، شبانگاه بزاويه زاهد رسیدند ، زاهد درخانه رفت وگاو ببست وتیمار علف بداشت وباستراحتی پرداخت . دزد اندیشید که اگر پیش از بردن گاو بکشتن او دست دراز کند ، باشد که بیدار شود وبردن گاو ممکن نگردد . دیوگفت اگر دزد گاو بیرون برد درها باز شود وزاهد بیدار گردد . دزد را گفت مهلتی ده تا من مرد را بکشم آنگاه تو گاو را ببر . دزد گفت توقف از جانب تو اولیتر تامن گاو بیرون برم آنگاه تو اورابکش . این خلاف میان ایشان قائم شد وبمجادله پیوست ، دزد زاهد را آواز داد که اینجا دیواست ترا بخواهد کشت . دیو آواز داد که دزدگاو میبرد . زاهد بیدار شد وهمسایگان را آواز داد . ایشان بگریختند ونفس ومال زاهد بسبب خلاف دشمنان مصون ومسلم ماند .

الترجمة العربية :

٤ ـ حكاية

زعموا أن زاهداً اشترى بقرة ومضى بها صوب الدار ، فرآه لص ، ومضى في أعقابه حتى يسرق البقرة ، وكان يسير في إثره شيطان في صورة آدمي ، فسأله : اللص من أنت ؟ قال : أنا الشيطان ، وأسير في إثر ذلك الزاهد حتى أجد الفرصة لأقتله ، ثم قال له : لتخبرني بأمرك ، فقال : إنني رجل أحترف السرقة ، لذا أسير كي أسرق بقرة هذا الزاهد . وأخيراً مضى كلاهما في عقب الزاهد . ووصلا إلى زاوية الزاهد ليلاً . فدخل الزاهد الدار وربط البقرة وقدم لها العلف ، ثم خلد للراحة ، فخشي اللص أنه إن تمتد اليد لقتله قبل سرقة البقرة ، فمن الممكن أن يستيقظ ، ولا تتم سرقة البقرة . وقال الشيطان : إن يخرج اللص البقرة ويفتح الباب ، لاستيقظ الزاهد ! فقال للص : تمهل حتى أقتل الرجل ، ثم خذ البقرة بعد ذلك . قال اللص : من الأفضل أن يكون التمهل من جانبك حتى أخرج البقرة ، وبعدها فلتقتله . نشب هذا الخلاف فيما بينهما وانهمكا في الجدال ، فنادى اللص الزاهد بصوت مرتفع ، وقال : هنا شيطان يريد قتلك . وصاح الشيطان قائلاً : بل اللص يبغي سرقة البقرة . استيقظ الزاهد ، واستغاث بجيرانه ، فهربا ، وهكذا سلمت نفس الزاهد وماله بسبب خلاف العدوين .

• • •

٥ – حکایت

بازرگانی که روغن گوسفند و شهد فروختی ، با مردی پارسا همسایگی داشت ، و هر روز قدری از بضاعت خویش برای قوت زاهد فرستادی ، زاهد چیزی به کار بردی و باقی در سبوئی کردی ، و ظرفی بنهادی تا سبو پُرْشد ، روزی اندیشید که اگر این شهد و روغن به ده درم بتوانم فروخت ، آنرا پنج گوسفند بخرم ، هر پنج بزایند واز نتایج ایشان رمّه ها پیدا آید و مرا استظهاری باشد ، و زنی از خاندان بزرگ بخواهم ، لا شك پسری آید نام نیکو بر او نهم ، و علم و ادب بیاموزم ، و اگر تمرّدی کند بدین عصا او را ادب فرمایم . این فکرت چنان قوی شد که ناگاه عصا برگرفت و بر سبوی آویخته زد . در حال سبو بشکست و شهد و روغن بر روی او فرود آمد .

الترجمـــة

٥ – حكاية

كان أحد التجار يبيع زبد الخراف والعسل ، وكان يجاور رجلاً زاهداً ، وفي كل يوم كان يرسل شيئاً من بضاعته إلى الزاهد ليقتات به . فكان الزاهد يستهلك جزءاً ويدخر الباقي في إبريق ، حتّى امتلأ الإبريق . وذات يوم فكر قائلاً : إنْ أبعْ هذا العسل وذلك الزبد بعشرة

دراهم ، فإنني أشتري بها خمسة خراف . وستلد الخمسة كلها ، ومن نتاجها يتكون لديَّ قطيع من الغنم ، وأصبح غنياً ، وأتزوج امرأة من أسرة عظيمة ، ولا شك أنني سأرزق منها بغلام أطلق عليه اسماً جميلاً ، وأعلمه العلم والأدب . وإذا شق عصا الطاعة فإنني أؤدبه بتلك العصا .

واستولت عليه تلك الفكرة استيلاءً قوياً حتى أنه رفع العصا فجأة وضرب الإبريق المعلق . فانكسر الإبريق في الحال وسال العسل والزبد على وجهه !!

★ ★ ★

٦ – حکایت

زاهدی از جهت قربان گوسفندی خرید ، در راه قومی او را بدیدند ، و در آن طمع کردند ، و با یکدیگر قرار دادند که او را بفریبند ، و گوسپند ببرند . پس یك تن پیش در آمد ، و گفت : ای شیخ این سگ از کجا می آوری. و دیگری بدو گذشت ، و گفت : شیخ مگر عزم شکار دارد . سیم بدو پیوست و گفت این مرد در کسوت اهل صلاح است ، اما زاهد نمی نماید که زاهد را با سگ صحبت نباشد. هر کس چیزی گفت تا شکی در دل او افتاد و گفت شاید که فروشندهٔ این ، جادو بوده است ، و چشم بندی کرده ، در حال گوسفند بگذاشت ، و برفت ، و آن را جماعت بیردند .



٦ - حكايــة

اشترى أحد الزهاد خروفاً لكي يُضحّي به ، فرآه جماعة من الناس في الطريق ، وطمعوا في الخروف ، وقرروا فيما بينهم خداعه ، وسرقة الخروف منه . وأخيراً تقدم أحدهم ، وقال : أيها الشيخ من أين أحضرت هذا الكلب ؟ . ثم مر به آخر ، وقال : لعل الشيخ عازم على الصيد . ولحق به الثالث ، وقال : إن هذا الشيخ يرتدي لباس أهل التقوى ، ولكن لا يبدو عليه أنه زاهد ، إذ لا صحبة بين الزاهد والكلب . وهكذا قال كل شخص قولة حتى دب الشك في قلبه ، وقال : لعل بائع هذا كان ساحراً وعصب عينيَّ . وفي الحال تخلى عن الخروف ومضى في طريقه ، فسرقته تلك الجماعة .

چهـــار مقالـــه

نظامی عروضی سمرقندی

چهار مقاله (١)

(المقالات الأربع)

على الرغم من صغر حجم كتاب چهار مقاله ، فقد حاز شهرة واسعة جداً بين كتب النثر الفارسي منذ تأليفه وحتى يومنا هذا ، وما زال في مقدمة الكتب التي يحرص كل دارس للأدب الفارسي على اقتنائه والتمتع بأسلوبه الجميل الذي يعد خير أنموذج للأسلوب الفارسي الراقي . وقبل أن نستطرد في الحديث عن الكتاب نشير إشارات موجزة إلى حياة كاتبه .

مؤلف كتاب چهار مقاله هو أبو الحسن نظام الدين (أو نجم الدين) أحمد بن عمر بن علي السمرقندي المعروف بنظامى عروضى ، عاش في القرن السادس الهجري ، ولكن تاريخ ولادته ليس معروفاً على وجه اليقين ، فالأخبار التي تناقلتها كتب التذاكر قليلة للغاية ، كما أن الإشارات التي وردت في كتابه چهار مقاله متعلقة بحياة مؤلفه ليست كافية لتتبع حياة نظامي منذ المولد حتى وفاته .

وأول كتاب تعرض لذكر نظامي عروضى ، كان كتاب لباب الألباب لمحمد عوفي . (والمؤلف عام ٦١٧ هـ) . وقد ذكر أن نظامي من شعراء القرن

---

(١) لقد حظيت المكتبة العربية بترجمة عربية لهذا الكتاب أشرف عليها رائد من كبار رواد الدراسات الشرقية في العالم العربي الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ، وشاركه في ترجمته أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب ، وقد نشرت الترجمة في القاهرة عام ١٩٤٩ م .

السادس ، وذكر له خمس قطع شعرية [1] .

ثم ورد ذكر نظامى في تاريخ گزيدة المؤلف عام ٧٣٠ هـ ، وقال مؤلفه إن نظامى عروضى كان معاصراً لنظامى الگنجوى [2] ، ومن مصنفاته كتاب مجمع النوادر .

إلى غير ذلك من الإشارات الغامضة والمقتضبة التي وردت في كتب التذاكر المختلفة .

وإذا أردنا أن نتتبع بعض أخباره كما وردت في كتاب چهار مقاله نفسه ، فسنجد أنه ذكر عدة تواريخ تنقل فيها المؤلف بين بعض البلاد في منطقة شرقي إيران ، حيث اتصل بملوكها وببعض رجال الأدب المشهورين في هذه المنطقة كعمر الخيام على سبيل المثال ، ويستفاد من هذه التواريخ بصفة عامة أنه ولد قبل عام ٥٠٠ هـ وأنه ظل على قيد الحياة حتى بعد عام ٥٥٢ هـ ، وأنه التحق بخدمة الغوريين أو ملوك الجبل وأنه بقي في خدمتهم حتى ألف كتابه چهار مقاله في حدود عام ٥٥١ هـ .

ومن أخباره كذلك أنه كان معاصراً للشاعر الكبير عمر الخيام وأنه التحق بخدمته فترة من الزمن وسمع منه ، كما زار قبره بعد وفاته . وأنه اتصل كذلك بأمير شعراء بلاط السلطان سنجر السلجوقي ، وعرض عليه أشعاره ، فاستحسن هذه الأشعار وشجعه على مواصلة النظم .

إذا كانت الأخبار عن نظامى عروضى قليلة ، فما يهمنا هو كتابه چهار مقاله الذي خلد اسمه صاحبه، ولولا هذا الكتاب لما اهتم أحد بنظامي عروضى ،

---

(١) نقلا عن مقدمة العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني لكتاب چهار مقاله ، ص ، يز برلين ١٩٢٧ م .

(٢) ستتعرض لذكر هذ الشاعر الكبير في القسم الثاني من هذا الكتاب ، حين نتحدث عن : من روائع الشعر الفارسي .

ولم ذكره كذكر آلاف غيره من صغار الشعراء وموظفي البلاط .

وكتاب چهار مقاله اسمه الحقيقي « مجمع النوادر » وقد كتبه باسم أبي الحسن حسام الدين علي الغوري [1] ، ونظراً لأن الكتاب يشتمل على أربع مقالات ، فقد عرف باسم چهار مقاله أي المقالات الأربع ، أما الاسم الحقيقي فلا يكاد يعرفه إلا القليلون من المهتمين بالدراسات الأدبية . وقد ألفه نظامي لكي يتحدث عن طوائف أربع يعتقد أن الملك في حاجة إليهم ، ولا يستقيم أمر السلطنة إلا بهم – وهؤلاء هم : الكتاب والشعراء والمنجمون والأطباء ، ومما يزيد من أهمية هذا الكتاب أن المؤلف كان يعمل بالبلاط ومعايشاً لهذه الطوائف ، لذا فهو يتحدث عن تجارب بعضها مرت به شخصياً ، وبعضها شاهدها بنفسه مما يفيد في دراسة المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت وبخاصة دراسة الطبقات الوثيقة الصلة بالبلاط .

وقد حرص نظامي عروضي على أن يدلل على صدق ما يراه من شروط واجبة لكل طائفة من الطوائف الأربعة ، بذكر عشر حكايات بعد كل مقالة ، يروي فيها أحداثاً هامة تؤكد صدق ما يقوله . ولا شك أن هذه الحكايات زادت الكتاب أهمية لما بها من أخبار ونوادر وطرائف عن بعض معاصري الكاتب أو سابقيه ، مما يجعل الكتاب مصدراً هاماً من المصادر التي أمدتنا بالكثير من الأخبار والحقائق التي يندر وجودها في غيره .

وقد عدد العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني أهمية هذا الكتاب في مجموعة من النقاط ذكرها في مقدمة النسخة التي قام بتحقيقها ونشرها ، ومنها [1] :

١ – من المعروف أن عدداً كبيراً من نفائس الكتب الفارسية التي ألفت قبل الغزو المغولي قد تعرضت للإتلاف والضياع بسبب همجية المغول والتتار ،

---

(١) فرهنك ادبيات پارسی دری ، ص ١٧١ .

أو بسبب عدم اكتراث الإيرانيين بالحفاظ على هذه النفائس ، وعلى هذا فإذا بقي كتاب قيم من هذه الفترة ، فإنه يعد كسباً كبيراً ، وعلى هذا فحفظ چهار مقاله دون أن يلحق به ما لحق بغيره من الكتب يعد كسباً كبيراً للغة الفارسية وأدبهـا .

٢ – إلى جانب حديث الكاتب عن الطوائف الأربع ، فقد اشتمل الكتاب على كثير من الإشارات التاريخية . وكذلك اشتمل على تراجم للعديد من المشاهير والأعلام الذين لم يرد ذكرهم في غيره من كتب التاريخ ، ولكن الحق يقال ، إنه إلى جانب هذه الفائدة ، فقد وقع المصنف في بعض الأغلاط التاريخية ذكرها محمد بن عبد الوهاب القزويني في مقدمة النسخة التي نشرها[1] ، ولكن يغفر له – في رأيي – أنه لم يكن يبغي التأريخ ، وإنما كان يهدف إلى الاستشهاد بالواقعة ليدلل على صدق ما يقوله عن سمات أي طائفة من الطوائف الأربع التي يعالج أمورها في كتابه .

٣ – يتسم إنشاؤه بإيجاز اللفظ وإشباع المعنى وسلامة الأسلوب وخلوه من المترادفات ، حتى أنه يصلح أنموذجاً يحتذى لكتاب الفارسية المحدثين ، ويتحدث ملك الشعراء بهار عن أسلوب چهار مقاله في كتابه سبك شناسى ، فيشبهه بأسلوب قابوسنامه وسياستنامه من حيث الوضوح والسلاسة وخلوه من الأسجاع المتكلفة . كما أنه أكثر من استعمال المصطلحات العربية وخاصة تلك المصطلحات المتصلة بعمل الطوائف الأربع التي تحدث عنها الكاتب ، حيث أن معظم المصطلحات التي كانت سائدة في ذلك الوقت كانت عربية الأصل . ويعتقد بهار أنه يمكن القول بأن هذا الكتاب يعد خاتمة للكتب الأدبية لدى المتقدمين ، حيث لا نظير له في عذوبة اللفظ ووضوح المطالب وتجسم المعاني والوصف

(١) انظر چهار مقاله ، بسعي واهتمام وتصحيح : محمد بن عبد الوهاب قزويني ص : ج وما بعدهـا .

(٢) المرجع السابق ، ص : يب وما بعدها .

الكامل ، وكثرة الإيجاز اللطيف وكذلك الإطناب الألطف ، وتركيب الجملة المشبعة ، والقدرة على استعمال كل كلمة ولفظ في مكانه المناسب (١) .

٤ – لحكايات المقالة الثانية من المقالات الأربع أهمية خاصة في التأريخ لكثير من الشعراء الذين كانوا يعيشون في كنف الدويلات الفارسية الأولى ، وبعض هؤلاء الشعراء لم يرد ذكرهم في غيره من الكتب ، مما يجعله مرجعاً أصيلاً في هذا الخصوص ، وإلى جانب هؤلاء المغمورين من الشعراء ذكر بعض أخبار مشاهير الشعراء السابقين والمعاصرين له ومنهم : الرودكي أبو الشعر الفارسي ، والعنصري والمعزي والفردوسي والأزرقي ومسعود سعد سلمان وغيرهم كثيرون .

٥ – أمدتنا حكايات المقالة الثالثة – وفيها تحدث عن المنجمين – ببعض أخبار عمر الخيام ، فقد كان هذا الكتاب أول من أورد ذكر الخيام حيث كان مؤلفه معاصراً له وعمل في خدمته فترة وسمع منه ، ولكن مما يلفت النظر أنه ذكر الخيام بين طبقة المنجمين ، وهذا ما كان يعتقده الإيرانيون حتى وقت قريب ، فكان اهتمامهم بالخيام كنجم أكثر من اهتمامهم به كشاعر ، ولم يعرفه العالم كشاعر مجيد إلا بعد ترجمة فيتزجرالد للرباعيات (٢) .

ولا شك أن أهمية كتاب چهار مقاله قد عرفت منذ تأليف الكتاب وحتى اليوم ، فقد كثرت الكتب التي أخذت عنه ونقلت الكثير من الأخبار التي وردت به . ومن هذه الكتب تاريخ طبرستان لابن اسفنديار ، وتذكرة الشعراء لدولتشاه ونگارستان للقاضي أحمد الغفاري ، وتاريخ گزيده لحمد الله مستوفي القزويني ، وغيرها من الكتب التي ألفت بعد ذلك .

كما حظي چهار مقاله بالإعزاز والتقدير من كل الذين تحدثوا عنه أو نقلوا

---

(١) سبك شناسى ، ج : ٢ ، ص : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) سنتحدث عن هذا الأمر أثناء الحديث عن رباعيات الخيام في القسم الثاني من هذا الكتاب .

بعض أخباره ، ومنهم المستشرق الإنجليزي ادوارد جرانفيل براون – وهو الذي كلف العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني بتحقيقه ونشره – فقد قال في كتابه تاريخ الأدب في إيران :

هذا الكتاب يعتبر في رأيي من أهم الكتب المنثورة في اللغة الفارسية وأكثرها متعة وإيناساً ، كما أنه أكثر الكتب التي أعرفها فائدة في الكشف عن الصحيح من حياة القصور في إيران ، وفي أواسط آسيا أثناء القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي [1] .

وقال صاحب هزأرسال نثرپارسى :

يعد كتاب چهار مقاله من حيث سلامة إنشائه وسلاسته واتساق بيانه من الكتب ذات القيمة العالية [2] .

وقالت مؤلفة فرهنگ أدبيات فارسى درى :

إن كتاب چهار مقاله يحظى بأهمية تاريخية وجغرافية ، وأسلوب تأليفه غاية في البساطة والسلاسة ، ويعد واحداً من الآثار المنتقاة في النثر الفارسي [3]

• • •

وفي الصفحات التالية أورد نص المقالتين الأولى والثانية ، والتي تحدث فيهما المؤلف عن الكاتب والشاعر ، لعل القارىء العربي المهتم بالنواحي الأدبية يجد فيهما ما يفيده من شروط رأى المؤلف ضرورة توفرها لكل من يتصدى للكلمة كاتباً كان أم شاعراً ، ولكي يدرك القارىء العربي مدى التكامل والترابط بين الثقافتين العربية والفارسية ، وأن الشرقي لكي يبرز في عالم الأدب عليه

---

(١) تاريخ الأدب في ايران جـ ٢ (الترجمة العربية) ص : ٤٢٥ .
(٢) هزارسال نثرپارسى جـ : ٣ ، ص : ٦٣٤ .
(٣) فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ١١٢ .

أن يستكمل عدته من هاتين الثقافتين ، وإذا كان الأقدمون قد أدركوا هذا المنطلق وعملوا في إطاره ، فما أحوجنا اليوم إلى هذا الإطار لندعم الثقافة الإسلامية ونعيد إليها مجدها القديم ، أيام أن كانت الثقافة الأولى في هذا العالم شرقه وغربه .

مقالت اول

در ماهیت دبیری وکیفیت دبیر کامل وآنچه تعلق بدین دارد

دبیری صناعتی است مشتمل بر قیاسات خطابی وبلاغی منتفع در مخاطبتی که در میان مردم است بر سبیل محاورت ومشاورت ومخاصمت در مدح وذم وحیله واستعطاف واغراء وبزرگ گردانیدن اعمال وخرد گردانیدن اشغال وساختن وجوه عذر وعتاب واحکام وثائق واذکار سوابق وظاهر گردانیدن ترتیب ونظام سخن در هر واقعه تا بر وجه اولی واحری اداکرده آید ، پس دبیر بایدکه کریم الأصل شریف العرض دقیق النظر عمیق الفکر ثاقب الرأي باشد واز ادب وثمرات آن قسم اکبر وحظ اوفر نصیب او رسیده باشد واز قیاسات منطقی بعید وبیگانه نباشد ومراتب ابناء زمانه شناسد ومقادیر أهل روزگار داند وبحطام دنیاوی ومزخرفات آن مشغول نباشد وبتحسین وتقبیح اصحاب اغراض وارباب اغماض التفات نکند وغره نشود وعرض مخدوم را در مقامات ترسل از مواضع نازل ومراسم خامل محفوظ دارد ودر اثناء کتابت ومساق ترسل بر ارباب حرمت واصحاب حشمت نستیزد واگرچه میان مخدوم ومخاطب او مخاصمت باشد او قلم نگاه دارد ودر عرض او

وقیعت نکند الا بدانکس که تجاوز حد کرده باشد وقدم حرمت از دائرهٔ حشمت بیرون نهاده که واحدة بواحدة والبادیء اظلم ودر عنوانات طریق اوسط نگاه دارد وبهرکس آن نویسد که اصل ونسب وملك وولایت ولشکر وخزینهٔ او بر آن دلیل باشد الا بکسی که درین باره مضایقتی نمودهٔ باشد وتکبری کرده وخردهٔ فرو گذاشته وانبساطی فزوده که خرد آنرا موافق مکاتبت نشمرد وملائم مراسلت نداند درین موضع دبیر را دستوری است واجازت که قلم بردارد وقدم درگذارد ودرین ممر باقصای غایت ومنتهای نهایت برسدکه اکمل انسان وافضل ایشان صلوات الله وسلامه علیه می فرمایدکه التکبر مع المتکبر صدقة والبته نگذارد که هیچ غباری در فضاء مکاتبت از هواء مراسلت بر دامن حرمت مخدوم او نشیند ودر سیاقت سخن آن طریق گیرد که الفاظ متابع معانی آید وسخن کوتاه گردد که فصحاء عرب گفته اند خیر الکلام ما قل ودل زیرا که هرگاه که معانی متابع الفاظ افتد سخن دراز شود وکاتب را مکثار خوانند والمکثار مهذار ، اما سخن دبیر بدین درجه نرسد تا از هر علم بهرهٔ ندارد واز هر استاد نکتهٔ یاد نگیرد واز هر حکیم لطیفهٔ نشنود واز هر ادیب طرفهٔ اقتباس نکند پس عادت باید کرد بخواندن کلام رب العزة واخبار مصطفی وآثار صحابه وامثال عرب وکلمات عجم ومطالعهٔ کتب سلف ومناظرهٔ صحف خلف چون ترسل صاحب وصابی وقابوس والفاظ حمادی وامامی وقدامة بن جعفر ومقامات بدیع وحریری وحمید وتوقیعات بلعمی واحمدحسن وابو نصر کندری ونامهای محمد عبده وعبد الحمید وسید الرؤساء ومجالس محمد منصور وابن عبادی وابن النسابة العلوی واز دواوین عرب دیوان متنبی وابیوردی وغزی واز

شعر عجم اشعار رودكى ومثنوى فردوسى ومدائح عنصرى ، هر يكى از اينهاكه بر شمردم در صناعت خويش نسيج وحده بودند ووحيد وقت وهر كاتب كه اين كتب دارد ومطالعه آن فرو نگذارد خاطر را تشحيذ كند ودماغ را صقال دهد وطبع را برافروزد وسخن را ببالا كشيد ودبير بدو معروف شود .

الترجمة العربية :

المقالة الأولى

في ماهية الكتابة ، وصفات الكاتب الكامل وما يتعلق بهذا

الكتابة صناعة تشتمل على قياسات خطابية وبلاغية تفيد في ما يدور بين الناس من أحاديث على سبيل المحاورة والمشاورة والمخاصمة في المدح والذم ، والتحايل والاستعطاف والإغراء وتعظيم الأعمال والتوهين من الأشغال وتقديم المعاذير والعتاب ، وإحكام العلائق والتذكير بالسوابق ، وحسن ترتيب الكلام وتنظيمه حسب كل واقعة على الوجه الأولى والأحرى . بعد ذلك يجب أن يكون الكاتب كريم الأصل شريف العرض دقيق النظر عميق الفكر ثاقب الرأي ، وأن يكون له من الأدب وثماره القسم الأكبر والحظ الأوفر ، وألا يكون بعيداً عن القياسات المنطقية غريباً عنها . وأن يحسن إدراك مراتب أبناء الزمان ومقادير أهل العصر ، وألا يُشغل بالحطام الدنيوي وزخرف الحياة ، وألا يلقي بالاً إلى استحسان أو استهجان المغرضين وأولي الإغماض ، ولا يتملكه العجب والغرور . وأن يحفظ عرض مخدومه في مقامات الترسل عن المواضع الدنية والمراتب الخاملة . وفي أثناء الكتابة وسياق الترسل عليه ألا

يعتدي على أرباب الحرمة وأهل الحشمة ، وإن تكن هناك خصومة بين مخدومه ومن يخاطبه ، فعليه أن يحفظ قلمه وألا يطعنه في عرضه ، إلا مع ذلك الشخص الذي قد يتجاوز الحد ، والذي خلف وراءه دائرة الاحتشام ، إذ واحدة بواحدة والبادئ أظلم .

وأن يكون وسطاً في استخدام الألقاب ، وأن يكتب إلى كل شخص وفق نسبه وملكه وولايته وعسكره وخزائنه ، إلا مع ذلك الشخص الذي يتبرم في هذا المجال ، ويتملكه التكبر والتعالي ، ويستبد به العجب والانبساط بطريقة لا يتقبلها العقل في مجال الكتابة والمراسلة ، وهنا يحق للكاتب أن يرفع قلمه ويمضي قدماً ليصل في هذا الطريق إلى غاية مداه ، فقد قال أكمل إنسان وأفضلهم صلوات الله وسلامه عليه : « التكبر مع المتكبر صدقة » كما لا يسمح مطلقاً بأن يصيب مخدومه في مجال الكتابة أي غبار من هواء المراسلة .

ويجب أن يكون نهجه في الكتابة يتمثل في كون الألفاظ في اتساق مع المعاني ، وأن يقصر في الكلام ، فقد قال بلغاء العرب وفصحائهم : خير الكلام ما قل ودل ، لأنه إن تخضع المعاني للألفاظ ، يطل الكلام ، وسمى الكاتب مكثاراً والمكثار مهزار . ولن يبلغ كلام الكاتب هذه الدرجة حتى يفيد من كل علم ، ويحفظ عن كل أستاذ نكتة ، ويأخذ بطرفة من كل أديب . وبعد ذلك يجب أن يتعود قراءة كلام رب العزة وأخبار المصطفى وآثار الصحابة وأمثال العرب وكلمات العجم ، ومطالعة كتب السلف ، وكذلك كتب الخلف مثـــل :

ترسل الصاحب (١) والصابي (٢) وقابوس (٣) وألفاظ الحمادى والإمامى

*** الحواشي الآتية منقولة عن حواشي الترجمة العربية لجهار مقاله .

(١) أي الصاحب بن عباد .

(٢) أبو اسحق ابراهيم بن هلال الحراني الصابي .

(٣) قابوس بن وشمكير وقد سبق التحدث عنه أثناء دراسة كتاب قابوسنامه .

وقدامة بن جعفر ، ومقامات البديع والحريري وحميدي [1] ، وتوقيعات البلعمي [2] وأحمد بن حسن [3] وأبى نصر الكندري [4] ، ورسائل محمد عبده وعبد الحميد [5] وسيد الرؤساء ومجالس محمد بن منصور وابن عبادى وابن النسابة العلوي . ومن دواوين العرب ، ديوان المتنبي والأبيوردي والغزّي [6] . ومن شعر العجم أشعار الرودكى ومثنوي الفردوسي ومدائح العنصري ، فكل واحد من الذين أحصيتهم كان نسيجاً وحده في صناعته ووحيد عصره . وكل كاتب يحوز هذه الكتب ، ولا يتخلف عن قراءتها ، يشحذ خاطره ، ويصقل ذهنه ، ويسطع طبعه ، ويسمو كلامه ، ويستحق أن يسمى «كاتباً» .

* * *

---

(٢) أبو اسحق ابراهيم بن هلال الحراني الصبابي .

(١) المقصود مقامات حميدي ، تأليف قاضي القضاة أبي بكر عمر بن محمود الملقب بحميد الدين ، وعلى غرار مقامات بديع الزمان الهمذاني ، وقد توفي حميد الدين عام ٥٥٩ هـ تقريباً .

(٢) البلعمي : مترجم تاريخ الطبري إلى اللغة الفارسية ، وقد سبق الحديث عنه .

(٣) المقصود أحمد بن حسن الميمندي وزير السلطان محمود الغزنوي ، ويرجع إليه الفضل في كتابة الرسائل بالعربية بعد أن كانت تكتب بالفارسية أيام السامانيين .

(٤) الكندري : وزير طغرل مؤسس الدولة السلجوقية ، ووزر فترة لألب إرسلان ثم انتهى أمره بالقتل عام ٤٥٦ هـ .

(٥) المقصود به عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية والذي قيل في حقه : بدئت الكتابة بعبد الحميد .

(٦) من شعراء العرب الذين مدحوا السامانيين ، وغزى نسبة إلى مدينة غزة بفلسطين ، وتوفي عام ٥٢٤ هـ .

مقالت دوم

در ماهیت علم شعر وصلاحیت شاعر

شاعری صناعتی است که شاعر بدان صناعت اتساق مقدمات موهمه کند والتئام قیاسات منتجه برآن وجه که معنی خرد را بزرگ گرداند ومعنی بزرگ راخرد ونیکو را در خلعت زشت باز نماید وزشت را در صورت نیکو جلوه کند وبایهام قوتهای غضبانی وشهوانی‌را برانگیزد تابدان ایهام طباع را انقباضی وانبساطی بود وامور عظام را در نظام عالم سبب شود.

فصـــل

در چگونگی شاعر وشعر او

اما شاعر بایدکه سلیم الفطرة عظیم الفکرة صحیح الطبع جید الرویة دقیق النظر باشد در انواع علوم متنوع باشد ودر اطراف رسوم مستطرف زیراکه چنانکه شعر در هر علمی بکار همی شود هر علمی در شعر بکارهمی شود وشاعر بایدکه در مجلس محاورت خوشگوی بود ودر مجلس معاشرت خوشروی وبایدکه شعر او بدان درجه رسیده باشدکه در صحیفهٔ روزگار مسطور باشد وبر السنهٔ احرار مقروء بر سفائن بنویسند ودر مدائن بخوانند که حظ

اوفر وقسم افضل از شعر بقاء اسم است وتا مسطور ومقروء نباشد این معنی بحاصل نیاید وچون شعر بدین درجه نباشد تأثیر او را اثر نبود پیش از خداوند خود بمیرد وچون اورا در بقاء خویش اثری نیست در بقاء اسم دیگری چه اثر باشد اما شاعر بدین درجه نرسد إلاکه در عنفوان شباب ودر روزگار جوانی بیست هزار بیت از اشعار متقدمان یاد گیرد وده هزار کلمه از آثار متأخران پیش چشم کند وپیوسته دواوین استادان همی خواند ویاد همی گیرد که در آمد وبیرون شد ایشان از مضایق ودقائق سخن برچه وجه بوده است تا طرق وانواع شعر در طبع او مرتسم شود وعیب وهنر شعر بر صحیفهٔ خرد او منقش گردد تا سخنش روی در ترقی دارد وطبعش بجانب علو میل کند ، هرکرا طبع در نظم شعر راسخ شد وسخنش هموار گشت روی شعر آرد وعروض بخواند وگرد تصانیف استاد ابو الحسن السرخسی البهرامی گردد چون غایة العروضین وکنز القافیه ، ونقد معانی ونقد الفاظ وسرقات وتراجم وانواع این علوم بخواند بر استادی که آن داند تا نام استادی را سزاوار شود واسم او در صحیفهٔ روزگار پدید آید چنانکه امامی دیگر استادان که نامهای ایشان یاد کردیم تا آنچه از مخدوم وممدوح بستاند حق آن بتواند گزارد در بقاء اسم واما بر پادشاه واجب است که چنین شاعر را تربیت کندتا در خدمت او پدیدار آید ونام او از مدحت او هویدا شود اما اگر ازین درجه کم باشد نشاید بدو سیم ضائع کردن وبشعر او التفات نمودن خاصه که پیر بود ودرین باب تمحص کرده ام در کل عالم از شاعر پیر بدتر نیافته ام وهیچ سیم ضائع تر از آن نیست که بوی دهند ناجوانمردی که به پنجاه سال ندانسته باشد که آنچه من همی گویم بد است کی بخواهد دانستن

اما اگر جوانی بودکه طبع راست دارد اگرچه شعرش نیك نباشد امید بودکه نیك شود ودر شریعت آزادگی تربیت او واجب باشد وتعهد او فریضه وتفقد او لازم ، اما در خدمت پادشاه هیچ بهتر از بدیهه گفتن نیست که ببدیهه طبع پادشاه خرم شود ومجلسها برافروزد وشاعر بمقصود رسد .

• • •

المقالة الثانية

في ماهية الشعر ، وصلاحية الشاعر

الشعر صناعة ينظم بها الشاعر المقدمات الموهمة ، والمقاييس بصورة تجعل المعنى الصغير عظيماً ، والمعنى الكبير صغيراً ، ويخلع على الجميل خلعة قبيحة ، ويجعل القبيح جميلاً مجلواً . كما يثير بالإيهام قوى الغضب والانفعال ، بما يولد الانقباض والانبساط في الطباع والنفوس ، ويحدث أموراً عظاماً في نظام العــالم .

فصــل

في صفة الشاعر وشعره

يجب أن يكون الشاعر سليم الفطرة عظيم الفكرة صحيح الطبع جيد الروية دقيق النظر ، وأن يكون على معرفة بأنواع العلوم المختلفة ، وملماً بأطراف الرسوم. فكما أن الشعر على صلة بكل علم ، فكل علم على صلة كذلك بالشعر ، ويجب أن يكون الشاعر عذب الحديث في مجلس المحاورة ، صبوح الوجه في

مجلس المعاشرة . ويجب أن يكون شعره قد بلغ الدرجة التي تجعله مسطوراً في صحيفة الزمان ، ومُردداً على ألسنة الأحرار ، ومكتوباً في السفائن ، ومقروءاً في المدائن . وأفضل ما يجنيه الشاعر من شعره تخليد اسمه ، ولن يتم ذلك ما لم يكن مسطوراً تردده الألسن ، وإن لم يصل الشعر إلى هذه المرتبة ، فلن يكون لتأثيره أي أثر ، بل يموت قبل موت صاحبه ، فإذا لم يكن قادراً على تخليد نفسه ، فكيف يتأتى له تخليد غيره . ولن يصل الشاعر إلى تلك الدرجة إلا أن يحفظ في سن الشباب وأيام الفتوة عشرين ألف بيت من أشعار السابقين ، وأن يضع نصب عينيه عشرة آلاف كلمة من آثار المتأخرين ، وأن يقرأ دائماً في دواوين الرواد ، ويأخذ منها كيف ينفذون أو يخرجون من مضايق القول ودقائقه ، حتى ترتسم في طبعه أنواع الشعر وطرائقه ، وحتى تتضح لعقله عيوب الشعر وفضائله ، لكي يجد كلامه الطريق نحو الرفعة والسمو ، ويتجه طبعه صوب الارتقاء والعلو .

وكل من رسخ طبعه في نظم الشعر ، وأصبح في مقدوره التحكم في الكلام ، اتجه إلى علم الشعر ، فقرأ العروض ، وطاف حول تصانيف أبي الحسن السرخسي البهرامي مثل غاية العروضين وكنز القافية ، وقرأ نقد المعاني ونقد الألفاظ والسرقات والتراجم ، وما شابهها من علوم على يد أستاذ يكون جديراً بأن يطلق عليه لفظ أستاذ . وحتى يسطر اسمه على صحيفة الزمان كأسماء بقية الأساتذة الآخرين الذين نحفظ أسماءهم ، وحتى يستطيع أن يوفي المخدوم حقه بتخليد اسمه جزاء ما يأخذه منه .

ومن واجب السلطان أن يرعى مثل هذا الشاعر حتى يتفانى في خدمته ويذيع اسمه عن طريق مدائحه . أما إذا كان أقل من هذه الدرجة ، فلا يجوز إضاعة المال لديه ، أو الالتفات إلى شعره ، وبخاصة إذا كان شيخاً ، وقد أطلت النظر في هذا الأمر ، فلم أجد في كل العالم من هو أسوأ من الشاعر الكهل ، وليس هناك من مال ضائع أكثر مما يعطى له ، وليس شاباً من وصل

إلى الخمسين دون أن يعرف شيئاً ، ولو أن كل ما قلته خطأ ، فمتى يتم له أن يعرف ؟

أما إذا كان شاباً ذا طبع سليم ، وجاء شعره غير جيد ، فمن المأمول فيه أن يصبح مجيداً ، ومن الواجب — كما تقضي شريعة المروءة — أن يعنى بتربيته ، وتعهده فريضة ، وتفقد أموره أمر حتمي . ولكن ليس في خدمة السلاطين ما يفضل حسن البديهة ، فإن البديهة تدخل المسرة على طبع السلطان ، وبها يزهو المجلس ويبلغ الشاعر مرامه ومقصوده .

• • •

گلستان سعدی

گلستان (1)

يذكر بعض المؤرخين أن أنبياء الأدب الفارسي ثلاثة ، هم حسب الترتيب الزمني الفردوسي والأنوري وسعدي (2) ، ولا شك أن هذا القول ينطبق تمام الانطباق على كل من الفردوسي مؤلف الملحمة الأولى في الأدب الفارسي ، وأعني بها الشاهنامة التي سنتعرض لذكرها في القسم الثاني من هذا الكتاب ، وكذلك سعدي الشيرازي صاحب كتاب الگلستان الذي نتحدث عنه في هذه الصفحات الموجزة ، أما الأنوري فهناك في رأيي شعراء وأدباء آخرون يفضلونه ومنهم على سبيل المثـال لا الحصر جلال الدين الرومي والعطار وحافظ الشيرازي ... وغيرهم .

وإذا كنا قد وافقنا أصحاب هذا الرأي على علو قدر سعدي الشيرازي ، فهي ليست موافقة نابعة من التعصب لسعدي أو إلى اتجاه ، بل لأنه قدم للأدب الفارسي بعض الروائع النثرية والشعرية التي ما زالت حتى اليوم موضع فخر الإيرانيين واعتزازهم بأدبهم وفكرهم .

وسعدي الشيرازي اسمه الكامل شرف الدين مصلح بن عبد الله السعدي

---

(1) معناه في اللغة العربية (الروضة) وقد ترجمه إلى اللغة العربية المرحوم الدكتور محمد موسى هنداوي ونشر في القاهرة ، ١٩٥٦ م .

(2) منهم دولتشاه في كتابه تذكرة الشعراء ، ونقله عنه براون في الجزء الثاني من كتابه تاريخ الأدب في ايران ، كما نقله الدكتور محمد موسى هنداوي في تقديمه لكلستان .

الشيرازي قيل إنه ولد عام ٥٨٠ هـ أو عام ٦٠٠ هـ في مدينة شيراز [١] ، وكان والده يعمل في بلاط الأتابك سعد بن زنكي ، ولكنه سرعان ما توفى ، وترك ابنه مصلحاً صغير السن ، فتولى الإشراف عليه وتنشئته مخدوم والده الأتابك سعد ، وهو الذي أرسله إلى بغداد لكي يلتحق بالمدرسة النظامية التي أنشئت في بغداد أيام الوزير المشهور نظام الملك . وكانت هذه البعثة التعليمية بداية للعديد من الرحلات التي قام بها سعدي حيث زار كلاً من بغداد والشام، وبلاد الجزيرة العربية ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ومصر ومراكش والحبشة ومكة وأذربيجان [٢] ولا شك أن هذه الرحلات العديدة التي استمرت — كما يقول بعض أصحاب التذاكر — ثلاثين سنة ، قد وسعت مداركه وأطلعته على أمور لم يكن في مقدوره الاطلاع عليها وهو في شيراز ، كما وفرت له فرصة الالتقاء بعدد كبير من كبار المفكرين وذوي الرأي والفضل في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ومنهم الشيخ شهاب الدين السهروردي الذي تتلمذ عليه سعدي في مدينة بغداد [٣] .

وبعد طول رحيل ، عاد ليستقر من جديد في موطن رأسه شيراز ، وهناك التحق بخدمة حكامها وبخاصة الأتابك أبي بكر بن سعد بن زنكي ، وابنه سعد ابن أبي بكر وهو الذي أخذ منه تخلصه الشعري (سعدي) . فأخذ يمدحهما ويؤلف ويصنف العديد من الكتب التي خلدت اسمه حتى اليوم ، ومن أهمها كتاباه البوستان وهو شعري خالص ، وقد انتهى من تأليفه عام ٦٥٥ هـ ، وفي العام التالي انتهى من تأليف كتابه الهام الثاني الگلستان .

ويقال إن سعدي قد رحل عن الدنيا عام ٦٩١ هـ [٤] ، أي أنه — إذا

(١) هزاوسال نثرپارسی ج ٣ ، ص : ٨٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ونفس الصفحة ، وفرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ٢٨٩ .

(٣) براون ، الجزء الثاني (الترجمة العربية) ص : ٦٦٨ ، وهزاوسال نثرپارسی ج ٣ ، ص : ٨٨٢ .

(٤) هزاوسال نثرپارسی ، ج ٣ ص : ٨٨٤ .

صح تاريخ ميلاده وكذلك تاريخ وفاته كما وردا في كتب التذاكر ؛ فإنه يكون قد عمّر أكثر من مائة عام . وقد دفن سعدى في شيراز ، حيث يوجد مزاره اليوم في شرقيها ، وهو مزار يقع في بقعة جميلة محاطة بالأشجار والورود . وإليه يؤم الناس ويطوفون حوله ، ويعد من المعالم السياحية البارزة في مدينة شيراز ، مثله في ذلك مثل مواطنه حافظ الشيرازي الذي سنتكلم عن غزلياته في القسم الثاني من هذا الكتاب .

وسعدي — كما يقول براون — يمثل بوجه عام الشخصية الفارسية المتزنة التي تعنى بالدين والدنيا في وقت واحد ، لذا لا نتردد مطلقاً في أن نقرر أن طابعه الخاص كان ينحو نحو الحكمة الدنيوية دون التصوفية أو الدينية [1] .

وهذا الرأي صحيح بالنسبة لسعدي ، فقد التحق بخدمة الأمراء ومدحهم وقال شعراً هازلاً ماجناً ، وفي نفس الوقت أنتج شعراً صوفياً رائعاً ، وأكثر من الحديث عن المشايخ والدراويش في الگلستان والبوستان وفي غيرهما من مؤلفاته الأخرى أي أنه كان يأخذ من كل اتجاه بقدر ، فلم يجنح نحو التصوف الكامل والعزلة التامة كأئمة المتصوفة من الشعراء أمثال العطار والرومي [2] . وعلى الرغم من موقفه المعتدل وأنه صوفي عملي ، فإن جامي الصوفي الكبير اعتبره من كبار المتصوفة وأولاه منزلة كبيرة واحتراماً زائداً في كتابه نفحات الأنس .

وإلى جانب تفوق سعدي في نظم الشعر الفارسي ، كما يشهد بذلك ديوانه والبوستان وغيرهما من الكتب الشعرية التي ألفها ، وتفوقه كذلك في مجال النثر الفارسي ،كما يشهد بذلك كتابه الگلستان ، فقد كان من أصحاب اللسانين ، حيث نظم أشعاراً عربية سواء في الديوان ، أو في ثنايا حكايات الگلستان . والسائد في ايران والهند — كما يقول المستشرق براون — أن القصائد العربية التي

---

(١) براون (الترجمة العربية) ص : ٦٦٨ .

(٢) سنعرض لهما ولبعض كتبهما في القسم الثاني من هذا الكتاب .

أنشأها سعدي جميلة جداً ، ولكن أدباء العربية يعتبرونها متوسطة أو دون المتوسطة ، ومن أهم قصائده العربية تلك التي بكى فيها بغداد بعد هجوم المغول ، ويقول في مطلعهـــا (١) :

حبســت بجفـني المدامع لا تجري ... فلما طغى الماء استطال على السكر
نسيم صبا بغداد بعـــد خرابهـــا ... تمنيت لو كانت تمر عـــلى قبري

ويعد سعدي شاعر الأخلاق الأول في إيران ، كما يطلق عليه دائماً لقب شاعر الإنسانية ، حيث كان يحس بأحاسيس الناس عامة ، ويتكلم عما يخالج جميع الطبقات من وجدان وشعور ، وإذا كان قد خص بعض الأمراء بمدائحه ، فمن أجل لقمة العيش وحياة مستقرة .

• • •

أما عن كتابه الگلستان فقد آثرنا أن نعرف به دون كتبه الأخرى لأنه كتاب يمثل الروح العامة لسعدي الشيرازي ، يمثله كاتباً ويصوره شاعراً ، فمع أن الكتاب نثري في الأصل إلا أنه تضمن الكثير من الأبيات الفارسية والعربية من نظم الشاعر ، وعلى هذا يمكن من خلال الگلستان الحكم على مقدرة سعدي في مجالي النظم والنثر . كما أن الگلستان يمثل صاحبه كشاعر أخلاقي ، فلا يوجد باب أو حتى حكاية واحدة تخلو من حكمة وعظة ، ويمثله كذلك كشاعر إنساني ، فلم يتحدث فيه عن الملوك وحدهم وكذلك رجال البلاط ، بل تحدث فيه عن الملوك والدراويش والمحبين والأصحاب والمسنين والشباب ، فهو كتاب للجميع ، كما أنه يمثل اعتدال سعدي في الجمع بين الدين والدنيا ، ففيه حديث عن التصوف وأحوال الشيوخ ، وفيه حديث عن ملذات الحياة البريئة وكيفية توفير السعادة في هذا العالم .

---

(١) براون : تاريخ الأدب في إيران ، ج ٢ ص ٤١ من الترجمة العربية .

وقد جاء كتاب (گلستان) في مقدمة وثمانية أبواب ، هي [1] :

الباب الأول : في سيرة الملوك.

الباب الثاني : في أخلاق الدراويش

الباب الثالث : في الفضيلة والقناعة

الباب الرابع : في فوائد الصمت

الباب الخامس : في العشق والشباب

الباب السادس : في الضعف والشيخوخة

الباب السابع : في تأثير التربية

الباب الثامن : في آداب الصحبة

ويقول ملك الشعراء بهار في تعريفه بهذا الكتاب في الجزء الثالث من سبك شناسى : « إن شخصية وأستاذية وفن سعدي موجودة كلها في كتابه « گلستان » ، وإذا لم يوجد هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير القيمة ، لانعدم ثلثا قيمة سعدي وشخصيته وعظمته ، وربما ظل الأدب الفارسي محروماً من مثل هذه الذخيرة العالية القيمة ، إذ لم يظهر في الماضي ولن يظهر في المستقبل كتاب شبيه بگلستان سعدى ... وأسلوب سعدي في الگلستان شبيه بأساليب الجاحظ في اللغة العربية من حيث التشويق والإبداع ، وعدم قدرة الآخرين على محاكاته وتقليده .

وأهم سمات أسلوب گلستان سعدي تتمثل في المميزات الآتية كما حددها بهار في سبك شناسى [2] :

---

(١) راجع كليات سعدي ، أو گلستان ، وفرهنك أدبيات فارسى درى ص ٤٢٤ .

(٢) سبك شناسى ج ٣ ، ص .

(٣) المزيد من التفاصيل راجع المرجع السابق ج ٣ ، ص ١٢٥ – ١٣٤ .

١ – الترتيب والتناسب والتنوع

٢ – ترجيح ما هو ضروري على ما هو غير ضروري

٣ – مراعاة حال القارىء الذي يكتب له مثاله في ذلك مثال الجاحظ .

٤ – مراعاة المناسبة التي يكتب فيها ، أو ينظم عنها .

٥ – مراعاة النغم في كل كلمة ، ولعله مبدع في ذلك حيث غفل السابقون عن اتباع هذا الأسلوب في كتاباتهم .

٦ – مراعاة الاختصار والإيجاز .

٧ – مراعاة الألفاظ من حيث الفصاحة والبلاغة ، والتخلي عن التركيبات المعقدة والألفاظ الجافة أو السوقية .

٨ – مراعاة الجمال والأدب .

ونتيجة لهذه المكانة الممتازة التي حظي بها كتاب « گلستان » منذ تأليفه وحتى اليوم ، فقد حاول كثيرون تقليده ، وتقليد أسلوبه ، ولكنهم فشلوا جميعاً في الوصول بأسلوبهم إلى أسلوب الگلستان ، ولم تحظ كتبهم بما حظي به كتاب سعدي هـذا من شهرة وانتشار وكثرة تداول ، وبخاصة أن سهولة ألفاظه وتراكيبه جعلت منه طوال السبعة قرون الماضية كتاباً مدرسياً من الدرجة الأولى ، فلم توجد مدرسة أو معلم وصبية إلا وكانوا يتدارسون الگلستان ، ويحفظون أشعاره ويفسرون حكاياته ، ويرددون نصائحه ومواعظه [١] .

وإذا كان اسم سعدي يذكر مقروناً دائماً بكتابيه «گلستان» و «بوستان» فأي الكتابين حظي بالانتشار الأوسع والتداول الأكبر ، والشهرة الأعرض ؟

يجيب على هذا السؤال المرحوم الدكتور محمد موسى هنداوي ، فيذكر أن

---

(١) براون ، الجزء الثاني (الترجمة العربية) ص : ٦٦٧ ، وهزارسال نثر پارسى ، ج ٣ ، ص ٨٨٣ ، فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ٤٢٤ .

الگلستان قد فاق في شهرته كتاب البوستان وذلك للأسباب التالية [1] :

١ ـ البوستان كله شعر ويحتاج الشعر إلى ثقافة عامة لدى القارىء لكي يدرك ما فيه من معان وأخيلة ، أما الگلستان فأساسه النثر مقروناً ببعض الأبيات من الشعرين العربي والفارسي ، وعلى هذا فقدرة القارىء على استيعابه وفهمه أيسر من قدرته على التعامل مع الكتاب الأول .

٢ ـ خلا البوستان من الفكاهة بمعناها الصحيح ، إذ كان الشاعر سعدي يبتغي رسم صورة المثل الأعلى لكل ما يناقشه ، ويتحدث عنه ، أما كتاب الگلستان فروح الفكاهة تغلب عليه ، لذا فهو أكثر تجاوباً مع الروح الشعبية ، مما جعل القاعدة التي تتعامل معه أوسع وأرحب من القاعدة التي تتعامل مع كتاب البوستان .

٣ ـ يمتاز كتاب الگستان بتنوع أغراضه وفنونه ، عما يوجد في البوستان من أغراض وفنون .

وعلى الرغم من هذه الفروق فكلا الكتابين فازا بشهرة واسعة ، وحاز بهما سعدي مكانة كبيرة ، حتى قال براون :

من الحق أن نقرر أن الشهرة الواسعة والصيت الكبيرين اللذين فاز بهما (سعدي) لم يفز بهما أديب فارسي آخر حتى اليوم ، سواء أكان ذلك في موطنه بالذات ، أم في أي مكان آخر يعنى باللغة الفارسية [2] .

• • •

في الصفحات التالية بعض حكايات الگلستان .

• • •

---

(١) الترجمة العربية لكلستان ، الجزء الأول ص : ١ .

(٢) براون ج ٢ (الترجمة العربية) ، ص : ٦٦٧ .

۱ – حکایت

پادشاهی را شنیدم ، که بکُشتن اسیری اشارت کرد ، بیچاره درحالت نومیدی ، بزبانی که داشت ، ملك را دشنام دادن گرفت ، وسقط گفتن – که گفته اند .

هرکه ، دست ، ازجان ، بشوید هرچه ، در دل ، دارد ، بگوید

شعر

إذا يئس الإنسان ، طال لسانه كسنوّر مغلوب يصول على الكلب

بیت

وقت ضرورت ، چونماند ، گریز دست بگیرد سر شمشیر تیز

ملك پرسید : چه میگوید ؟ یکی از وزرای نیك محضر گفت : ای خداوند ! میگوید که : « والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » . ملك رابروی رحمت آید ، واز سر خون او در گذشت .

وزیر دیگر ، که ضد او بود ، گفت : ابنای جنس مارانشاید درحضرت پادشاهان ، جزبراستی سخن گفتن .

این ملك را دشنام داد ، وناسزا گفت .

ملك روی از ین سخن درهم کشید ، وگفت :

مرا آن دروغ وی پسندیده تر آمد ، ازین راستی که تو گفتی ، که آنرا

روی در مصلحت بود ، واینرا بنا بر خباثتی :

وخردمندان گفته اند : دروغ مصلحت آمیز ، به از راستی فتنه انگیز .

بیت

هرکه شاه آن کند که او گوید
حیف باشد که جزنکو گوید

این لطیفه ، برطاق ایوان فریدون نوشته بود

مثنوی

جهان ، ای برادر نماند بکس
دل ، اندر جهان آفرین بندوبس

مکن تکیه بر ملك دنیا وپشت
که بسیارکس چونتو پرورد وکشت

چو آهنگ رفتن ، کند جان پاك
چه برتخت مردن چه بر روی خاك !!

• • •

الترجمة العربية :

الباب الأول : في سيرة الملوك

سمعت أن ملكاً أشار بقتل أسير ، فاضطر المسكين وهو في حالة من اليأس إلى سب الملك ولعنه ، فقد قيل :

— كل من ينفض يده من روحه ، فله أن يقول كل ما يجول بخاطره .

شعـــر

إذا يئس الإنســـان طـــال لسانــه　　　كسنور مغلوب يصول على الكلب

بيـــت

— إذا انعدم السبيل إلى الفرار ، فمن الممكن أن تمسك اليد بمقبض السيف البتار.

فسأل الملك : ماذا يقول ؟ فقال أحد الوزراء الفضلاء : إنه يقول :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » ، فعفا عنه الملك ، ولم يسفك دمه .

وقال وزير آخر — وكان خصماً له — : لا ينبغي لأبناء جنسنا ألا يتكلموا إلا صدقاً في حضرة الملوك ؛ فقد سب الملك ، وتكلم بما لا يليق .

تجهم وجه الملك من هذا الكلام ، وقال :

إن كذبه أفضل لدي من ذلك الصدق الذي قلته ، لأنه يبغي المصلحة ، أما أنت فأساسه — أي صدقك — الخبث ، وقد قال العقلاء : الكذب القرين المصلحة ، خير من الصدق المثير الفتنة .

بيت

– كل من يعمل الملك وفق مشورتهم ، من الظلم ألا ينطقوا بغير الخير
وقد سطرت هذه الحكمة على سقف ايوان افـريدون [1]

مثنـوى

– يا أخي ، إن الدنيا لا تبقى لشخص مطلقاً
فكفاك أن تتوجه بقلبك صوب الخالق

– ولا تركن إلى ملك الدنيا ، ولا تعتمد عليها
فما أكثر من تعهدتهم من أمثالك ثم أردتهم قتلى

– وعندما ترتفع أصوات الرحيل ، فسواء لروحك
أن تموت على الفراش ، أو على وجه الأديم .

٢ – حكايت

درويشى مستجاب الدعوة در بغداد پديد آمد ، حجاج بن يوسف را خبر كردند ، بخواندش ، وگفت : مرا دعاى خيركن !

گفت : خدايا ! جانش بستان ، گفت : از بهرخدا اين چه دعاست ؟
گفت اين دعاى خيرست ، ترا وجمله مسلمانان را ، گفت : چگونه ؟
گفت : اگر بميرى ، خلق از عذاب تو برهند ، وتواز گناهان .

---

(١) فريدون : ملك من ملوك الأسرة البيشدادية الأسطورية ، وهو الذي خلص إيران من الضحاك ، وظلمه . وهو أول من كرم العلم الكاويانى الذي اتخذته إيران رمزاً لها حتى سقط في أيدي المسلمين أيام موقعة القادسية .

مثنـــوى

ای زبر دست زیردست ، آزار
گرم ، تاکی بماند این بـــازار
بچه کار ، آیدت ، جهان داری؟
مُردنت به که مـــردم آزاری

• • •

الترجمة العربية :

حكـــاية

ظهر في بغداد درويش مستجاب الدعوة ، فخُبِّر به حجاج بن يوسف ، فاستدعاه ، وقال : ادع لي بالخير !

قال : الهي ! لتقبض روحه . قال : أستحلفك بالله ؛ لِمَ هذا الدعاء ؟ قال : إن هذا الدعاء فيه الخير لك ولعامة المسلمين . قال : كيف ؟ قال : إن تمت تخلص الناس من عذابك ، وتخلصت أنت من الذنوب .

مثنـــوى

– أيها الحاكم الظالم ، إلامَ تظل سوق الأذى رائجة ؟
– وما جدوى الحكم هكذا بالنسبة لك ؛ إن موتك أفضل من إيذاء الخلق ! !

• • •

باب دوم : در أخلاق درويشان

۱ ــ حکایت

دزدی بخانهٔ پارسائی در آمد ، چنانکه جُست ، چیزی نیافت، دلتنگ بازگشت . پارسارا ازحال او خبرباشد . گلیمی که در آن خفته بود ، برداشت ودر ره گزرِ دزد انداخت ، تامحروم نرود .

قطعــة

شنیدم کــه مــــردان راه خدا　　دل دشمنان همی نکردند تنگ
تراکی میسر شود این مقــــام　　که بادوستانت خلافست وجنگ

مودت اهل صفا چه در روی وچه در قفا ، نه چنانکه در پَسَت عیب گیرند ، ودر پیشت بمیرند .

بیــت

در برابر ، چو گوسفند سلیم　　درقفا همچو گرگ مردم دَر

بیــت

هرکه عیب دگران ، پیش تو آورد وشمــرد
بیگمان عیب تو پیش دگران ، خواهد بُرد

• • •

الترجمة العربية :

الباب الثاني : في أخلاق الدراويش

١ – حكاية

دخل لص منزل زاهد ، ومهما أطال البحث ، لم يجد شيئاً ، فعاد حزيناً آسفاً . ونقل خبره إلى الزاهد . فرفع الفراش الذي كان ينام عليه وألقاه في طريق اللص حتى لا يرجع محروماً .

قطعـــة

– لقد سمعت أن السالكين في طريق الله
لا يمكن أن يلحقوا الضرر بقلوب الأعداء

– فمتى تحظى بهذا المقام
يا من على خلاف وعراك دائماً مع الخلان

إن مودة أهل الصفا دائمة في المواجهة وفي الخفاء ، وليسوا كمن يطعنونك من وراء ظهرك ويموتون بين يديك !

بيـــت

في المواجهـــة كالحمـــــل الوديع ومن الخلف كالذئب الفاتك بالجميـع

بيـــت

كل من يحصي عيوب الآخرين أمامك ، سيذكر – بلا شك – عيوبك أمام الآخرين !

٢ ـ حکایت

یکی از مشایخ شام راپرسیدند ، که حقیقت تصوف چیست ؟ گفت ازین پیش طائفة بودند ، در جهان پراگنده بصورت ، وبمعنی جمع ، وامروز خلقی بظاهر جمع ، وبباطن پراکنده .

قطعـــه

ـ چوهر ساعت ، ازتو بجائی رود ، دل
بتنهائی ، اندر صفائی ، نه بیـــــنی
ـ ورت مال وجاهست وزرع وتجارت
چو دل ، باخدایست ، خلوت نشینی

• • •

الترجمة العربية :

٢ ـ حكاية

سئل أحد مشايخ الشام ، ما حقيقة التصوف ؟ قال : كانوا قبل هذا طائفة متفرقين في العالم صورة ، ولكنهم مجتمعين معنى ، وهم اليوم جماعة مجتمعين في الظاهر ، متفرقين في الباطن .

قطعـــة

ـ إن يشغل قلبك في كل ساعـــة
فلن تحظى بالصفاء مهما كنت وحيداً
ـ وإن ملكت المال والجاه والزرع والتجارة
وكنت دائماً مع الله ، فأنت في صفاء الخلوة

باب سوم درفضیلت قناعت

۱ – حکایت

درویشی را دیدم که در آتش فاقه میسوخت ، وخرقه بر خرقه میدوخت، وتسکین خاطر خود را میگفت :

بیــت

بنان خشك ، قناعت کنیم ، وجامهٔ دلق

که بار محنت خود به ز بار منت خلق

کس گفتش : چه نشینی که فلان دراین شهر طبعی کریم دارد وکرمی عمیم . میان بخدمت آزادگان بسته است ، وبردر دلها نشسته . اگر برصورت حالت چنانکه هست وقوف یابد ، پاسی خاطر عزیزت را منت دارد وغنیمت شمارد . گفت : خاموش ، که در گرسنگی مردن به که حاجت پیش کسی بردن .

قطعــه

هــم رقعه دوختن به والزام کنج صبر

کز بهرجامه رقعه برخواجگان نوشــت

حقا كه باعقوبت دوزخ برابـرست
رفتن بپاى مردى همسايه در بهشت

• • •

الترجمة العربية :

الباب الثالث : في فضيلة القناعة

١ ــ حكاية

رأيت درويشاً كان يحترق بنار الفاقة ، وكان يخيط الخرقة فوق الخرقة ، وكان يقول تهدئة لخاطره :

بيــت

ــ إننا نقنع بالخبز الجاف والثوب الخلق ، فتحمل آلام النفس خير من تحمل منة الخلق !

فقال له شخص : ماذا أقعدك ؟ إن فلاناً الموجود في هذه المدينة ذو طبع كريم ، وكرم عميم . وقد وقف نفسه على خدمة الأحرار وتهدئة القلوب . فإن يقف على حالك هذه ، أمن خاطرك العزيز ووفر لك الغُنم . فقال : صه : إن الموت مع الجوع أفضل من طلب المساعدة من أي شخص .

قطعــة

ــ لبس المرقعات مع الخلود إلى الصبر ، خير من سؤال السادة من أجل أي كساء
ــ حقاً ، إن عقوبة النار تتساوى مع دخول الجنة في حمى الجار .

• • •

۲ — حکایت

بقالی را درمی چند برصوفیان گرد آمده بود . هر روز مطالبه کردی وسخنهای باخشونت گفتی . اصحاب از لعنت او خسته خاطر همی بودند وجز تحمل چاره نبود .

صاحبدلی بشنید ، بخندید وگفت : نفس را وعده دادن بطعام آسانتر است که بقال را بدرم .

قطعــة

ترک احسان خواجـه اولیـتر　　کاحتمال جفای بوابـــان
بتمنای گوشت مـردن بـــه　　که تقاضای زشت قصابــان

• • •

الترجمة العربية

۲ — حكاية

كان لبقال بضعة دراهم لدى بعض الصوفية ، وكان يطالبهم بها في كل يوم ، ويتفوه بألفاظ نابية . وكان هؤلاء الأصحاب غاية في التضرر والأذى ولكن ليس لهم من حيلة أخرى .

سمع بذلك صوفي ، فتبسم وقال : إن تعد نفساك بالطعام أسهل من أن تعد البقال بالدراهم .

قطعــة

— التخلي عن إحسان السادة خير من تحمل جفوة الحجـــاب !
— كما أن الموت مع الحرمان من اللحم ، خير من تحمل أذى القصاب !

• • •

باب چهارم : در فوائد خاموشی

۱ – حکایت

بازرگانی را هزار دینار خسارت افتاد ، پسر راگفت : نباید که باکسی این سخن درمیان نهی ، گفت : ای پدر ! فرمان تراست ، نگویم . ولیکن بایدکه مرا بر فائدهٔ این مطلع گردانی ، که مصلحت در نهان داشتن چیست ؟ گفت : تا مصیبت دو نشود ، یکی نقصان مایه ، ودوم شماتت همسایه :

بیــت

– مگو انده خویش با دشمنــان
که لا حول ، گویند شادی‌کنــان

• • •

الترجمة العربية :

الباب الرابع : في فوائد الصمت

۱ – حكاية

خسر تاجر ألف دينار ، فقال لابنه : لا يجب أن تخبر أحدا بذلك !

قال : أبي ، لك السمع والطاعة ، ولن أتكلم . ولكن يجب إطلاعي على الفائدة من هذا الأمر ، فأي فائدة في إخفاء ذلك ؟ قال : حتى لا تكون المصيبة مصيبتين إحداهما نقصان المال ، والثانية شماتة الجار .

بيــت

— لا تشك آلامك للأعداء

إذ سيقولون لا حول وهم غاية في السعادة !

• • •

٢ — حكايت

جوانى خردمند از فنون فضايل حظى وافر داشت ، وطبعى نافذ ، چندان كه در محافل دانشمندان نشستى ، زبان از گفتن به بستى ، بارى پدر گفتش : اى پسر ! تونيز آز آنچه دانى چرا نگوئى؟ گفت : ترسم كه از آنچه ندانم پرسند ، وسرمشارى گردم .

شعــر

آن شنيدى كه صوفى ميكوفـت زير نعلين خويش ميخى چند
آستينش گرفــت سرهنگـــى كه بيا نعل برستورم بنـــد

بيــت

نگفته نــدارد كس باتوكـــار ولى چون بگفتى دليلش بيار

• • •

٢ ـ حكاية

حظي شاب حصيف بالعديد من الفضائل ، وبطبع نافذ ، ولكن مهما جلس في محافل العلماء ، انعقد لسانه دون كلام . وذات مرة قال له والده : يا بني ! لم لا تتكلم عما تعرف ؟ قال : أخشى أن أسأل عما لا أعرف فيتملكني الخجـــل .

شعـــر

ـ هل سمعت أن أحد الصوفيـــة
كان يدق المســامير بنعليـــه

ـ فأمسك بتلابيبـــه أحد الجنـــود
وقال : هيا حتى تدق نعل الفرس

بيـــت

لا تتحدث فى أى أمر مع من لا تربطك به صلة
أما إذا تحدثت ، فلتقدم الدليــــل !

• • •

حکایت

حسن میمندیرا گفتند : سلطان محمود چندین بندهٔ صاحب جمال دارد که هر یکی بدیع جهانند . چه گونه است که با هیچ یك از ایشان میلی ومحبتی ندارد چنانکه با ایاز که او را ازدیاد حسنی نیست؟ گفت : هر چه در دل فرود آید ، در دیده نکو نماید .

مثنوی

هر که سلطان مرید او باشـد
گر همـه بد کند نکو باشد
وانکه را پادشه بینـدازد
کسش از خیل خانـه ننوازد

قطعـه

کس بدیدهٔ انکار اگر نگاه کند
نشان صورت یوسف دهد بناخوبی
و گربچشم ارادت کند نظر در دیو
فرشته‌ایش نمایـد بچشم کروبـی

★ ★ ★

الترجمة :

من الباب الخامس : في العشق والشباب

حكايــة

قيل للحسن الميمندي[1] : إن لدى السلطان محمود عدةَ غلمان غاية في الجمال، حيث يعد كل واحد منهم بديعَ زمانه، فلماذا لا يميل لأيهم مثلما يميل إلى إياز ويحبه وهو لا يفوقهم حُسناً؟ قال : كل من وُجد له مكان بالقلب ، حسنت صورته في العين !

مثنوي

– كل من يصبح السلطان مريداً له ، أصبح كل ما يصدر عنه محبباً حتى وإن ارتكب سوءاً.

– وكل من يقصيه السلطان عنه ، فما جرأ أحد من العبيد والحشم على ملاطفته !

قطعــة

– إن يُنظر إلى شخص بعين الإنكار ، فلن يُرى إلا قبيحاً حتى ولو كان في جمال يوسف.

– وإن يُنظر إلى الشيطان بعين الرغبة والإرادة ، فسيرى ملاكاً وديعاً .

---

١ – وزير السلطان محمود الغزنوي ، مؤسس الدولة الغزنوية وناشر الإسلام في الهند .

حکایت

جوانی جست ولطیف وخندان وشیرین زبان در حلقهٔ عشرت ما بود که در دلش از هیچ نوعی غم نیامدی ، و لب از خنده فراهم نیاوردی . روزگاری بر آمد که اتفاق ملاقات نیفتاد . بعد از آن دیدمش زن خواسته و فرزندان خاسته ، وبیخ نشاطش بُریده ، و گل هوسش پژمرده . پرسیدمش که این چه حالتست . گفت : تا کودکان بیاوردم ، دیگر کودکی نکردم ؛ و حضور نیافتم.

شعر

فإذا الصبا والشيب غير لمّتي
وكفى بتغير الزمـــان نذيـــرا

بیت

چون پیر شدی ز کودکی دست بدار
بـــازی و ظرافت بجوانان بگـــذار

مثنوی

طرب نو جوانان ز پیر مجوی
که دگر ناید آب رفته بجوی
زرع را چون رسید وقت درو
نخرامـــد چنانکه سبـــزهٔ نو

قطعه

دور جوانی بشد از دست مـــن
آه و دریغ آن زمـــن دلفروز

قوت سر پنجهٔ شیری بـــرفت
راضیم اکنون به پنیری چو یوز

پیره زنی موی سیه کرده بود
گفتمش ای مامك دیرینه روز

موی بتلبیس سیه کرده گیر
راست نخواهد شدن این پشت کوز

★ ★ ★

الترجمة :

من الباب السادس : في الضعف والشيخوخة

حكايـــة

كان يفد إلى مجلس طربنا شاب متقد لطيف باسم عذب اللسان ، لم يتطرق إلى قلبه أي نوع من الهم والحزن ، ولم تكن البسمة تفارق شفتيه . ومرت فترة من الزمن لم أقابله . ثم رأيته بعد ذلك وقد تزوج ورزق أولاداً ، فإذا به وقد ولى عنه الجمال والرونق . وذبلت وردة شبابه . فسألته : أيّ حالة هذه ؟ قال : ما أن أنجبت أطفالاً حتى امتنعت أنا عن تصرفات الطفولة وتخليت عن الحضور (إلى مجلسكم) .

شعـــر

فإذا الصبا والشيب غير لمـــتي
وكفى بتغيير الزمان نذيـــرا

بيت

إن أصبحت مسناً فتخل عن أعمال الطفولة
واترك للشباب اللعب والنشاط والملاحة !

مثنوي

لا تبحث لدى الشيخ عن سعادة الشباب
حيث لا تعود المياه إلى منابعها مرة أخرى
وإذا ما حان وقت حصاد أي زرع
فلن يتمايـــل مثلما كان غصناً نضيرا !

قطعـــة

– لقد ولى الشباب من يدي
واحسرتاه على ذلك الزمان البهيج
– لقد وهنت قوة قبضتي الأسدية الكاسرة
لذا أصبحت راضياً بقطعة الجبن كفأر في مصيدة !
– لقد صبغت عجوز شعرها بالسواد
فقلت لها ، يا أماه لقد ولى زمان هذا الفعل
– وإن كنت قد صبغت الشعر بالسواد زوراً وبهتاناً
فإنك لن تستطيعي معالجة هذا الظهر المنحني !

★ ★ ★

تهذیب خداوند زادگان

یکی از فضلا تعلیم ملك زاده کردی ، و ضرب بی محابا زدی ، و زجر بی قیاس کردی . پسر از بی طاقتی شکایت پیش پدر برد ، و جامه از تن دردمند برداشت ، پدر را دل بهم بر آمد ، استاد را بخواند ، وگفت : بر پسران آحادِ رعیت چندین جفا و توبیخ روا نمی داری که فرزند مرا ، سبب چیست ؟ گفت: سخن به اندیشه باید گفتن ، و حرکت پسندیده باید کردن ، و همه خلق را خاصه پادشاهان را ، که هر چه بر دست و زبان آنها رفته شود هر آینه در افواه گفته شود ، و قول و فعل عوام را چندان اعتبار نباشد .

قطعـــه

اگر صد نا پسند آید ز درویش
رفیقانش یکی از صــد ندانــند
و گر یك نا پسند آید ز سلطان
ز اقلیمی بــاقلیمی رسانـنـد

پس در تهذیب اخلاق خداوند زادگان (أنبتهم الله نباتاً حسنا) اجتهاد بیش از ان باید کرد که در حق عوام .

قطعه

هر که در خُردیش ادب بکنند
در بُزرگی فلاح ازو برخاست
چوبِ تر را چنانکه خواهی، پیچ
نشود خشك جز بـآتش راست

شعر

إن الغصون إذا قومتهـا اعتدلت
وليس ينفعك التقويم بالخشـب

ملك را حسن تدبير استاد و تقرير سخن او پسنديده آمد ، خلعت و نعمت بخشيد و پايگاهش از آنچه بود برتر گردانيد.

★ ★ ★

الترجمة :

من الباب السابع : في تأثير التربية
تهذيب أولاد العظماء

كان أحد الفضلاء يتولى تعليم أحد الأمراء ، وكان يضربه ضرباً مبرحاً ويزجره زجراً لا مزيد عليه ،فاشتكى الغلام إلى أبيه من عدم تحمله ، ورفع الثياب عن جسده المتضرر . فاغتمّ قلب الأب وتملكه الحزن . ثم استدعى المعلم ، وقال : لماذا تعامل أولاد الرعية والفقراء بغير تلك الشدة التي تعامل بها ابني ؟

قال : إن الكلام يجب أن يكون بعد تفكير وروية ، وأن تكون الحركة موضع استحسان وقبول . فإن الخلق يرددون على الدوام كل

ما يخص الملوك ويجري على أيديهم وألسنتهم ، أما قول العوام وفعلهم فليس له مثل هذا الاعتبار .

قطعـــة

— إن يرتكب المسكين مائة من الأخطاء ، فلن يتذكر رفاقه خطأً واحداً منها .

— أما أن يرتكب السلطان خطأً واحداً ، فستتناقل الأخبار هذا الخطأ من إقليم إلى إقليم .

— ولهذا وجب بذل المزيد من الجهد في تهـــذيب أولاد العظماء — (أنبتهم الله نباتاً حسناً) — أكثر مما يبذل في تربية أبناء العوام .

قطعـــة

— كل من يُحسن تأديبه في الصغر ، يتأتّى الفلاحُ منه في الكبر

— بإمكانك تقويم الغصن اللين حيثما شئت ، في حين لا يُقوم الخشب الجاف إلا بالنار .

شعر

إن الغصون إذا قومتهـــا اعتدلت
وليس ينفعك التقويـــم بالخشب

أعجب الملك بحسن تدبير الأستاذ وأقره في حديثه ، وخلع عليه خلعة وأنعم عليه ، ومنحه مرتبةً أعلى مما كان يشغلها .

★ ★ ★

پندها از باب هشتم

— دوکس رنج بیهوده بردند وسعی بیفایده کردند ، یکی آنکه اندوخت ونخورد ، ودیگر آنکه آموخت ونکرد .

— مُلک از خردمندان جمال گیرد

— سه چیز پایدار نماند : مال بی تجارت وعلم بی بحث وملك بی سیاست .

— رحم آوردن بربدان ستمست برنیکان ، عفو کردن از ظالمان جورست بر درویشان .

— به دوستی پادشاهان اعتماد نتوان کرد .

— رازی که نهان خواهی باکس در میان منه ، وگرچه دوست مخلص باشد ، که مرآن دوست را نیز دوستان مخلص باشد ، وهمچنین مسلسل .

— دشمنی ضعیف که در طاعت آید ، ودوستی نماید ، مقصود وی جز آن نیست که دشمنی قوی گردد .

— سخن میان دو دشمن چنان گوی ، که گر دوست کردند ، شرم زده نشوی .

ــ بر عجز دشمن رحمت مكن ، كه اگر قادر شود برتو نبخشايد .

ــ نصيحت از دشمن پزيرفتن خطاست ، وليكن شنيدن رواست ، تابخلاف آن كار كنى كه آن عين صوابست .

ــ خبرى كه دانى دلى بيازارد ، تو خاموش تا ديگرى بيارد .

• • •

الترجمة العربية :

مواعظ من الباب الثامن

ــ شخصان يتحملان المشقة عبثاً ، ويسعيان بلا جدوى ، أحدهما من جمع المال ولم يمتع نفسه ، والآخر ، من تعلم ولم يعمل بعلمه .

ــ يستمد المُلك جماله من العقلاء .

ــ ثلاثة أشياء لا دوام لها : مال بلا تجارة وعلم بلا بحث وملك بلا سياسة .

ــ الرحمة مع الأشرار ظلم للأخيار ، والعفو عن المعتدين جور على المساكين .

ــ لا يمكن الاعتماد على صداقة الملوك .

ــ لا تبح بسر تريد إخفاءه لأي شخص حتى ولو كان صديقاً مخلصاً ، فلهذا الصديق أصدقاء مخلصون ، وهكذا دواليك .

ــ العدو الضعيف الذي يدخل في الطاعة ويبدي المحبة ، ليس له قصد سوى

أن يكون عدواً قوياً .

– ليكن حديثك بين أي عدوين مما لا يشعرك بالخجل ، إن تصالحا .

– لا ترأف بعجز العدو ، فإن يصبح قوياً ، فلن يرأف بك .

– قبول النصح من العدو خطأ ، ولكن من اللائق سماعه لكي تعمل بخلافه ، وهذا عين الصواب .

– صه عن أي خبر تدرك أنه يكلم القلوب ، حتى يأتي به غيرك .

• • •

القســـم الثـــاني

مـــن

روائـــع الشعر الفـــارسي

شاهنـــامهٔ فـــردوسی

شاهنامهٔ فردوسی [1]

كلمة شاهنامه في اللغة الفارسية تعني «كتاب الملوك» أي الكتاب الذي يحتوي على أخبار الملوك وبطولاتهم وخوضهم المعارك ، وما قدموه من مفاخر تعتز بها أوطانهم ، وعلى هذا فكل كتاب يحمل في اللغة الفارسية اسم شاهنامه — وما أكثر هذه الكتب — يكون ملحمة حماسية وطنية ؛ وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور محمد محمدي في كتابه : « الأدب الفارسي » :

الأدب الفارسي من أغنى الآداب بالشعر الحماسي ، فقد اهتم به شعراء الفرس منذ نشأة الشعر الفارسي إلى هذه الأزمنة الأخيرة ، فاجتمع للغة الفارسية مجموعة ضخمة من هذا النوع الشعري ؛ منها ما يخلو من كل قيمة فنية ، ومنها ما يباري أعظم الأشعار الحماسية في العالم بأسره .، ونعني به كتاب الشاهنامة للفردوسي ، أكبر شعراء الحماسة في إيران وقدوتهم [2] .

والملاحم الإيرانية كانت في بداية الأمر تطلق على كل كتاب يتناول

---

(١) مهما كتبت في هذه الصفحات القليلة عن الشاهنامة وناظمها الفردوسي ، فلن أوفيهما حقهما ، فقد ذخرت جميع الكتب التي اهتمت بدراسة الأدب الفارسي تقريباً بالصفحات المطولة عنهما ، وعلى هذا فإن ما سأقوله مجرد تعريف سريع موجز بالكتاب وصاحبه ، ولحسن الحظ ، فقد ظفرت اللغة العربية بالعديد من الدراسات والأبحاث عن الشاهنامة والفردوسي ، كما حظيت اللغة العربية بترجمة مختصرة للشاهنامة قام بها الفتح بن علي البنداري ، وأشرف الدكتور عبد الوهاب عزام على تحقيقها ونشرها في جزءين ، وذلك بالقاهرة عام ١٩٣٢ .

(٢) لمعرفة المزيد عن فن الحماسة في الأدب الفارسي ، يحسن الرجوع إلى كتاب « حماسهٔ سرائي در ايران » تأليف الدكتور ذبيح الله صفا ، نشر تهران ١٣٢٣ هـ . ش .

مفاخر إيران وبطولات شعبها ، سواء أكان هذا الكتاب نثراً أم شعراً ، ولكن هذا الاسم أصبح يطلق الآن على المنظومات الشعرية الحماسية دون الكتب النثرية [1] . وقد راج نظم وتأليف هذه الملاحم إبان حكم الدولة السامانية (القرن الرابع الهجري) حيث حرصت هذه الدولة على إحياء الحضارة الفارسية والعودة إلى ما كانت إيران عليه إبان حكم الدولة الساسانية التي قوض العرب دعائمها منذ الفتح الإسلامي ، ولكي تزكي النزعة الاستقلالية هذه ، شجعت الأدباء وذوي الفكر على التنقيب في تاريخ إيران القديم ، سواء التاريخ الأسطوري أو التاريخ الحقيقي ، وإخراج كل ما يدعو إلى الفخر والاعتزاز بالقومية الإيرانية ، وتأليف الكتب في هذا الشأن حتى يحاول الإيرانيون إعادة بناء وطنهم على أسس إيرانية ، بعد أن سادت مظاهر الحضارة العربية فترة طويلة بعد الفتح الإسلامي ، ولهذا السبب يولي الإيرانيون كتب « الشاهنامة » اهتماماً كبيراً ، ويعظمون ناظميها وبخاصة الفردوسي الذي قالوا في حقه : إنه نبي الفرس ، وأن الفردوسي يعد من مفاخر ايران ، والفردوسي زعيم الشعر الحماسي الفارسي ، ولكي يزيدوا من تبجيله واحترامه ، يعقدون كل عام مؤتمراً كبيراً في مشهد عاصمة خراسان الحالية — وهي المحافظة التي ولد فيها الفردوسي ، ودفن فيها أيضاً ، كما سنعرف بعد قليل — وفيه تلقى الأبحاث عن الفردوسي وشاهنامته ، ثم تقام أمسيات شعرية بجوار مزاره الضخم ، كما تقام عروض فنية ورياضية تحكي بعض ما جاء في الشاهنامة من قصص وأساطير .

* * *

وعلى الرغم من هذه الشهرة الكبيرة ، والمكانة السامية التي حظي بها الفردوسي في وطنه أولاً ، وفي خارج وطنه ثانياً ، فإن الغموض يكتنف الكثير من مراحل حياته ، بل يكتنف اسمه واسم أبيه كذلك ، فكتب التذاكر تختلف فيما بينها على اسمه وتختلف كذلك على تاريخ ولادته ، وعلى تاريخ

(١) دكتور أمين عبد المجيد : جولة في شاهنامة الفردوسي ، ص (١٠) .

وفاته . ولهذا فسأكتفي بالإشارة إلى أهم الأحداث البارزة في حياته دون الدخول في تفاصيل لا يتحملها مثل هذا الكتاب .

ولد أبو القاسم الفردوسي في حدود عام ٣١٩ هـ [1] ، عن أب يملك بعض الأراضي الزراعية في مدينة طوس إحدى مدن خراسان ، ولم يمض وقت طويل حتى توفي والده ، فكان الفردوسي يتكسب عيشه من هذه الأرض ، وبعد فترة من الزمن شعر أنه قادر على نظم الشعر وبخاصة الشعر الحماسي الذي يمجد وطنه وأبطال إيران الأقدمين ، فبدأ يجمع كل ما يعينه على ذلك ، سواء أكانت كلمة مكتوبة ، أو أسطورة شعبية يتناقلها الناس فيما بينهم ، أو منظومة سبقه غيره إلى نظمها في بطولات الملوك والأبطال السابقين .وعندما اكتملت عدته ، بدأ في نظم الشاهنامه ، ويقال إنه بدأ نظمها في عام ٣٥٤ هـ أو في عام ٣٧٠ هـ . [2] وأنه استمر بنظمها طوال ثلاثين عاماً من العمل الدءوب والسعي المتواصل حتى أتمها ، وأجهز على كل ما خلفه له أبوه ، ففكر في تقديمها للسلطان محمود الغزنوي نصير الأدب والأدباء في ذلك الوقت ، لعله يظفر منه بعطاء كبير يعوض المجهود والمال الذي ضيعهما في سبيل إنجاز هذا العمل الضخم .

ويقال إن محمودا الغزنوي عندما نما إلى علمه خبر الفردوسي والشاهنامة وعد بأن يعطيه ديناراً مقابل كل بيت من الشاهنامة ، ولما كان مجموع أبياتها حوالي ستين ألف بيت ، فقد أيقن الفردوسي بأنه سيحظى بستين ألف دينار ، ولكن الوشاة – على حد قول الروايات المختلفة – تدخلوا لدى محمود الغزنوي وأخبروه بأن الفردوسي شيعي متعصب ، وأن كتابه مليء بتعداد مفاخر قومه الإيرانيين على حساب جيرانهم ، فما كان من محمود الغزنوي إلا أن أعطاه ستين ألف درهم ، ويقول البعض بل عشرين ألف درهم فقط ، مما أغضب

(١) المرجع السابق ، ص : هـ .
(٢) فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ٣٧١ .

الفردوسي ، واضطره للرحيل عن غزنة عاصمة الغزنويين . وبدأ بعد ذلك يسيح في المناطق المجاورة حتّى سافر فترة إلى بغداد ومنها إلى أصفهان ثم طبرستان لدى قابوس بن وشمگير الذي تشفع له لدى السلطان محمود الغزنوي حتّى سمح له بالعودة إلى طوس مسقط رأسه ، حيث قضى بقية حياته إلى أن توفي عام ٤١١ هـ أو ٤١٦ هـ[1] . ويقال إن محموداً الغزنوي شعر بعد فترة من الزمن بأنه أخطأ في حق الفردوسي ، فأمر بأن تعد له الهدية التي كان قد وعد بها ، وترسل له على الفور إلى حيث يقيم ، وما أن وصل الركب الذي يحمل الهدية إلى طوس ، حتّى كان الفردوسي محمولاً على الأعناق في طريقه إلى القبر ، ولهذا غضب الإيرانيون من محمود الغزنوي غضباً شديداً ، لأنه في رأيهم قد ظلم أعظم شاعر أحيا تراث أمة بأكملها ، ولهذا قال عبد الرحمن الجامي :

برفت شوكت محمود ، ودر زمانه نماند

جز اين فسانه كه نشناخت قدر فردوسى

وترجمته :

لقد انقضت عظمة محمود وولت ، ولم يبق في هذا الزمان ، سوى قصة جهله بقدر الفردوسي !!

وفي رأيي أن الايرانيين يظلمون السلطان محمودا الغزنوي بهذا الكلام ، فمحمود الغزنوي فاتح الهند وناشر الإسلام في أرضها ، وهذا العمل البطولي والجهاد في سبيل الله ، قد خلدا اسم محمود الغزنوي ، أكثر من أن يخلده عطاء يعطيه لشاعر حتّى ولو كان الفردوسي .

• • •

(١) گلهاى جاويدان ، ص : ٢٩ ، وفرهنك ادبيات ص : ٣٧١ ، جولة في شاهنامه الفردوسي ، ص : ٢٠ ... وغيرها من الكتب .

وشاهنامة الفردوسي تقع كما يصرح الفردوسي نفسه ، وكما يقرر أغلب كتاب الأدب الايراني في ستين ألف بيت من الشعر ، ولكن نتيجة لتعرض بعض النسخ لعوامل النقص والزيادة ، فنجد اختلافاً كبيراً بين عدد أبيات كل نسخة عن النسخ الأخرى ، وتبدأ الشاهنامة كجميع المنظومات الفارسية المعاصرة لها أو اللاحقة ، بمقدمة تناول فيها الفردوسي الحمد لله والثناء عليه ومدح الرسول وسبب تأليف الكتاب وغير ذلك من المقدمات ، ثم يبدأ بعد ذلك موضوع المنظومة ، وقد انقسم إلى قسمين .

أ ـ العصر الأسطوري ، وهذا ينقسم بدوره إلى مرحلتين :

١ ـ مرحلة الملوك وتبدأ منذ گيومرت أبى البشر في رأيهم ، وتنتهي بنهاية فترة حكم الضحاك وبداية حكم أفريدون .

٢ ـ مرحلة الأبطال : وتبدأ بقصة كاوه الحداد الذي ثار على الضحاك وقاد ثورة شعبية قضت على هذا الحاكم الظالم وأعادت الحكم لأفريدون أحد أبناء البيت المالك الإيراني مرة أخرى ، ولكن أهم أبطال هذه المرحلة ثلاثة :

أ ـ بطل أبطال إيران والعالم : رستم

ب ـ البطل الإيراني اسفنديار

جـ ـ البطل الطوراني افراسياب

وهذه المرحلة أطول المراحل التي تحدث عنها الفردوسي ، حيث يجد خيال الشاعر في هذه البطولات مجالاً خصباً للحديث والنظم ، وإيراد الصور والأخيلة .

ب ـ عصر التاريخ الحقيقي ، ويبدأ بقيام الدولة الميدية ويناقش حكم الدولة الهخامنشية (الأكمينية) ثم يواصل مسيرة التاريخ الحقيقي حتى الفتح الإسلامي لإيران في عهد يزدجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب .

ولا شك أن هذه الفترة التاريخية جاءت أقصر من سابقتها ، وذلك لأن فرصة الخيال والأسطورة قد قلت في هذه المرحلة ، مما يقلل من فرص الشاعر لخلق أحداث وبطولات وحروب وهمية يسرح فيها بخياله وفكره ووجدانه .

ومن الملاحظ أن شاهنامة الفردوسي لم تكتف بالحديث عن المعارك والحروب والبطولات ، بل تضمنت كذلك قصصاً عاطفية ، لعب الشاعر فيها بخياله ووجدانه ، فكانت كواحة يستريح في ظلها القارىء بعد أن يسير مسافات كبيرة وسط صحراء المعارك ودروب الحروب .

كما تضمنت الشاهنامة معلومات هامة عن الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في إيران قبل الإسلام ، ومعلومات هامة عن العقائد الإيرانية ، سواء تلك العقائد المذهبية كالحديث عن ديانة زردشت وغيره من أنبياء فارس ، وسواء عقائد العامة ومعتقداتهم الخاصة بالسحر والجن والفأل والتشاؤم وغير ذلك من المعلومات التي تفيد فائدة كبرى في تحليل الشخصية الإيرانية ، كما تحدثت الشاهنامة عن أعياد الإيرانيين ، والمناسبة التي من أجلها بدأ كل عيد، وبخاصة عيد النيروز الذي يعتبر العيد الوطني الإيراني الأول حتى يومنا هذا .

وإلى جانب أهمية الشاهنامة من الناحيتين التاريخية والفلكلورية ، فإنها مهمة من الناحية الأدبية ، فقد أوجدت مجالاً خصباً للتأليف ، فما أكثر الكتب الفارسية التي كتبت وتكتب في ترجمة أحوال الفردوسي وشاهنامته ، كما أن عدداً كبيراً من المهتمين بالأدب منذ قرون عدة وهم يحاولون تقليد الشاهنامة ، فصدرت عدة كتب ومنظومات على غرارها ، وإن لم يبلغ إحداها ما بلغته شاهنامة الفردوسي من شهرة ونجاح .

وأهمية أخرى للشاهنامة تبدو في أسلوبها ، فقد حاول الفردوسي — المتعصب لبني جنسه وللغتهم — أن يتجنب استعمال الألفاظ العربية ما أمكنه ذلك ، حقيقة أنه لم يستطع التخلص تماماً من اللفظة العربية ، ولكنه استطاع على كل حال أن يقلل من الكلمات العربية المستعملة في الشاهنامة . حتى وصلت

نسبة الكلمات العربية إلى مجموع ألفاظ الشاهنامة حوالي أربعة في المائة ، في حين أن بعض الكتاب في ذلك الوقت كانوا يستعملون لغة فارسية فيها أكثر من خمسين في المائة ألفاظ عربية .

ومع ما حظيت به الشاهنامة والفردوسي من مكانة كبيرة ومنزلة سامية ، فقد كان لادوارد براون رأي آخر : [1]

لا شك أن شهرة الفردوسي في قول الشعر راجعة إلى نظمه للشاهنامة ، ويكاد الناقدون الشرقيون والغربيون يجمعون على الإعجاب بهذه الملحمة الهائلة ، ولكني أنا شخصياً في كثير من الخجل والتورط أعترف لهم بأني لم أستطع مطلقاً أن أشاركهم ما هم فيه من تحمس وإعجاب ، فالشاهنامة — في رأيي — لا يمكن أن ترقى إلى مستوى (المعلقات العربية) ، وهي وإن كانت المثال والقالب اللذين احتذتهما أشعار الملاحم في أراضي الإسلام قاطبة ، إلا أنه لا يمكن من ناحية الجمال والعاطفة والذوق الفني مقارنتها بأجود الأشعار التعليمية أو الروائية أو الغزلية التي قالها شعراء الفرس . . .

وبعد ذلك يواصل الحديث عن عيوب الشاهنامة كما يراها هو ، مما يجعله لا يفضلها على غيرها من النماذج الشعرية الفارسية .

ثم يتساءل : إذا صحت وجهة النظر هذه ، فلماذا حازت الشاهنامة شهرة عريضة في إيران وخارجها ؟

ثم يجيب قائلا : من أهم أسباب ذيوعها في ايران أن الفرس يعتزون بها كسجل خالد لعظمتهم التي اتصفوا بها منذ أقدم العصور ...

أما خارج إيران فإن المستشرقين — في معظمهم — قد تابعوا رأي الإيرانيين في ذلك وشاركوهم عصبيتهم ، ثم يوجه حديثه للمستشرقين ، بأن من الواجب

(١) راجع تاريخ الأدب في إيران ، الجزء الثاني (الترجمة العربية) ص ١٦٨ وما بعدها .

على الدارس أن يكون منصفاً ، جرأ في التعبير غير تابع لأصحاب اللغة والأدب وألا ينجرف في تيار التعصب القومي .

ومما لا شك فيه أن براون معه بعض الحق ، وليس الحق كله ، فربما طول الشاهنامة قد فرض على الفردوسي أن تكون بعض أبياتها أقل من مستوى البعض الآخر ، كما فرض عليه التكرار في بعض التشبيهات ، ولكن إذا نظر إلى الشاهنامة نظرة عامة ، فلا بد وأن نقدر الجهد الذي بذله الفردوسي في نظمها ، ونقدر فيه ملكته الشعرية لينظم كل هذا العدد من الأبيات ، ولنقدر فيه — إذا كنا إيرانيين — حفظه تاريخ إيران قبل الإسلام ، وإزكائه للروح الوطنية الإيرانية من جديد ، حتى قال أحد الباحثين : « « لقد ساعدت الشاهنامة على حفظ (الغرور) الوطني ، وإحياء المفاخر الإيرانية القديمة » . [1]

° ° °

وهناك سؤال قد يتبادر إلى ذهن القارىء العربي ؛ وهو :

لقد ذكر مؤرخو الأدب أن الشاهنامة تقع في ستين ألف بيت ، فهل هناك فن شعري أتاح للفردوسي نظم كل هذا العدد الضخم من الأبيات في منظومة واحدة ؟

من المسلم به أن القصيدة العربية ، مهما كانت مقدرة الشاعر اللغوية ، محدودة بعدد من الأبيات لا يستطيع الشاعر تجاوزه بسبب وحدة القافية بين جميع أبيات القصيدة ، وهكذا جاءت القصيدة الفارسية قصيرة قصر القصيدة العربية .

ولكي يتخطى الفرس هذه العقبة المتمثلة في وحدة القافية بين جميع الأبيات، اهتموا بفن شعري آخر يتيح للشاعر أن ينظم أي عدد من الأبيات ، دون

---

(١) فرهنك أدبيات فارسي درى ، ص : ٢٩٤ .

اشتراط وحدة القافية ، بل يكفي في هذا الفن أن يكون كل مصراعين متفقين في القافية والروي ، دون أن يشترط اتفاق قافية وروي هذين المصراعين مع قافية وروي كل من البيت السابق أو البيت اللاحق لهما ، والشرط الوحيد الذي يُلزم به الشاعر هو وحدة الوزن الشعري بين جميع أبيات المنظومة الواحدة مهما كثرت عدد الأبيات ، ويعرف هذا الفن الشعري باسم (المثنوي)، وقد كان الكثيرون يظنون أنه فن فارسي النشأة ، ولكنه كان مستخدماً في الشعر العربي منذ عهد إبان بن عبد الحميد ، وكان يعرف باسم (المزدوج) ونقل عن العرب إلى إيران ، ثم أهمل استعماله في اللغة العربية [1] ، بينما اهتم به شعراء إيران أيما اهتمام وأصبح فنهم الشعري المفضل لرواية القصص والأساطير ونظم المنظومات في أغراض شتى كالحماسة والعاطفة والوصف . والمعاني الصوفية والرمزية ... إلى غير ذلك من الأغراض الأخرى التي حفل بها الشعر الفارسي .

° ° °

ولا شك أن تقديم نموذج صغير من الشاهنامة للقارىء العربي أمر يثير الحيرة ، فما أكثر القصص التي تحدث عنها الفردوسي . وما أكثر المعتقدات التي تفاخر بها كإيراني محب لتاريخ وطنه وأمته . وعلى هذا ، فسأكتفي بذكر ثلاثة نصوص ؛ تتصل بأهم قصص الشاهنامة ؛ وهذه النصوص هي :

النص الأول : قصة العَلَم الإيراني (دروش كادياني) .

النص الثاني : قصة مقتل سياوش

النص الثالث : مقدمة قصة رستم مع ابنه سهراب .

وبعد كل ترجمة سأورد تعقيباً غاية في الإيجاز يوضح قصة النص .

---

(١) د . عزام : أوزان الشعر وقوافيه : نقلا عن فنون الشعر الفارسي ، للدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل ، ص : ١٢٠ .

النص الأول

درفش کاویانی

از آنچرم کاهنگران پشت پای
بپوشنـــد هنگـــام زخـــم درای
همان کاوه آن بر سر نیزه کـــرد
همانگه ز بازار برخاســـت گـــرد
خروشان همیرفت نیـــزه بدســـت
که ای نامداران یـــزدان پرســـت
کسی که هوای فریـــدون کنـــد
سر از بنـــد ضحاك بیرون کنـــــد
ببوئید کاین مهتر اهریمـــن اســـت
جهان آفرین را بدل دشمن اســـت
همی رفت پیش اندرون مرد گرد
سپاهی براو انجمن شد نـــه خـــرد
بدانست خود کافریـــدون کجاست
سراندر کشید وهمیرفت راســـت
بیامـــد بدرگـــاه سالار نـــــو
بدیدنش از دور بر خاســـت غو
چو آن پوست برنیـــزه بردیدگی
به نیکی یکی اختـــر افکند پـــی

بياراســـت آنـــرا بديباى روم
زگوهر براو پيكر وزرش بــــوم
فروهشت ازو زرد وسرخ وبنفش
همى خواندش « كاوياني درفش »
وز انپس هر آنكس كه بگرفت گاه
بشاهى بسر بـــر نهادى كـــلاه
بر آن بى بها چـــرم آهنگــــران
بر آويختى نـــو بنو گو هــــران
زديبـــاى برمايــــه وپرنيـــان
بر آنگونه گشت اختر كاويــــان
كه اندر شب تيره خورشيد بود
جهانرا از او دل پُر اميد بــــود

ترجمة النص الأول :

العلم الكاوياني

– لقد صُنع من تلك المرقعة الجلدية الّتي يحتمي بها الحدادون ، ويلبسونها وقت طرق الحديد .

– فما أن رفعها كاوه على رأس حربة ، حتّى تعالت الهتافات في السوق .

– فمضى صائحاً والحربة في يده ، وأخذ يردد : أيها الأخيار المؤمنون بالله .

— ليتحرر من ربقة الضحاك كل من يميل إلى أفريدون ويهواه .

— وتأكدوا أن هذا العظيم ليس الا شيطاناً مريداً ، وليس إلا عدواً لخالق الوجود .

— وكلما مضى هذا الرجل الشجاع ، تجمع حوله جيش كبير وليس بالصغير .

— لقد كان يعرف أين يقيم أفريدون ، لذا عقد العزم على أن يمضي في الطريق .

— فتقدم صوب بلاط ذلك القائد الجديد ، وما أن رآه حتى تعالت الهتافات وانصياح .

— وعندما تراءت لعينيه [1] تلك المرقعة مرفوعة على الحربة ، تفاءل خيراً وتوقع حسناً .

— فزينه بديباج رومي ، كما طرزه بالجواهر ، وصبغ حواشيه بالذهب .

— فتلألأ منه بريق أصفر وأحمر وبنفسجي . وهنا أطلق عليه اسم « العلم الكاوياني » .

— بعد ذلك كل من حان نوبته ، وجلس على سرير الملك .

— كان يضع على هذه المرقعة الجلدية العظيمة القيمة ، الجواهر أولاً بأول .

— وهكذا أصبح هذا النجم الكاوياني مزداناً بالديباج الغالي وبالحرير .

— حتى أصبح كشمس مشرقة وسط الليل الحالك الظلمة ، وهكذا أشاع الأمل في كل الوجود .

* * *

(١) المقصود عين أفريدون .

قصة العلم الكاوياني :

تذكر الأساطير القديمة بأن الضحاك الحميري استطاع أن يدخل إيران ويحكمها ، واتسم عهده بالظلم والفساد والدمار ، وفي عهده تلاشى الخير والطهر ، وبعد فترة من حكمه ظهر له على كتفيه نتوءان على هيئة حيتين ، تؤلمانه وتدميان ، وذات ليلة تراءى له إبليس في صورة طبيب حاذق وأخبره أن علاج هذا الألم كامن في تقديم مخ شابين آريين لهاتين الحيتين في كل يوم ، ولذا أصدر الضحاك أوامره باعتقال شابين كل يوم وقتلهما وتقديم مخيهما لهاتين الحيتين ، ونتيجة لهذا التصرف الشاذ ، ألقى القبض على عدد كبير من شباب ايران وسفكت دماؤهم ، إلى أن جاء الدور على ابني الحداد «كاوه» ، فتحركت في قلبه حمية الأبوة ، وأخذ يصيح بأعلى صوته في السوق مطالباً المكلومين والثكالى وعامة الناس بالتآخي ضد الضحاك والثورة عليه والبحث عن أحد أحفاد الأسرة البيشداوية لينصبوه ملكاً عليهم بعد أن يسقطوا الضحاك . ثم خلع مرقعته الجلدية ورفعها على رأس حربة كانت بيده ، وأخذ يطوف السوق ، والكل يتجمعون حوله وتتعالى أصواتهم حتى هزت المدينة بأكملها . ثم سار الركب نحو المكان الذي يقيم فيه « افريدون » الملك المرتقب . وهناك يتم الالتحام بين الشعب الثائر وبين هذا الأمير المتطلع إلى الثأر من الضحاك لقتله أبناء أسرته ، وتمضي الثورة في طريقها حتى تقضي على الضحاك وتعيد الأمن والطمأنينة إلى نفوس الإيرانيين ، ونتيجة لما قامت به هذه المرقعة الجلدية من تجميع للثائرين فقد كرمها الملك الجديد أفريدون وأطلق عليها اسم (العلم الكاوياني) ، وأصدر أوامره بأن تكون العلم الرسمي لدولة إيران ، ورصعها بالعديد من الجواهر والحلي ، وسار على هذا النهج كل ملك أتى بعده ، فكانت تلك المرقعة تتقدم الجيوش المحاربة ، وبعد كل نصر ، يضاف إليها العديد من الجواهر والديباج والحرير الغالي الثمن ، وظل الأمر على هذا المنوال حتى موقعة القادسية ، حيث سقطت تلك الراية في أيدي المسلمين وأصدر الخليفة عمر بن الخطاب أوامره بأن توزع هذه الجواهر على المحاربين المسلمين .

وهكذا انتهى أمر هذا العلم الكاوياني .

النص الثـــاني :

کُشتن سیاوش

چو آگاهی آمد بکاووس شـــــاه
که شد روزگار سیاوش تبـــــــاه
بکردار مرغـــان سرش را زتن
جدا کرد ســـالار آن انجمـــن
همه جامه بدرید ورخ را بکنــــــد
بخاك اندر آمــد زتخت بلنــد
برفتنـــد با مویه ایرانیـــــــان
بر آن سوك بسته سواران میـــــان
همه دیده پر خون ورخساره زرد
زبان از سیاوش پر از یـــاد کرد
همه جامه کرده کبـــود وسیاه
همه خاك بر سر بجای کـــلاه

. . . .

کسی کو بـــود مهتـــر انجمن
کفن بهتر او را زفرمان زن
سیاوش زگفتار زن شد بیـــاد
خجسته زنی کو زمـــادر نزاد

ز شاهان کسی چون سیاوش نبود
چو او راد وآزاد وخـــامش نبـــود
دریغ آن رخ وبرز وبـــالای او
دریغ آن رخ خسرو آرای او
دریغ آن چنـــان نامور شهریـــار
که چون او نبیند دگر روزگار

• • •

ترجمة النص الثاني :

مقتل سياوش

ـ عندما وصل الخبر إلى كاووس بأن أيام سياوش قد جللت بالضياع والفناء .

ـ وأن ذلك البطل المغوار قد جزت رأسه عن جسده كما تذبح الطير .

ـ مزق كل أرديته وأدمى وجهه ، وتمرغ على الأرض ، تاركاً العرش والبلاط .

ـ واستسلم الإيرانيون للبكاء والنحيب ، وسيطرت الأحزان على جميع الفرسان والأبطال .

٥ـ وغصت عيون الجميع بالدماء ، وشحبت وجناتهم ، وأخذوا يلهجون بذكرى سياوش .

— وارتدى الجميع ملابس الحداد الزرقاء والسوداء ، ووضع الجميع التراب على رءوسهم بدلاً من التيجان والقلانس.

. . . . . .

— إن الإنسان الطيب المحتد ، خير له أن يتدثر بالكفن من أن يمتثل لأوامر النساء .

— وهكذا ضاع سياوش نتيجة لوشاية النساء ، فالمرأة المباركة لم تولد بعد .

— ولم يكن بين الملوك من يشبه سياوش ، ولا مثيل له في الشهامة والقوة والصلابة .

١٠ — فواحسرتاه على هذا المحيا ذي الرفعة والعظمة ، وواحسرتاه على هذا الوجه الملائكي الصبوح .

— واأسفاه على هذا السلطان العظيم ، الذي لن يرى الزمان مثيلاً له على الإطلاق .

سياوش أحد أبطال الشاهنامة ، ويمتاز بالشهامة ونبل الأخلاق ، وسياوش هذا ابن الملك كيكاوس (كاووس) حاكم بلاد (نيم روز) ، وقد ورد في الأساطير أن سياوش هذا كان بطلا شجاعاً مغواراً ، وقد وقعت في عشقه زوجة أبيه وتدعى (سودابه) ، ولكن سياوش الشهم ذا الأصل النبيل والخلق الرفيع يرفض التورط معها في علاقة محرمة ، ولا يخضع لإغرائها . وعندما يئست من ترويضه والاستجابة لإغرائها ، صممت على الانتقام منه ، وسارعت ببث الشكوى إلى والده الملك كيكاوس حيث اتهمت الابن بمحاولة الاعتداء عليها ، وقد حاول سياوش دفع التهمة دون جدوى ، فأمر والده بإشعال نار عظيمة وأن يلقى فيها سياوش ، فإذا كان بريئاً لم تصبه النار بأي أذى ، أما إذا كان مذنباً ، فستقضي عليه النار في التو والحال وفعلا أشعلت

النار ، وألقي فيها ، فاذا به يخرج منها سليماً ، وتثبت براءته ، ولكن زوجة أبيه لم تتخل عن محاولات الإيقاع به ومضايقته ، وتأليب أبيه ضده ، مما اضطره في النهاية للجوء إلى بلاد الطورانيين (أعدى أعداء الجنس الإيراني) ، وتقرب إلى ملكهم وبطلهم أفراسياب ، الذي أحسن وفادته ، وزوّجه من أخته (فرنگيس) ، فعاش هناك فترة ، حتى دبر گرسيوز أخو افراسياب مؤامرة لاغتياله ، ونجح في تنفيذها [1] ، وهكذا قضى سياوش نحبه خارج وطنه ، ونتيجة لتصرفات زوجة أبيه التي دفعته إلى مغادرة الوطن إلى بلاد أعدائه . وعندما وصل خبر مقتله إلى والده حزن حزناً شديداً ، كما أشارت إلى ذلك الأبيات السابق ترجمتها .

ومن الملاحظ أن الأسطورة تجمع بين طياتها ، بعض الأخبار المستقاة من قصص الأنبياء ، فقد أشار إلى قصة إلقاء سياوش في النار لتثبت براءته أو خيانته ، وهذا الأمر مأخوذ من قصة إبراهيم عليه السلام ، كما أن قصة إغراء زوجة الأب وتمنع سياوش ، شبيهة بقصة يوسف عليه السلام وتمنعه ورفضه لإغراء زليخا له .

• • •

النص الثالث :

داستان رستم وسهراب

كنون رزم (سهراب) و (رستم) شنو
دیگرهـــا شنیدستی این هم شنو
یکی داستان است پر آب چشـــم
دل نازك از رستم آیـــد بخشم

(١) لغت نامه ، حرف السين ، ص : ٧٤٤

اگرتند بادی بر آید زکنج
بخاك افكند نا رسیده ترنج
ستم كاره خوانمش ار دادگر
هنرمند گویمش ار بی هنر
اگر مرگ دادست بیداد چیست
زداد این همه بانگ وفریاد چیست
از ین راز جان تو آگاه نیست
بدین برده اندر ترا راه نیست
همه تا در آز رفته فراز
بكس وا نشد این در آز باز
برفتن مگر بهتر آیدت جاي
چو آرام گیری بدیگری سرای
اگر مرگ كس را نیو بار دی
زپیر وجوان خاك بسپاردی
اگر آتشی گاه افروختن
بسوزد عجب نیست زو سوختن
بسوزد چو در سوزش آید درست
چو شاخ تو ازبیخ كهنه برست
دم مرگ چون آتش هوناك
ندارد ز برنا وفرتوت باك

جوان را چـه باید بگیتی طـرب
که نی مرگ را هست پیری سبب
در ین جای رفتن نه جـای درنگ
براسب قضا گر کشد مرگ تنـگ
چنان دان که دادست بیداد نیست
چو داد آمدش بانگ وفریاد چیست
جوانی وپیـری بنـزد أجـل
یکی دان چو در دین نخواهی خلل
دل از نور ایمان گر آگنـده
تـرا خامشی بـه که تو بنده
پرستش همان پیشه کن با نیـاز
همه کار روز پسیـن را بسـاز
برین کار یزدان ترا راز نیست
اگر دیو با جانت انبـاز نیسـت
بگیتی در ان کوش چون بگذری
سر انجام اسلام باخـود بـری
کنون رزم (سهراب) گویم درست
از ان کین که او با پدر چون بجست

• • •

ترجمة النص الثالث :

قصة رستم وسهراب [1]

— استمع الآن إلى قصة (رستم) و (سهراب)
وأصغ إليها كما أصغيت إلى غيرها من قصص عجاب

— فهي قصة مليئة بدموع العيون والأشجان
تثير القلوب الرقيقة ضد رستم سيد الشجعان

— وإذا هبت الرياح العاتية في ركن من الأركان
أطاحت بالثمار الفجة وأسقطتها عن الأغصان

— وإني لأسميه ظالماً ، ولو عرف بالعدل والإنصاف
وإني لأسميه فاضلا ، ولو عرف بالجهل والإسفاف

— وإذا كان الموت عدلا . . . فماذا يكون الظلم والاعتساف . . . ؟
وما كل هذا العويل والصياح طلباً للعدل والانصاف . . ! !

— ولن تعلم روحك شيئاً من أمر هذا السر الدفين
ولن تكشف طريقك ما وراء هذا الحجاب المكين . . ! !

— ولقد أسرع جميع الأنام حتى بلغوا باب الحرص والأمل
فلما بلغوه وأدركوه . . انسدّ عليهم وانقفل . . ! !

— ومن يدري . . ؟ فربما يطيب مقامك متى رحلت عن هذه الدنيا الفانية
وظفرت بالراحة والسكينة في الدار الباقية

---

(١) آثرت أن أنقل الترجمة العربية من كتاب تاريخ الأدب في ايران ج ٢ : تأليف براون ، ص ١٧٣ – ١٧٤ ، وقد قام بالترجمة العربية أستاذي المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، وذلك لما تمتاز به الترجمة من قوة أسلوب وتوفيقاً كاملا في تجسيد المعاني التي قصد إليها الفردوسي .

– ولو لم يبتلع الموت بعض الأشخاص في كل زمان
لامتلأت الأرض ، وازدحمت ساحتها بالشيب والشبان

– ومتى اتقدت النار ساعة إشعالها ، وسرى بها اللهيب
فليس عجيباً أن يزداد ضرامها الرهيب .

– ومتى اتقدت النار استمر ضرامها ، واتصلت لهبها العظيمة
ونبتت كما تنبت الأغصان النضيرة من الجذور القديمة . . . !!

– وما أشبه لحظة الموت بهذه النار ذات الهول
فهي لا ترهب أحداً ، ولا تبقى على فتى أو كهل . . . !!

– وعلام يفرح الشبان بهذه الدنيا ، وعلام يطرب بها الشباب
وليست الشيخوخة وحدها علة الموت . . . بل تنوعت الأسباب . . . !!

– فإذا انقضّ عليك الموت ممتطياً جواد القضاء ، وضيق عليك الخناق
في هذا الدار العاجلة . . . دار الرحيل والفراق

– فاعلم أن الموت حق على جميع الأرواح
وأن الأمر الحق متى جاء فلا يغني الصياح والنواح . . . !!

– وإذا لم تشأ أن تصيب دينك بالفساد والخلل
فاعلم أن الشباب والشيب سواء أمام سيف الأجل

– وإذا كان قلبك مليئاً بنور اليقين والإيمان
فخير لك الصمت ، فإنك عبد من عبيد الرحمن . . !!

– وثابر على التعبد والصلاة والضراعة
وهيء أمورك ، وأعد عدتك لقيام الساعة . . !!

– وليس هناك سر يخفي عليك من أمر ربك
ما دام الشيطان لا يكون قريناً لروحك وقلبك

٢٠ – فأقصر سعيك على هذا ، في هذه الدنيا العابرة
فإذا مت . . . فزادك الإسلام في الدار الآخرة

– واستمع إليّ الآن . . . فسأقص عليك مباشرة حرب (سهراب)
وكيف نشأت الحرب بينه وبين أبيه ، وما كان بينهما من أمور عجاب . . !

• • •

تحدث الفردوسي في هذه الأبيات عن أحاسيسه وخلجات نفسه من المصيبة الكبرى التي وقعت بين البطل رستم وابنه البطل سهراب . وقصة هذه الحادثة المفجعة في حياة بطل إيران الأكبر رستم ، وتاريخ الشعب الإيراني ملخصها كما يلي :

خرج رستم ذات يوم يروح عن نفسه ، وبعد مسير طويل خارج المدينة آثر الخلود إلى الراحة بعض الوقت ، فجلس تحت شجرة وربط فرسه المعروف باسم (رخش) بجواره ، وبعد فترة دهمه النوم ، وعندما استيقظ لم يجد حصانه بجواره ، حيث تحرك حصانه صوب أرض طوران ، فدخل مدينة سمينجان ، فأخذ رستم يقتفي أثره حتى أدرك أنه موجود في مدينة سمينجان . فتقدم إلى هذه المدينة الطورانية غير وجل ولا خائف . وعندما دخل المدينة سارع كل من رآه بإخبار مليكها بقدوم رستم ، فسارع ملك سمنجان للقاء رستم وتقديم فروض الطاعة خوفاً من بطشه وجبروته ، وطيب خاطره ودعاه لقضاء الليلة ضيفاً عليه وفي الصباح يكون فرسه موجوداً في انتظاره .

قبل رستم الدعوة وبالغ ملك سمنجان في تعظيمه والاحتفال به وإقامة الحفلات على شرفه ، ثم انقضى الحفل ، وبدأ رستم يستعد للنوم ، وهنا دخلت عليه فتاة غاية في الجمال وعرضت عليه نفسها ، إذ أنها سمعت بشجاعته لذا ترغب في إنجاب ولد يكون شجاعاً مثل رستم ، وكانت هذه الفتاة ابنة حاكم سمنجان . وأخيراً تم اللقاء بين رستم والفتاة ، وأعطاها بعد اللقاء جوهرة وطلب منها إذا جاء المولود ذكراً ، ربطت الجوهرة حول عضده حتى إذا

ما التقى به رستم تعرف عليه . وبعد ذلك غادر رستم سمنجان عائداً إلى أرض إيـــران .

مرت سنوات وسنوات ، ولم ير رستم ابنة ملك سمنجان التي كانت قد أنجبت بطلاً مغواراً يشبه رستم في القوة والجبروت ، وطوال هذه السنوات أيضاً لم ير رستم ابنه ، ولم ير الابن — وكان يدعى سهراب — أباه رستم . ثم حدثت حروب طاحنة بين الطورانيين بقيادة سهراب ، وبين الإيرانيين بقيادة رستم . والتقى الجيشان ، كما التقى البطلان دون أن يعرف كل منهما نده وغريمه ، ودارت رحى النزال والعراك بينهما ، إلى أن تمكن رستم من قتل ابنه سهراب دون أن يعرف حقيقة نسبه . وبعد أن أجهز عليه وسقط سهراب على الأرض تمزقت أرديته فرأى رستم تلك الجوهرة التي كان قد أعطاها لابنة ملك سمنجان لتضعها حول عضد ابنيهما . فأدرك رستم أنه قتل فلذة كبده وابنه . فبكاه بكاءً مريراً . وكانت هذه الحادثة المفجعة سبباً فيما أصاب رستم بعد ذلك من اكتئاب وضيق ، وفت في عضده بعض الشيء ، وجعلته يكره الحرب والنزال فترة من الزمن .

وهذه المأساة قد تناولتها السينما العالمية ، حيث قام الروس باخراج فيلم يحكي قصة هذه الفجيعة الكبرى . كما مثلت مرات عديدة على المسرح في إيران .

رباعيات الخيام

فن الرباعي :

الرباعي من الفنون الشعرية الفارسية النشأة فلم يعرف هذا الفن الشعري إبان العصر الجاهلي ، كما لم يؤثر عن الشعراء العرب أنهم انتجوا شعراً في هذا الفن خلال صدر الإسلام والدولة الأموية ، وكذلك إبان العصر العباسي الأول ، ويقال إن أول شاعر عربي ورد هذا الفن في شعره كان عمر بن الفارض المتوفى عام ٦٣١ هـ .[1]

والدارس للأدب العربي لا يلاحظ بعد ذلك اهتمام الشعراء الفحول بهذا الضرب من النظم ، ولذا خلا الشعر العربي من نماذج جيدة لهذا الفن ، بل إن هذا الفن لم يكن في فترة من الفترات يمثل ضرباً له رواده وشعراؤه الذين تخصصوا في نظمه وأطلق عليهم — كما هو الحال في اللغة الفارسية — لقب شعراء الرباعيات العرب . بل أصبح من المتعارف عليه في الآداب المقارنة أن لقب شعراء الرباعيات يطلق على الشعراء الفرس الذين اهتموا بهذا الضرب من النظم ، وجاءت معظم أشعارهم أو كلها في هذا الفن . ويأتي على رأس هؤلاء الشعراء جميعاً « عمر الخيام » وإن لم يكن أولهم من الناحية التاريخية ، بل إنه يكاد يكون آخر المشهورين منهم من الناحية الزمنية .

---

(١) أوزان الشعر وقوافيه للدكتور عزام ، وذلك نقلا عن فنون الشعر الفارسي : د . اسعاد عبد الهادي قنديل ، ص : ١٦٧ .

وإذا كان بعض شعراء الفارسية قد عرفوا دون غيرهم بلقب شعراء الرباعيات ، فليس معنى هذا أنهم وحدهم هم الذين نظموا في هذا الفن ، بل من الثابت — حسب ما جاء في دواوين الشعراء الفرس — أن جميع شعراء الفارسية قد نظموا في هذا الفن ، ابتداءً من الرودكي الذي عاش في ظل الدولة السامانية (توفي عام ٣٢٩ هـ) ، إلى ملك الشعراء محمد تقي بهار (المتوفي عام ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥٠ م) ، وإنما اختص هؤلاء بلقب شعراء الرباعيات لأنهم أولوا هذا الضرب من النظم عناية أكبر من غيره ، أو أن انتاجهم الشعري الذي وصل إلينا ، كان كله في هذا الضرب الشعري .

ويعرف هذا الفن بالرباعي أو (دوبيت) ، وذلك لأن الوحدة الفنية لهذا الضرب تتكون من أربعة مصاريع ، فإذا نظر إلى كل مصراع على أنه وحدة جزئية داخل إطار الوحدة الكلية ، كان مكوناً من أربعة مصاريع ، ولذا استحق أن يسمى (الرباعي) ، أما إذا نظر إلى كل مصراعين على أنهما شطرتا بيت واحد ، أي أن الأربعة مصاريع تكون بيتين ، فيستحق في هذه الحالة أن يسمى (دوبيت) أي (البيتان) . وقوة هذا الفن الشعري تتمثل في أن الشاعر مطالب بأن يعبر في هذه المصاريع الأربعة عن فكرة كاملة كان بوسعه أن يعبر عنها في قصيدة كاملة .

معنى هذا أن الرباعية وحدة عضوية مستقلة عما قبلها وعما بعدها في المعنى ، وأن شعراء الرباعيات كانوا يقولون كل رباعية في مناسبة خاصة بها ، ولم تكن الرباعيات تقال متتالية ، متشابكة المعنى ، وعلى هذا فإن ما يظنه البعض من أن الرباعيات التي قالها الخيام ، كل مجموعة منها تكون وحدة موضوعية واحدة ، وقد قالها الخيام متصلة المعاني كما تتصل معاني الأبيات في قصيدة واحدة ، أمر بعيد عن الصحة ويجافي الحقيقة . ومرجع هذا الظن — فيما نعتقد — إلى محاولة المترجمين جمع الرباعيات المتحدة المعاني وترتيبها ترتيباً خاصاً ، حتى تبدو وكأنها تكمل الواحدة منها الأخرى . وتتحدث كل مجموعة

عن فكرة كبيرة مقسمة إلى أفكار جزئية — كما هو الحال — في الفنون الشعرية الأخرى .

ويشترط في الرباعية وحدة القافية في المصاريع الأول والثاني والرابع ، أما المصراع الثالث فمن حق الشاعر أن ينظمه متفقاً مع المصاريع الأخرى في القافية ، أو مخالفاً لها ، فإذا جاءت الرباعية متفقة في قافية المصاريع الأربعة عرفت باسم « رباعي كامل » أما إذا جاءت متفقة في ثلاثة مصاريع فقط ، عرفت باسم « رباعي خصي » .

والشرط الثاني الذي يجب توافره في الرباعية أن تكون جميع المصاريع على وزن واحد ، وأن يكون هذا الوزن من مستخرجات وزن الهزج .

والشرط الثالث — وقد أشرت إليه مسبقاً — أن تكون الرباعية فكرة متكاملة ، وليست معتمدة في معناها على رباعية سابقة عليها أو رباعية لاحقة لها .

والرباعيات تصلح لأغراض كثيرة ، فقد حفل الشعر الفارسي برباعيات في التصوف والغزل والحكمة ، ثم جاء العصر الحديث واستطاع شاعر كفرخي اليزدي أن يستعمل فن الرباعي في الأغراض السياسية والنقد الاجتماعي . وعلى هذا ففن الرباعي يخضع في استعماله على مقدرة الشاعر واتجاهاته الفكرية ، ومدى تمكنه من النظم حتى يستطيع أن يقدم فكرة متكاملة في مصاريع أربعة فقط ، ولعل هذا سر نجاح الرباعيات ، إذ أن قصرها وتنوع أغراضها ورقة ألفاظها قد ساعدت على سهولة حفظها وترديد العامة لها ، ولا شك أن هذا الأثر أنتج أثراً آخر ، وهو أن الشعراء عندما أدركوا مدى إقبال الناس على حفظ الرباعيات وتداولها فيما بينهم ، حاول كل منهم أن يجرب حظه في هذا المضمار ، فخلف لنا عدداً من الرباعيات المتنوعة الأغراض .

• • •

رباعيات عمر الخيـــام :

على الرغم من الاهتمام الكبير والشهرة العريضة التي يحظى بها اسم عمر الخيام في العالم كله ، فقد ضن عليه مواطنوه طوال قرون عديدة على أن يعترفوا به شاعراً مجيداً ، نظم من الرباعيات ما يستحق الاهتمام والتبجيل ، فقد كان مواطنوه يعترفون به عالماً فلكياً وطبيباً ورياضياً ، أما الاعتراف به كشاعر ، فلم يكن وارداً في إيران مطلقاً .

ظل الحال كذلك حتى ترجم المستشرق فيتزجرالد رباعيات الخيام إلى اللغة الإنجليزية ووجدت هذه الترجمة رواجاً كبيراً في الغرب ، فأقبل عدد كبير من المستشرقين على دراسة هذه الرباعيات وتحليلها ، والبحث عن جميع النسخ الخطية لهذه الرباعيات ، وإلى جانب ذلك جمع مادة علمية عن ناظم الرباعيات عمر الخيام ، ونتيجة لهذا الاهتمام الواسع من قبل المستشرقين ، بدأت ايران تعيد نظرتها إلى الخيام ، وترد إليه اعتباره كشاعر مبدع مجيد ، ولكن لماذا كان هذا الإهمال من جانب الإيرانيين ؟

لم يكن الخيام يعتبر نفسه شاعراً بالمعنى الذي كان سائداً في عصره ، فلم يكن يتخذ من الشعر وسيلة للتكسب أو التقرب من ملك أو أمير ، بل كان الخيام يقول الشعر لنفسه أولا ولبعض الصفوة من أصدقائه بعد ذلك ، فقد كان يعمل بالفلك والطب والعلوم الرياضية ، أما الشعر فكان للمتعة في أوقات الفراغ ، ولهذا لم يذكر أحد من الذين كتبوا عن الخيام قديماً ، أنه كان شاعراً . وأول كتاب ورد فيه ذكر الخيام كتاب چهار مقاله ، وقد تحدث عن الخيام في الباب الثالث وهو الخاص بعلم النجوم والمنجمين ، أما الباب الثاني الذي تحدث فيه صاحب چهار مقالة عن الشعر والشعراء . فلم يرد فيه أي ذكر للخيام ، وقال عنه صاحب كتاب مرصاد العباد (مؤلف عام ٦٢٠ هـ) ، وهو الشيخ نجم الدين الرازي (عمر الخيام فيلسوف ودهري وطبيعي ...) ، كما ورد ذكر الخيام في كتاب تاريخ الحكماء للقفطي الذي قال عنه : عمر

الخيام واحد من حملة العلوم اليونانية أي الحكمة الفلسفية . . . ثم يمضي قائلاً : إنه كان عديم القرين في علم النجوم والحكمة ، به يضرب المثل في هذه الأنواع . . . ، وقال عنه الشهرزوري في كتابه نزهة القلوب : كان الخيام تلو أبي علي سينا في أجزاء علوم الحكمة .

وسبب آخر عمل على عدم شهرة الخيام كشاعر بين مواطنيه ، يكمن في الآراء التي كان يتناولها في رباعياته ، فهو كرجل حكمة وعلوم رياضية يحتاج للاعتقاد في أي شيء إلى دليل مادي ، ولما كانت بعض المعتقدات السائدة في مجتمعه لا يمكن إيجاد دليل مادي يؤكد صحتها أو ينفيها ، ولكنه في نفس الوقت لم يكن يحب المواجهة ، والعراك المذهبي ، لذا وقف حائراً وظهرت حيرته هذه في شعره ، مما جعل رجال الدين والعامة لا يتقبلون آراءه ويتهمونه في دينه ، وبالتالي سيتبع ذلك إهمال هؤلاء لشعره ، والتركيز على أنه حكيم فيلسوف رياضي منجم .

• • •

بطبيعة الحال لم يستمر موقف الإيرانيين على هذا المنوال ، فبعد أن أدركوا ما حظي به الخيام خارج إيران ، بدأوا يقبلون على دراسة رباعياته والتأريخ لحياته ، بل والدفاع عنه ضد كل ما قيل عنه في القرون السابقة ، واعتبره بعضهم من أفضل رجال العرفان ، وقالوا : « لعل نوعية ديانة الخيام كانت من النوع الذي يهتم بالجوهر ويهمل العرض . . . » « إن طراز تدين القشريين والمتمسكين بظواهر الشريعة لا يتلاءم مع تفكير حكماء كالخيام أو مع نوع شخصياتهم ، ومع ذلك فإن مـــا يبدو بصورة واضحة من مجموع كتابات الخيام المعدودة الموجزة ، ومن مجموع الروايات عنه وكيفية ملاقاة معاصريه أنه لم يتخل في معتقداته الدينية عن الالتزام والاعتدال . . . [1] »

(١) نقلا عن : الأدب الفارسي : د . محمد محمدي ، بيروت ١٩٦٧ ، ص : ٢٥٢ وما بعدها .

إلى غير ذلك من الآراء التي قيلت لتبرير نظرة الخيام التشاؤمية في رباعياته ، وكذلك تبرير اهتمام الخيام بذكر الخمر في رباعياته وبيان أن الخيام لم يكن يعني الخمر لذاتها ، بل رمزاً لكل لذة في العالم الأرضي ، ومن المحتمل أنه يقصد خمر الواصلين وليست الخمر المسكرة العادية .

ومن مظاهر الاهتمام به الآن بناء ضريح عصري في نيسابور ، يفضل بكثير الضريح الذي يجاوره وهو ضريح الصوفي الكبير فريد الدين العطار ، ومن شواهد اهتمامهم به كذلك طبع الرباعيات طبعات عديدة وتوزيعها ككتاب سياحي حيث توجد نسخ منها يقابل كل رباعية لوحة (منياتور) جميلة تصور المعنى الذي يقصده الخيام . إلى غير ذلك من إطلاق اسمه على الشوارع الرئيسية في بلدان إيران المختلفة .

وهكذا أعاد الإيرانيون لعمر الخيام هويته الإيرانية ، واعترفوا به مواطناً يشرف بلده ، ويعلي من قدرها ، حيث أفادت إيران منه إعلامياً وسياحياً .

واسم الخيام كاملاً هو : الحكيم أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام النيسابوري ، عاش إبان أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين ، اتصل بالدولة السلجوقية حيث عاصر كلاً من ملكشاه السلجوقي ووزيره الشهير نظام الملك صاحب كتاب (سياست نامه) ، وشارك الخيام في وضع (تقويم جلالي) نسبة إلى جلال الدين ملكشاه السلجوقي ، وهو تقويم إيراني يجعل بداية العام يوم عيد النيروز الذي يقابل الاعتدال الربيعي (٢١ من مارس - آذار) من كل عام .

كان عمر الخيام يعيش حياة مطمئنة هانئة دون تكالب على مباهج الحياة ، لذا لم يؤثر عنه أنه تقرب لملك أو وزير طمعاً في العطايا والهبات . ولهذا خلت رباعياته من المديح والتملق والرياء . وظل حتى أواخر عمره يعمل بالعلوم الرياضية والحكمة والفلسفة . وفي وقت الفراغ ينظم الشعر باللغتين الفارسية والعربية . وكان شعره الفارسي في فن الرباعي . أما شعره العربي ففي فن

المقطوعات . ويقال إنه ظل على قيد الحياة حتى عام ٥٠٩ هـ وإن قال البعض : إنه توفي عام ٥٣٠ هـ .

ونتيجة لعدم اهتمام الخيام بجمع رباعياته ، وكذلك عدم اهتمام مواطنيه وبخاصة معاصريه بجمع هذه الرباعيات ، فإن العدد الصحيح للرباعيات التي قالها الخيام مختلف عليه أشد الاختلاف ، فأقدم المخطوطات التي عثر عليها يتأرجح عدد الرباعيات فيها بين (٦٦) رباعية و (١٧٨) رباعية ، أما النسخ المتأخرة فالعدد فيها أكثر من ذلك بكثير ، والمتصفح لهذه النسخ المتأخرة يجد تضارباً كبيراً بين أسلوب الرباعيات وبين أفكارها مما يثبت أن هذه الرباعيات ليست من إنتاج شاعر واحد ، بل هناك رباعيات كثيرة دست على الخيام ، ولعل هذا راجع إلى محبيه وخصومه على حد سواء ، فمحبوه كلما وجدوا رباعية جيدة من إنتاج شاعر آخر كالعطار وسعدي ومولوي وحافظ أسندوها إلى الخيام وبخاصة إذا كانت هـذه الرباعيات تتشح بوشاح من التدين والتصوف ، لتكون سنداً لهم في الدفاع عن حسن تدين الخيام ، وأما خصومه فكانوا يسندون إليه كل غث من الرباعيات فكراً أو أسلوباً حتى يتهموه بالكفر والعصيان وبأن شعره ضعيف لا يستحق أن يقرأ .

وهكذا تضخمت الرباعيات ، وأصبح على الدارس للخيام والرباعيات أن يبذل جهداً مضنياً ، لكي يخرج الرباعيات الخيامية من غير الخيامية ، وظل الحال كذلك إلى أن قدم لنا المستشرق الروسي جكوفسكي دراسة جادة ، حاول فيها تحديد الرباعيات الموثوق تبعيتها للخيام ، كما أخرج الكثير من الرباعيات التي لا يمكن إسنادها إليه لضعف أسلوبها ، وركاكة تعبيراتها ، أو لاختلاف فحواها عن الفكر العام لعمر الخيام ، كما وجد أن بعض الرباعيات الصحيحة النسب إلى الخيام ، وردت في دواوين غيره من كبار الشعراء كالعطار وجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي وغيرهم ؛ وقد عرفت هذه الرباعيات المشتركة باسم « الرباعيات الحائلة » .

ذكرنا أن الخيام حظي بالاهتمام الأعظم خارج وطنه أولاً ، حيث ترجمت

رباعياته إلى عدد كبير من لغات العالم ، ومن هذه اللغات اللغة العربية ، حيث حظيت الرباعيات بعدد من الترجمات ، ومن أهم المترجمين العرب الذين تصدوا لترجمة الرباعيات — كما ذكرهم أستاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم الشواربي في حواشي ترجمة الجزء الثاني من تاريخ الأدب في ايران [1] — هم السادة :

وديع البستاني ، ومحمد السباعي ، ومحمد الهاشمي ، وأحمد الصافي النجفي ، وجميل صدقي الزهاوي ، وأحمد حامد الصراف ، وأحمدرامي ، وأحمد زكي أبو شادي ، وتوفيق مفرج ، وحسين مظلوم رياض ، وعبد الحق فاضل ، كما ترجم ابراهيم عبد القادر المزني ، بعض الرباعيات في (حصاد الهشيم) .

• • •

نماذج من رباعيات الخيام [2]

— ١ —

برخيز بتا ، بيار بهر دل ما
حل كن بجمال خويشتن مشكل ما
يك كوزه شراب تابهم نوش كنيم
زان پيش كه كوزه ها كند از گل ما

الترجمة :

هيا أيها الحبيب الصبوح ، وتعال رأفة بقلوبنا

---

(١) تاريخ الأدب في إيران ، ج ٢ الترجمة العربية ، حواشي ص : ٣١٨ .

(٢) هذه الرباعيات منقولة عن النسخة التي أشرف على اخراجها كل من محمد علي فروغي ودكتور غني ، وأرقامها كما يلي : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٦٣ .

ولتحل بجمالك الفتان جميع مشاكلنا
تعال كي ننعم معاً ولو بكأس واحدة
قبل أن تصنع الكئوس من طيننا !!

• • •

— ٢ —

قرآن كه مهين كلام خوانند آنرا
گه گاه نه بر دوام خوانند آنرا
بر گرد پياله آيتى هست مقيم
كاندر همه جا مدام خو انند آنرا

الترجمـــة :

القرآن الذي يعد أفضل كلام يقرأ
يقرءونه أحياناً وليس على الدوام
أما الكأس فقد خطت حوله آية
يقرءونها في كل مكان وبانتظام

• • •

— ٣ —

گر مى نخورى طعنه مزن مستانرا
بنياد مكن تو حيله دوستانرا
تو غره بدان مشوكه مى مينخورى
صد لقمه خورى كه مى غلام است آنرا

الترجمة :

إن كنت لا تحتسي الخمر ، فلا تطعن السكارى
ولا تنصب شراك الخداع في طريق الأصدقاء والخلان
ولا يتملكك العجب والغرور لأنك لا تحتسي الخمر
فما أكثر ما ترتكب من ذنوب تعتبر الخمر أمراً تافهاً إذا قيست بها

• • •

— ٤ —

آن قصر كه جمشيد در او جام گرفت
آهو بچه گرد وروبه آرام گرفت
بهرام كه گور ميگرفتى همه عمر
ديدى كه چگونه گور بهرام گرفت

الترجمة :

ذلك القصر الذي كان يمسك فيه جمشيد [١] بالكأس
أصبح مرتعاً لصغار الغزلان ، ومستراحاً للثعالب
كما أن بهرام [٢] الذي طالما أوقع بالحمر الوحشية
هل رأيت كيف أوقع القبر ببهرام ؟!

• • •

(١) جمشيد ملك أسطوري كان يملك كأساً يقال إنه كان يرى بها العالم كله.
(٢) يعني بهرام گور الساساني .

— ٥ —

ابر آمد وباز بر سر سبزه گریست
بی باده گلرنگ نمی باید زیست
این سبزه که امروز تماشاگه ماست
تاسبزه خاك ما تماشاگه کیست

الترجمة :

جاء السحاب ، وعاد يذرف الدمع على المروج
وهكذا لا يجب العيش دون خمر وردية
إن هذه المروج ننعم بمشاهدتها اليوم
فمن ذا سينعم بالمروج التي تنبت على أديمنا ؟

• • •

— ٦ —

اکنون که گل سعادتت پر بار است
دست تو زجام می چرا بیکار است
می خور که زمانه دشمنی غدار است
دریافتن روز چنین دشوار است

الترجمـــة :

الآن وقد أثمرت وردة سعادتك
فلم تبدو يدك خالية من كأس خمرك ؟

اشرب الخمر ، فالزمان خصم غدّار
وتنبه ، فذاك اليوم أمره عسير

• • •

— ٧ —

امروز ترا دسترس ، فردا نيست
واندیشه فردات بجز سودا نیست
ضایع مکن ایندم از دلت شیدا نیست
کاین باقی عمر را بها پیدا نیست

الترجمــة :

اليوم ملك يديك ، أما الغد فليس لك
فالتفكير في الغد لن يصيبك إلا بالألم والحرقة
فلا تضع هذه اللحظة من قلبك دون عشق
لأن الباقي من العمر يبدو بلا فائدة ! !

• • •

— ٨ —

ای آمده از عالم روحانی تفت
حیران شده درپنج وچهار وشش وهفت
می خور چو ندانی از کجا آمده
خوش باش ندانی بکجا خواهی رفت

الترجمة :

يا من جئت من عالم الروح مضطربا
لقد تملكتك الحيرة ، وأخذت تضرب أخماساً في أسداس
لتشرب الخمر ، فأنت لا تعرف من أين جئت
ولتسعد نفسك ، فأنت لا تعرف إلى أين ستمضي !

• • •

— ٩ —

اى دل چو زمانه ميكند غمناكت
ناگه برود زتن روان پاكت
برسبزه نشين ، وخوش بزى روزى چند
زان پيش كه سبزه بر دمد از خاكت

الترجمة :

أيها القلب كم يضر بك الزمان ويؤذيك
ثم فجأة تودِّع الجسدَ روحُك الطاهرة
فلتجلس على المروج ، ولتتمتع بالسعادة بضعة أيام
قبل أن تتنفس هذه المروج من ترابك

• • •

— ١٠ —

اين يك دو سه روزه نوبت عمر گذشت
چون آب بجويبار وچون باد بدشت

هرگز غم دو روز مرا یاد نگشت

روزی که نیامده است وروزی که گذشت

الترجمــة :

نوبة العمر بضعة أيام تمر
كمرور الماء في الجدول ، وهبوب الرياح في الصحراء
لذا فلا يحل لي أن أغتمّ على يومين مطلقاً
يوم لم يأت ، ويوم انقضى !

• • •

– ١١ –

چون ابر بنوروز رخ لاله بشست

برخيز وبجام باده كن عزم درست

كاين سبزه كه امروز تماشا گه تست

فردا همه از خاك تو بر خواهد رست

الترجمــة :

عندما يغسل السحاب وجه الشقائق في الربيع
انهض ، واستعد نشاطك وعزمك بكأس الخمر
فهذه المروج التي تشاهدها اليوم
ستنبت في الغد على ترابك

• • •

– ١٢ –

چون بلبل مست راه دربستان یافت
روی گل وجام باده را خندان یافت
آمد بزبان حال در گوشم گفت
در یاب که عمر رفته را نتوان یافت

الترجمة :

عندما وجد البلبل الولهان طريقه صوب الحديقة
ووجد كلاً من وجه الوردة وكأس الخمر ضاحكاً
جاءني مَنْ همس في أذني بلسان الحال ، قائلاً :
أفق ، فلا يمكن إدراك العمر الذي انقضى !

• • •

– ١٣ –

چون نیست حقیقت ویقین اندر دست
نتوان بامید شك همه عمر نشست
هان تا ننهیم جام می از کف دست
در بیخبری مرد چه هشیار وچه مست

الترجمة :

إذا لم تكن الحقيقة واليقين في متناول اليد
فلا يمكن قضاء العمر كله معتمدين على الشك
فتنبه حتى لا نضع كئوس الخمر من أيدينا

فالجميع في غفلة ، من كان منهم عاقلاً ، ومن كان ثملاً

• • •

— ١٤ —

چون نيست ز هر چه هست جز باد نيست
چون هست بهر چه هست نقصان وشكست
انگار كه هر چه هست در عالم نيست
پندار كه هر چه نيست در عالم هست

الترجمـــة :

إذا كان حصاد الوجود ليس إلا قبض الريح
وإذا كان كل موجود يصيبه النقصان والأفول
فلنتخيل أن كل موجود مقره عالم العدم
ولنظن أن كل عدم مقره عالم الوجود !!

• • •

— ١٥ —

خاكى كه بزير پاى هر نادانى است
كف صنمى وچهره جانانى است
هر خشت كه بر كنگرهٔ ايوانى است
انگشت وزير ياسر سلطانى است

الترجمـــة :

إن التراب الذي يطؤه كل جاهل بقدمه
ليس إلا يد فاتنة ووجه معشوقة
وكل أجرة زينت بها حافة إيوان
ليست إلا أصبع وزير أو رأس سلطان

• • •

— ١٦ —

در دايرهٔ كه آمد ورفتن ما ست
او را نه بدايت نه نهايت پيداست
كسى مى نزند دمى در اين معنى راست
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست

الترجمـــة :

تلك الدائرة التي ندور فيها بين ذهاب ومجيء
كم تبدو بلا بداية ، وبلا نهاية
ولا يوجد من يستطيع الحديث بصدق في هذا المعنى :
وهو من أين المجيء ، وإلى أين الرحيل !

• • •

— ١٧ —

در ياب كه از روح جدا خواهى رفت
در پردهٔ اسرار فنا خواهى رفت

می نوش ندانی از کجا آمده*

خوش باش ندانی بکجا خواهی رفت

الترجمـة :

افق ، فستنزع منك الروح
وستمضي خلف حجب الفناء وأسراره
فاشرب الخمر ، فأنت لا تعرف من أين جئت
ولتعش سعيداً ، فأنت لا تعرف إلى أين سترحل

• • •

— ١٨ —

می خوردن وشاد بودن ، آئین من است

فارغ بودن زکفرودین ، دین من است

گفتم بعروس دهر کابین تو چیست

گفتا دل خرم تو کابین من است

الترجمـة :

عقيدتي هي احتساء الخمر والعيش الرغيد
ومذهبي هو الفراغ من الكفر والدين
قلت لعروس الدهر : ما صداقك ؟
قالت : صداقي قلبك السعيد

• • •

— ١٩ —

از آمدنم نبود گردون را سود
وز رفتن من جلال وجاهش نفزود
وز هیچ کسی نیز دوگوشم نشنود
کاین آمدن و رفتنم از بهر چه بود

الترجمة :

لن يفيد الفلك من مجيئي
كما لن يزيده رحيلي جلالا وجاها
ولم تسمع أذناي من شخص قط
لماذا كان مجيئي ورحيلي !

• • •

— ٢٠ —

افسوس که نامهٔ جوانی طی شد
وان تازه بهار زندگانی دی شد
آن مرغ طرب که نام او بود شباب
فریاد ندانم که کی آمد کی شد

الترجمة :

واحسرتاه لقد طويت صفحة الشباب !
كما انقضى ربيع الحياة الجديد
وطائر الطرب هذا الذي اسمه الشباب
واأسفاه ؛ لا أعرف متى حلّ ومتى ولّى !

خسرو وشیرین

نظامی گنجوی

خسرو وشيرين [1]

قصة خسرو وشيرين في اللغة الفارسية ، تشبه قصة ليلى والمجنون في اللغة العربية ، فهي قصة حقيقية في معظم تفاصيلها ، كما أنها حديث العامة في مجال العشق والعاطفة دائماً ، وكانت موضع اهتمام عدد كبير من أدباء الفارسية ، حيث تعرض عدد من شعرائهم لمعالجة هذه القصة من عدة زوايا ، حيث تتفق كل زاوية مع الهدف الذي يرمي إليه الكاتب من تأليفها . ولكن على الرغم من كثرة الأدباء الذين تعرضوا لدراستها ، وتناولوا القصة في إنتاجهم ، فإن الشاعر نظامي الگنجوى يعد أفضل من أجاد التعبير عن هذه القصة ، وأضفى عليها ثوباً فضفاضاً ، جعلها قصة شيقة تستحق القراءة للاستمتاع بكيفية معالجة الشاعر لأحداثها ، وبأسلوب الشاعر في نظمه لها .

ونظامى الگنجوى شاعر من رجال القرن السادس الهجري ، فقد اتفق عدد كبير من المؤرخين بأنه ولد عام ٥٣٥ هـ ، وتوفي عام ٥٩٩ هـ ، وإن كان الدكتور عبد النعيم حسنين ، يرجح أن تاريخ ولادته كان عام ٥٣٩ ، وأنه توفي عام ٦٠٨ هـ ، وقد قدم الأدلة على صحة هذه التواريخ [2] .

ويقال إن نظامي عني منذ شبابه بتحصيل العلوم ، ودراسة الآداب ،

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه القصة وعن ناظمها يحسن الرجوع إلى : نظامي الكنجوي ؛ شاعر الفضيلة عصره وبيئته وشعره لأستاذنا الدكتور عبد النعيم محمد حسنين .

(٢) المرجع السابق ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٤ .

فتعلم الطب والحكمة والتاريخ ، إلى جانب تبحره في علوم الشعر والفصاحة والبلاغة ، وكل ما يفيد الإنسان في عالم الشعر .

وقد ولد نظامي في مدينة گنجه وسط بيئة متدنية ، جعلته يتابع الاتجاه الديني خلقاً وعملا فقد عرف عن نظامى التمسك بالخلق العظيم ، حتى قال عنه المستشرق براون :

لو أردنا تحري الدقة والإيجاز في وصف نظامى ، لقلنا إنه الشاعر الوحيد بين شعراء إيران الذي جمع بين الذكاء النادر والخلق الرفيع ، وأنه تميز بهاتين الخصلتين بين جميع شعراء الفرس (١) .

ونتيجة لما اسم به من تعفف وأخلاق عالية ، فإنه آثر الانزواء والعزلة في داره وعدم تعريض نفسه لذل السؤال لدى أي أمير أو ملك ، حتى قال في وصفه أحد الباحثين الإيرانيين :

كان النظامي عجيباً في حياته كما هو عجيب في شعره ، كان رجلاً نزيهاً عفيفاً مؤمناً بالمبادىء الأخلاقية متمسكاً بها إلى حد كبير ، وقد قضت عليه تلك العواطف السامية بالانقطاع عن الناس منذ أوائل عمره ، فلزم بيته مشغولاً بنفسه وبشعره حتى أقبل عليه عصره وأمراء بلاده بجوائزهم ملتمسين من شعره ما يتمتعون بقراءته ويكون ذكرى لهم خالدة على وجه الزمان (٢) .

وكان نظامي يدعو إلى ترك خدمة الملوك ، فيقول : اترك خدمة الملوك ، فالخدمة تذهب الكرامة ، وتجنب صحبة الملوك كتجنب القطنة الجافة النار المحرقة ، فإن البعيد عن تلك النار آمن ، وإن تكن مملوءة بالنور . . . . كما أنه يقرر : لا أجيد خدمة الملوك ولا أعرف السجود إلا لله (٣) .

---

(١) براون ، الجزء الثاني ، الترجمة العربية ص : ٥١٠ .

(٢) من محاضرة الأستاذ علي أكبر فياض بجامعة القاهرة ، وذلك نقلا عن الأدب الفارسي في أهم أدواره وأشهر أعلامه ، تأليف الدكتور محمد محمدي ، ص : ٢٣٤ ، بيروت ١٩٦٧ م .

(٣) دكتور عبد النعيم حسنين ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

وهكذا حاول أن يتجنب العمل عند أعتاب أي ملك أو أمير ، فسارع حكام المنطقة إلى استرضائه وبذل العطايا له حتى يصدّر منظوماته بأسمائهم ، ويقدمها لهم ، فتكون منظوماته سبباً في تذكر الناس لهؤلاء الحكام ، وهكذا كان ذكرهم في شعره تكريماً لهم ، أكثر مما بذلوه في سبيل تكريم نظامي من أموال أو ضياع .

ونتيجة لعدم تكالبه على جمع المال ، فإنه قضى كل عمره في مدينة گنجة [1] التي ولد فيها ، ويقال إنه لم يبرحها إلا مرة واحدة ولفترة قصيرة ، حيث توجه لزيارة تبريز إرضاءً لرغبة الأتابك قزل أرسلان حاكمها [2] ، ولكنه سرعان ما عاد إلى گنجه واستقر بها من جديد .

وتمسك نظامي بالروح الدينية ، والأخلاق السامية ، فرض عليه أن يكون متزنا فيما يقول [3] ، فعلى الرغم من أنه نظم في العشق ، إلا أنه كان عف اللسان ، ولم يكن فاحشه ، كما أنه تحدث كثيراً في منظوماته عن الخمر ، ولكنها خمر الواصلين ، لا الخمر المذهبة للعقول ، وتعلم التنجيم ودرس علم النجوم ، إلا أنه لم يكن شاكا كما هو الحال في تكوين شخصية عمر الخيام ، فقد كان يخضع كل ما تعلمه ومارسه للصبغة الدينية التي حافظ عليها أكثر من حفاظ كبار الصوفية الإيرانيين ، فقد كان نظامي صوفياً عملياً معتدلاً ولم يكن صاحب شطحات ، ولا منغلقاً على نفسه متعصباً .

وشهرة نظامي ترجع إلى تفوقه في ميدان القصص الرومانتيكي في الشعر الفارسي ، وما زال نظامي يحتل المكانة الأولى في هذا المجال الأدبي الهام ،

---

(١) مدينة گنجة تقع ضمن الأراضي الإيرانية التي استولت عليها روسيا في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي بمنطقة آذربايجان وهي تعرف الآن باسم اليزافتبول .

(٢) فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ٥١٢ .

(٣) د . عبد النعيم حسنين ، ص ١٢٥ وما بعدها ....

(٤) براون ، الترجمة العربية ، ص : ٥١٠ .

ولم يظهر أي أديب تفوق عليه في نظم القصة الشعرية حتى اليوم . وقد نظم نظامي خمس منظومات ترتيبها حسب سنوات تأليفها على النحو التالي :

١ — مخزن الأسرار

٢ — خسرو وشيرين

٣ — ليلى ومجنون

٩ — اسكندر نامه

٥ — هفت پيكر

ويبلغ مجموع أبيات المنظومات الخمس ثمانية وعشرين ألف بيت تقريباً [١] .

وإلى جانب هذه المنظومات التي تعرف باسم (خمسة نظامى) أو باسم (پنج گنج) أي الكنوز الخمسة ، ذكرت بعض كتب التذاكر بأنه خلّف وراءه ديوانا تربو أبياته على العشرين ألف بيت ، ولكن لم يصل إلى أيدينا إلا عدد بسيط من هذه الأبيات وما زال معظم الديوان — إذا سلمنا بوجوده أصلاً — مفقوداً .

وقد أجمع المهتمون بدراسة الأدب الفارسي ؛ على تفوق خسرو وشيرين على باقي المنظومات الأخرى ، ولذا آثرت أن أخصها بالذكر دون باقي منظومات نظامي الأخرى .

منظومة خسرو وشيرين :

قصة خسرو وشيرين ، قصة قديمة تعيش في وجدان الشعب الإيراني ويرددها أفراده في مجالسهم ، كما هو الحال بالنسبة لقصة ليلى والمجنون بالنسبة للشعوب العربية ، ولم يكن نظامي أول من نظمها ، فقد سبقه إليها الشاعر

---

(١) گلهاى جاويدان : ص ٨٩ .

الفردوسي حيث تعرض لها في ملحمته الشعرية (الشاهنامة) مستقيا معلوماته من الكتب التاريخية التي عنيت بتاريخ الدولة الساسانية مثل تاريخ الطبري وشاهنامه ثعالبي . وكذلك مما يتردد على ألسنة العامة والخاصة متصلاً بهذه القصة . وقد ألبسها الفردوسي ثوباً حماسياً يتفق والهدف الأسمى الذي ألف من أجله الشاهنامه .

أما نظامي الگنجوى فقد عالج القصة بطريقة مختلفة وإن اعتمد على نفس المراجع التي اعتمد عليها الفردوسي من قبل ، فقد أخضعها لخياله الخصب ، ولفكره الرومانتيكي ولقدرته على الإبداع والخلق القصصي . فجاءت قصته أكثر تفصيلاً ، وأوسع مجالاً من قصة الفردوسي ، كما أضفى عليها حلة من العاطفة لبيعدها عن الجو الحماسي الذي يقلل من قيمتها كعلاقات إنسانية سامية .

وأبطال القصة في منظومة نظامي ثلاثة :

أ — خسرو « كسرى پرويز » وهو شخصية تاريخية حقيقية ، تولى عرش الدولة الساسانية فترة من الزمن .

ب — شيرين : فتاة أرمنية وولية العهد في إحدى الولايات الأرمنية المتاخمة للحدود الإيرانية في آذربايجان ، وقد كانت هي الأخرى شخصية حقيقية .

جـ — فرهاد : مهندس بارع تولى شق نفق بين هضاب الجبال التي تفصل بين مراعي الملك الإيراني والقصر الذي أقامت فيه شيرين في منطقة كرمانشاهان ، وذلك لنقل اللبن الذي أحبته شيرين من المراعي إلى القصر . وهذه الشخصية خيالية ، ليس لها وجود في الحقيقة ، ويقال إنها من إبداع فكر نظامي نفسه ، حيث لم يرد له أي ذكر في كتب التاريخ ، كما لم يرد ذكره في قصة الفردوسي [1] .

---

(١) دكتور عبد النعيم حسنين ، ص : ٢٣٦ .

وملخص القصة كما جاءت في منظومة نظامي ، كما يلي : (1)

بعد أن بلغ خسرو مبلغ الرجال رأى أنه يحب فتاة جميلة تدعى (شيرين)، وأنها تعيش في بلاد الأرمن المتاخمة لحدود دياره ، وهكذا بدأ حبها في قلبه دون أن يراها ، ونفس الشعور تولد لدى شيرين ؛ إذ أحبت خسرو دون أن تراه ، وتمنى كل حبيب أن يلتقي بحبيبه . فتوجهت شيرين نحو المدائن (عاصمة الساسانيين) ، كما توجه خسرو نحو بردع (العاصمة الأرمنية) في آذربايجان ، وحدث أن التقى العاشقان في الطريق حول بحيرة ، ولكنهما لم يتحادثا لأنهما لم يتعارفا ، وإن شعر كل منهما بعاطفة قوية تجذبه صوب الطرف الآخر .

وأخيراً وصلت شيرين إلى المدائن فلم تجد خسرو هناك ، فأخبروها بأنه توجه إلى ديارها ، كما وصل خسرو فلم يجدها كذلك وعلم أنها ذهبت إلى المدائن . وأخيراً انتظرت شيرين مقدم خسرو وأمرت ببناء قصر لها في منطقة كرمانشاهان لتقيم فيه حتى يعود حبيبها ، ولكن خسرو كان على خلاف مع أبيه حيث اتهمه الوشاة بالعمل على عزل والده واغتصاب العرش . وأخيراً أرسل لها خسرو يدعوها إلى العودة إلى بلاد الأرمن حتى يتم لقاء العاشقين ، فسارعت شيرين بالعودة .

بعد فترة من اللقاء وتبادل العواطف ، لامت شيرين خسرو على تركه دياره وحثته على العودة لاستعادة مكانته هناك مما أغضبه منها ، وسافر إلى قيصر الروم الذي أحسن وفادته وزوجه من ابنته مريم، وأقسم خسرو ألا يتزوج سواها . وهنا اعترى العلاقة بين خسرو وشيرين نوع من الفتور والغيوم ...

لم يمض وقت طويل حتى نما إلى علم خسرو نبأ وفاة أبيه فتوجه بمساعدة جيش قيصر الروم نحو بلاد فارس واستطاع أن يعتلي عرش الدولة الساسانية .

هنا فكرت شيرين في الذهاب اليه على الرغم من وجود زوجته المسيحية مريم ، وسافرت فعلاً إلى كرمانشاهان واستقرت في قصرها . وبدأ كل من

(1) راجع الملخص الكامل لأحداثها في المرجع السابق ، ص : ٢٣٨ - ٢٨٢ ، وفي كتاب جولة في شاهنامة الفردوسي للدكتور أمين عبد المجيد ، ص : ٢٢١ - ٢٦٦ .

العاشق والعاشقة يحاولان الاتصال ، ولكن بنوع من التحفظ والكتمان وذلك لوجود زوجة خسرو كحائل يقف بين العاشقين .

ظل الحال كذلك إلى أن وقع أحد المهندسين البارعين ويدعى فرهاد في حب شيرين ، وكان يمر كل يوم من أمام قصرها لعله يحظى بنظرة منها ، ولتكتحل عيناه برؤية محياها الجميل . وكانت شيرين تفكر في ذلك الوقت في طريقة تنقل بها اللبن من المراعي إلى القصر عبر الجبال ، فعرضت الأمر على فرهاد ، الذي استمع إليه وهو في غيبوبة العشق ، فوافقها على ما اقترحته من ضرورة شق قناة بين الجبال .

علم خسرو بهذا الاتفاق ، ولم يعترض عليه ، ظناً منه أن فرهاد لن يقوى على حفر هذه القناة ، بل إن خسرو شجع فرهاد على حفرها وقال له : لتعتبر شق القناة هو المهر الذي تقدمه لكي تتزوج شيرين . وكان يبغي من هذا التشجيع أن يتفانى فرهاد في شق القناة إلى درجة تودي بحياته . فبذل فرهاد كل ما يملك من جهد ومهارة وفن ، وكان يتردد على قصر شيرين كل أسبوع لكي يقدم لها تقريراً عن سير العمل في شق القناة ، مما كان يوغر صدر خسرو ضده ، وضد إصراره على العمل حتى الانتهاء منه .

بعد فترة من العمل الشاق اقترب فرهاد من الانتهاء من شق القناة ، وهنا فكر خسرو في مكيدة يقضي بها على فرهاد ، فأرسل إليه من [illegible] بأن شيرين ماتت منذ فترة ، وأنه لم يشأ يخبره قبل ذلك حتى لا يسيطر عليه الحزن ، وهنا ألقى فرهاد بنفسه منتحراً من فوق الجبل ، حيث إن الهدف الذي يسعى إلى وصاله قد ودع الدنيا ، فعليه أن يموت ، فقد ينعم بوصالها في الحياة الآخرة .

وهكذا نجحت حيلة خسرو للتخلص من غريمه ، وخلا له الجو مرة أخرى لكي يحاول وصال عشقه مع شيرين وبخاصة أن زوجته مريم توفيت في هذا الوقت ، فذهب يعرض على شيرين حبه ، ولكنها بطبيعة الأنثى تمنعت وتدللت ، مما أغضبه ، وجعله يسارع بالزواج من فتاة إصفهانية اسمها شكر (أي السكر) مما أغضب شيرين مرة أخرى ، وندمت على أنها صدته وتدللت عليه .

وبعد طول صد وهجران ، استطاع الحبيبان خسرو وشيرين أن يلتقيا وينعما بالوصال والزواج ، وعاشا فترة من الهدوء والاستقرار العاطفي ، ولكن هذا الهدوء لم يستمر طويلاً ، اذ استطاع المغرضون تأليب ابن خسرو ضد أبيه فقتله ، وطمع هذا الابن في الاقتران بزوجة أبيه شيرين ، فتعللت بالموافقة على أن يسمح لها حضور جنازة زوجها ، وأن تنزل معه إلى القبر حتى تلقي عليه النظرة الأخيرة قبل أن يوارى التراب ، وتم لها ما أرادت ، وهناك استلت سكيناً كانت تخفيها داخل ملابسها وطعنت نفسها وماتت بجواره ، منهية بذلك قصة حب ما زالت تتردد بين الإيرانيين حتى اليوم .

* * *

لا شك أن النجاح الذي أحرزه نظامي في نظم هذه القصة العاطفية قد شجع كثيراً من الشعراء الذين أتوا من بعده لكي يعيدوا نظم القصة إما بنفس النمط الذي أخرجه نظامي ، أو من وجهات نظر خاصة أخرى ، حتى أن أمير خسرو الدهلوي قد نظم القصة باسم (فرهاد وشيرين) حيث ركز على القسم الخاص الذي يوضح العلاقة العاطفية بين المهندس فرهاد والمعشوقة شيرين .

* * *

ومما يجدر ذكره أن نظامي أخرج هذه القصة الشعرية فيما يزيد على الستة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر ، وأنه قدمها باسم الأتابك شمس الدين محمد جهان بهلوان ابن ايلدگز ، أحد حكام منطقة آذربايجان . وذكرت المصادر أنه ألفها في عام ٥٧١ هـ (١) . وقال البعض بل عام ٥٧٦ هـ (٢) ، وبينما أستاذنا الدكتور عبد النعيم في بحثه عن نظامى شاعر الفضيلة ، يرجح أن نظامى ألفها عام ٥٨٢ هـ بعد عام واحد من تأليفه مخزن الأسرار (٣) .

* * *

(١) براون ، ج ٢ ، الترجمة العربية ، ص ٥٠٧ .
(٢) فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ١٩٥ .
(٣) د . عبد النعيم حسنين : نظامى الكنجوى ، شاعر الفضيلة ، ص : ٢٢٩ .

بقي أمامنا أن ندرس نصين من أشعار نظامي في «خسرو وشيرين»، النص الأول منهمايتحدث عن الاتفاق بينخسرو وفرهاد على حفر القناة ، وقبول فرهاد القيام بهذا العمل المضني في مقابل أن يظفر بشيرين بعد إتمام المهمة المكلف بها . أما النص الثاني فيحكي خبر انتحار فرهاد ، عندما ضلله خسرو ، وأخبره كذباً بموت شيرين ، فما كان منه عند سماعه هذا الخبر المفجع إلا الانتحار .

النص الأول :

گفتگوی خسرو بافرهاد

بهرنکته که خسرو ساز میداد   جوابی همچو گوهر باز میداد

نخستین بار گفتش از کجائی   بگفت از دار ملك آشنائی

بگفت از دل شدی عاشق بدینسان ؟

بگفت از دل تو میگوئی من از جان

بگفت از دل جدا کن عشق شیرین

بگفتا چون زیم بیجان شیرین

بگفتا گربخواهد هر چه داری

بگفت این از خدا خواهم بزاری

بگفتا جان مده ، دل بس که با اوست

بگفتا دشمنند این هر دو بیدوست

چوعاجز گشت خسرو در جوابش

نیامد بیش پرسیدن صوابش

بیاران گفت کز خاکی وآبی
ندیدم کس بدین حاضر جوابی
گشاد آنگه زبان چون تیغ فولاد
فکند الماس را برسنگ بنیاد
که مارا هست کوهی در گذرگاه
که مشکل میتوان کردن برآن راه
میان کوه راهی کند باید
چنان کامد شدن مارا بشاید
جوابش داد مرد آهنین چنگ
که بر دارم ز راه خسرو این سنگ
بشرط آنکه خدمت کرده باشم
چنین خدمت بجا آورده باشم
دل خسرو ، رضای من بجوید
بترك شكر شیرین بگوید
بتندی گفت آری شرط کردم
وگر زین شرط بر گردم ، نه مردم
چو بشنید این سخن فرهاد بیدل
نشان کوه جست از شاه عادل
بکوهی کرد خسرو رهنمونش
که خواند هرکس اکنون بیستونش

بکوه انداختـــن بگشود بـــــازو
همی ببریـــد سنگی بی تـــرازو

بالماس مـــژه یاقـــوت می سفت
ز حال خویشتن با کوه می گفت

۲۰ ــ که ای کوه از چه داری سنگ خاره
جوانمردی کن وشو پـــاره پـــاره

بشب تا روز گوهر بـــار بـــودی
بروزش سنگ سفتن کـــار بودی

بگرد عالم از فرهـــاد رنجـــور
حدیث کوه کندن گشت مشهور

ترجمة النص الأول :

حديث خسرو مع فرهاد

ــ لقد كان يجيب إجابات كأنها الجوهر
على كل نقطة يثيرها خسرو وعنها يستفسر
ــ إذ قال له في البداية : من أين قدمت ؟
قال من دار الملك ذات الشهرة ؟
ــ ثم قال : هل ملك العشق عليك قلبك هذا
قال : أنت تتحدث عن القلب ، أما أنا فعن الروح
ــ ثم قال : لتطرح عن قلبك عشق شيرين !
قال : وكيف أحيا بلا روح شيرين ؟

— فقال : إن ترغب ، أمنحك كل ما تريد !
قال : هذا كل ما أتضرع إلى الله من أجله !
— فقال له : لا تضح بروحك ، وكفاك تعلق القلب به
قال : بدون الحبيب ، كلاهما بمثابة العدو
— عندما أصاب العجز خسرو في محاورته ،
ولم يعد من الصواب مواصلة سؤاله
— قال لرفاقه : لم أر بين الآدميين
شخصاً حاضر البديهة مثله !
— وفجأة انبرى لسانه كالسيف الفولاذي
وألقى قطعة من الماس فوق حجر صلد
— إذ قال : هناك جبل يعترض الطريق
ويمثل مشكلة أمام عبور هذا الطريق
— لذا يجب شق طريق وسط هذا الجبل
حتى يكون في مقدورنا الذهاب والمجيء
— فأجابه الرجل الصلد القوي
سأرفع هذا الجبل الأشم من طريق خسرو !
— وسأؤدي هذه المهمة بشرط
أود تحقيقه عند إنجاز هذا العمل
— وشرطي أن يحقق قلب خسرو لي الرضا
وذلك بأن يتخلى لي عن شيرين الحلوة الجميلة
— فقال مسرعاً : قبلت الشرط
ولست رجلاً لو تخليت عن هذا الشرط
— ما أن سمع فرهاد الهائم هذا الكلام
حتى طلب من الملك العادل أن يخبره بمكان الجبل

– فأخبره خسرو بأنه الجبل
المعروف حالياً باسم بيستون [١]
– شمر (فرهاد) عن ساعديه لتحطيم الجبل
وأخذ في تفتيت الجبل دون معدات
– وكان يثقب حبات الياقوت بأهدابه الماسية
ويحدث الجبل بلسان حاله قائلاً :
– أيها الجبل لم احتفاظك بهذه الأحجار الصلدة ؟
لتكن شهماً ، ولتتفتت ذرة ذرة
– وهكذا كان يقضي ليله نهاره ينثر الجواهر
وليس له من عمل غير تحطيم الجبل والأحجار
– ولهذا انتشر في ربوع العالم كله
خبر محطم فرهاد المسكين الجبل .

• • •

النص الثاني :

جـــان داد فرهـــاد

چو افتاد این سخن در گوش فرهاد
ز طاق کوه چون کوهی در افتـــاد
بر آورد از جگر آ هی چنان سرد
که گفتی دور باشی بر جگر خورد
بزاری گفت کاوخ رنـــج بردم
ندیده راحتی ، در رنج مردم

---

(١) جبل بيستون قريب من بلدة (كرمانشاه) ومشهور بالنقوش القديمة .

دریغا هر زه رنج روزگـــارم
دریغا آن دل امیــد وارم
مرا زین کوه کندن حاصل این بود
نشد کارم میسر مشکل این بـــود
ندیدم لعل ، وسنگ آمد بدستـم
چو نادان طمع در لعـــل بستـم
چه آتش بود کاندر خرمن افتـــاد
چه طوفان بد که نا گاه در من افتاد
جهان خالی شد از مهتاب و خورشید
چمن خالی شد از شمشاد واز بیـــد
چراغ عالم افروز از جهـــان شـــد
نه شیرین کافتاب از مـــن نهان شد
نبخشاید فلك برهیـــچ مظلـــوم
نباشد شفقتش برهیـــچ محروم
دریغا آنچنان خورشید وآنمـــاه
کز اینسان در خسوف افتـــاد ناگاه
بگرید بر دل من مرغ وماهی
که رفت آب حیاتم در سیاهی
چرا از روی آن دلبر جدایـــم
چو شیرین رفت من اینجا چرایـــم

اگر بی روی شیرین زنـده مانـم
سزد کز تن بر آید استخوانــــم
اگرصد گوسفنـد آید فرا پیش
برد گرگث از گله قربان درویش
فرو رفته بخاك آن سرو چـالاك
چرا برسر نریزم هر زمان خـاك
زگلبن ریختـه گلبرك خنـدان
چرا بر من نگردد باغ زندان
بریده از چمن کبك بهــاری
چرا چون ابر نخروشـم بـزاری
فرو مرده چـراغ عالم افـروز
چرا روزم نگردد شب بدین روز
چراغم مرد بادم سرد از آنسـت
ما هم رفت ، آفتا بم زرد از آنست
بشیرین در عدم خواهم رسیـدن
بیك تك تا عدم خواهـم دویـدن
صلای عشق شیرین در جهانـداد
زمین بربـاد او بوسید وجان داد

• • •

ترجمة النص الثاني :

انتحـــار فرهـــاد

– ما أن ترامى هذا الخبر إلى أذن فرهاد
حتى سقط من فوق الجبل كقطعة من الحجر

– وأخرج من كبده زفرة حزينة
وكأن حربة أصابت كبده

– وقال في حسرة ولوعة ، واحسرتاه على ما تحملت من مشاق
فلم أر راحة ، وأسلمت الروح وأنا جد مثقل

– واأسفاه على عمري الضائع وسط الهموم !
واحسرتاه على ذلك القلب المفعم بالآمال !

– أهكذا كان نصيبي من شق الجبل ؟
فما تحقق مطلبي ، وإنما زادت مشاكلي !

– لقد كنت جهولاً أطمع في الدر والياقوت
ولكنني لم أظفر بالدر ، إذ كان نصيبي تافه الحجر

– وكأن ناراً اشتعلت في بيدري
أو أن طوفاناً ابتعلني فجأة بين جوانحه

– لقد عدمت الدنيا القمر والشمس
كما عدمت الحديقة الأشجار والظلال

– لقد رحل مصباح العالم المضيء عن الدنيا
بل رحلت الشمس عنا ، ولم ترحل شيرين

– وهكذا لا يرأف الفلك بأي مظلوم
كما لا يصيب بشفقته أي محروم

ــ واحسرتاه على شمسي وقمري
فقد أصابهما الخسوف هكذا فجأة
ــ كم تبكي الطيور والأسماك وكل الكائنات ما أصاب قلبي
إذ سلكت طريق الحياة وسط الظلمات
ــ لمَ أفترق عن طلعة ذلك الحبيب ؟
فإن كانت شيرين قد مضت ؛ فلم بقائي ؟
ــ وإن يقدر لي الحياة بدون شيرين
فإنني أستحق أن تنخلع عظامي من جسدي
ــ فإن تمر مائة حمل أمام ذئب
فلن يختطف منها إلى الوديع الضعيف
ــ إن كانت شجرة السرو الباسقة تلك قد وقعت
فلم لا ننثر التراب على رؤوسنا في كل وقت ؟
ــ لقد تساقطت وريقات الورد الباسمة في الحديقة
فلم لا تصبح الحديقة سجناً لي ؟
ــ لقد طارت طيور الربيع من الخميلة
فلمَ لا أنوح بحرقة وكأنني السحاب ؟
ــ وانطفأ مصباح العالم المضيء
فلماذا لا يتحول نهاري إلى ليل دامس ؟
ــ ولهذا انطفأ مصباحي ، وخمدت أنفاسي
وكم ذبلت شمسي ، عندما غاب قمري
ــ سألحق بشيرين في عالم العدم
لذا سأسرع إلى العدم بقفزة واحدة
ــ ثم صلّى على شيرين وترحم على عشقها
كما قبّل الأرض على ذكراها ، وأسلم الروح !

• • •

منطـــق الطــــير

فريد الدين العطار

منطـق الطـير (1)

يجمع المؤرخون جميعاً على أن كتاب منطق الطير ، من كتب التراث الإسلامي الصوفي الهامة ، ونتيجة لهذه الأهمية ، فقد ترجم إلى عدة لغات منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والهولندية والهندية والتركية وأخيراً العربية ، كما يجمع المؤرخون كذلك على أن ناظمها الشاعر فريد الدين العطار واحد من كبار أئمة التصوف الإسلامي لا في إيران وحدها ، بل في سائر بلدان العالم الإسلامي . ونتيجة لهذه المكانة الكبيرة ، فقد حيكت حوله بعض الحكايات والأساطير التي امتلأت بها كتب التذاكر الأدبية والصوفية ، ولكننا سنكتفي هنا بذكر بعض الحقائق السريعة عن حياة العطار ، وعن مؤلَّفه منطق الطير .

فريد الدين العطار :

يتفق معظم المؤرخين على أن اسم شاعرنا هذا هو (محمد) كما اتفقوا على أن لقبه هو (فريد الدين) ولكنه اشتهر باسم (العطار) نظراً لأنه كان يعمل بالعطارة ، قبل أن ينخرط في طريق التصوف ، وقد تضاربت الأقوال حول تاريخ وفاته وتاريخ مماته ، حيث راجت أقوال بأنه عاش مدة مائة وأربعة عشر عاماً منذ عام ٥١٣ هـ حتى عام ٦٢٧ هـ ، ولكنني في كتاب منطق

(١) قام المؤلف بترجمة منطق الطير إلى اللغة العربية ، وتم نشره مع مقدمة تناولت بالدراسة حياة العطار ، وأهم أفكار منطق الطير ، وذلك عام ١٩٧٥ بالقاهرة .

الطير أثبت أنه ولد عام ٥٤٥ هـ وتوفي عام ٦٢٧ هـ [1] وقد كانت ولادته بمدينة نيسابور ، وبها عاش معظم سني عمرة ودفن بها ، وما زال قبره قائماً بها حتى اليــوم .

ويقال إن العطار كان يعمل صيدلانياً في دكان العطارة الذي كان يملكه ، كما كان المرضى يفدون عليه للكشف عليهم وصرف الدواء لهم ، وعلى الرغم من هــذا المجهود الكبير ، فقد كان مهتماً بالقراءة والكتابة ، ويبدو أنه عندما شعر بأن العمل في دكانه يعوق حبه للقراءة والسلوك الصوفي ، هجر هذا الدكان ، وتفرغ لسلوك الطريق وبدأ في رحلات يزور فيها الأماكن المقدسة بمكة وأماكن الثقافة في العالم الإسلامي ، وكذلك التقى بعلماء البلدان التي زارها ، مما زاد من ثقافته وسعة أفقه .

ولا شك أن تفرغ العطار للقراءة والكتابة والسلوك ، ساعده على كثرة التأليف حتى ادعى البعض بأنه ألف مائة وأربعة عشر كتاباً [2] ، أي نفس العدد الذي حددوه لسني عمره ، وكما ثبت أن هذا العدد بالنسبة لسنوات العمر مبالغ فيه ، فهو ولا شك مبالغ فيه أيضاً بالنسبة لعدد الكتب التي ألفها ، وبخاصة أن الكتب التي عنيت بأخبار المتصوفة لم تذكر أسماء هذا العدد الكبير من الكتب. وأكبر عدد أمكن إحصاؤه ، هو ما ذكره الأستاذ سعيد نفيسي ، حيث بلغ ستة وستين كتاباً . ولكن أهم هذه الكتب التي تنسب إلى الشيخ فريد الدين العطار ، ما يلي :

١ — تذكرة الأولياء : وهو الكتاب النثري الوحيد الذي خلفه لنا العطار وطبع في جزءين .

٢ — منطق الطير ٦ — مصيبت نامه

(١) المرجع السابق ، ص ٦ وما بعدها .
(٢) القزويني : مقدمة تذكرة الأولياء ، ص : ب .

٣ – الهي نامه
٧ – مختار نامه
٤ – الديوان « عشرة آلاف بيت »
٨ – اسرار نامه
٥ – پند نامه
٩ – خسرو نامه

• • •

منظومة منطق الطير :

مما لا شك فيه أن منطق الطير من أعظم ما نظم في الأدب الفارسي عامة وفي الأدب الصوفي على وجه الخصوص، فالقالب القصصي الممتع الذي نظمت فيه هذه المنظومة بجانب المعاني الروحية التي شملتها ، أعطتها هذه الأهمية بين كتب التصوف . ولا يكاد يُذكر فريد الدين العطار إلا ويذكر معه اسم « منطق الطير » ، فقد أصبح العطار علماً على منطق الطير ، وأصبح منطق الطير علماً على العطار [1] .

وقد قال بارتلس المستشرق الروسي : من أحسن ما فاضت به قريحة العطار تلك المنظومة المعروفة باسم (منطق الطير) [2] .

ومن المعروف أن فريد الدين العطار أخذ اسم المنظومة من القرآن الكريم ، وذلك من قوله تعالى : « وورث سليمان داود ، وقال : يأيها الناس عُلمنا منطق الطير ، وأُوتينا من كل شيء ، إن هذا لهو الفضل المبين » . [3]

وتحدث العطار فيها عن طيور كثيرة ، كلها طيور حقيقية ، ما عدا إله الطير والذي رمز إليه باسم « سيمرغ » ؛ إذ أنه طائر وهمي لا وجود له في الكون . ولكن كيف تمكن العطار من توليد فكرة صوفية من خصائص بلبل أو هدهد أو بومة مثلاً :

---

(١) منطق الطير : الترجمة العربية للمؤلف ، ص : ٢٩ .
(٢) Bertels : Otcherk Istori Persidshoy Literaturi, Leningrad 1923, p. 58.
(٣) سورة النمل ، آية : ١٦ .

يجيب المستشرق الألماني ريتر على هذا السؤال بقوله :

... إن الوسيلة إلى ذلك هي الوسيلة الفنية أو الصناعة التي تعتبرها عصا السحر في الشعر الفارسي ، والمفتاح الذي فتح به ما استغلق من معانيه ، فعند الكائنات التي لا تنطقها الطبيعة ، ترتبط هذه الوسيلة الفنية بأخرى ألا وهي (لغة الحال) ، فإذا بدأ الكلام جماد أو كائن ليست له لغة الإنسان ليتحدث عن نفسه أو يقول شيئاً ، فلن يقول إلا تأويلاً شعرياً خيالياً لخصائصه . وإن العطار مبرز في هذا الفن لا يشق له غبار ، وإن قدرته على استخدام هذه الطريقة تثير الدهشة في نفس القارىء (1) .

أي أن العطار يصبغ شعوره ومعتقداته على هذه الطيور ، على أن يخص كل طائر بما يتفق وطباعه وخصائصه .

ويبلغ عدد أبيات منظومة منطق الطير في أغلب النسخ الصحيحة والتي يعتمد عليها حوالى أربعة آلاف وستمائة وخمسين بيتاً .

وقصة منطق الطير وهي تدور حول المعراج الروحي ، وسلوك المرشدين للطريق وصولاً إلى الحقيقة وهي الله ، من القصص المستمدة من الروح الإسلامية ومعراج النبي محمد عليه السلام ، وقد كانت مبعثاً لكثير من القصص والإنتاج الشعري في كل من الأدبين العربي والفارسي ، بل وجدت قصص رحلات مثلها في الآداب الأوروبية كالكوميديا الالهية على سبيل المثال . وعلى هذا فلم يكن العطار السبّاق إلى تناول الفكرة ، بل لم يكن السباق إلى البناء القصصي الذي وردت فيه منظومة منطق الطير نفسها ، فقد أخذ هذا البناء القصصي من رسالة صغيرة كتبها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي اسمها « رسالة الطير » فيما لا يزيد عن أربع صفحات فقط (2) . ولكن العطار لم يكن مجرد ناقل أو

(1) Ritter (V.H.) : Das der Seele Mench Welt und Gott in denges Chichter Fariduddin Attar, Leiden 1965, p. 4.

(2) الجواهر الغوالي من رسائل الإمام حجة الإسلام الغزالي ، القاهرة ١٩٣٤ ،ص:١٤٧–١٥١.

مقلد ، بل كان مبدعاً كذلك ، فقد أخذ الفكرة العامة عن رسالة الغزالي وألبسها ثوباً جديداً فضفاضاً ضم الكثير والكثير من المعاني الصوفية ، وكذلك التراجمات لأحوال الكثيرين من مشايخ الطريق ورسومهم في تربية مريديهم ، إلى غير ذلك من الأفكار الصوفية التي لا نجدها في رسالة الغزالي الصغيرة .

وملخص قصة منطق الطير يتمثل في أن جماعة من الطير اجتمعت برئاسة الهدهد تباحثت فيما بينها اذ أن جميع الممالك لا تخلو من ملك يدبر أمورها ، ويمتثل الجميع لأوامره ونواهيه ، فلماذا تعيش الطيور بلا ملك وبدون مرشد ؟ فأخبرهم الهدهد بأن لهم ملكاً اسمه السيمرغ يعيش خلف جبل (قاف) و أن الوصول إليه عسير ، وكما أن الطريق مليء بالأهوال والمخاطر ، مما جعل عدداً كبيراً من الطيور تبدي تخوفها من السير ، فكان الهدهد يرد على كل طائر بما يقنعه بأن حجته واهية ، وأن سلوك الطريق لا يعتمد على القوة الجسمانية ، وإنما يعتمد سلوك الطريق على إرادة المريد والسالك وتفانيه والتضحية بجسده وروحه أملاً في الوصول إلى الحضرة العلية ، كما يعتمد السلوك على قبول الحضرة لهذا السالك ، وإنعامه عليه بالرضا والقبول .

بعد أن أقنع الهدهد الطيور بضرورة السلوك ، بدأت الطيور في المسير والسلوك ، وبعد فترة من الجهد المضني ، بدأت بعض الطيور تتوقف عن المسير ، إذ ضعف البعض عن مواصلة السير ، وذلك لضعف قوة الإيمان بالهدف في قلوبهم ، ولانشغال البعض الآخر بمفاتن الطريق . وأخيراً وبعد سلوك جميع وديان الطريق السبعة لم يصل إلى حضرة السيمرغ إلا ثلاثون طائراً ، بعد أن فنيت أعداد هائلة من الطيور لضعف إيمانها قبل ضعف أجسادها. وقد أوصل العطار ثلاثين طائراً فقط حتى يستطيع أن يقابل بين اللفظين سيمرغ (اسم إله الطير) و سی مرغ (أي ثلاثون طائراً) ، وذلك لكي يصل إلى مناقشة الفكرة الأساسية في منطق الطير وهي (وحدة الشهود) ، حيث سمح لهذه الطيور الثلاثين بمقابلة السيمرغ ، وعندما تم لها ذلك رأت أن السيمرغ هو الثلاثون طائراً ، وأن الثلاثين طائراً هي السيمرغ بالتمام والكمال ، ولم

يعودوا يدركون هل هم هو ، أم هو هم وهكذا تمت وحدة شهودية بين السيمرغ والطيور التي حظيت بالوصول والمثول .

وأهم المعاني الصوفية التي عبّر عنها العطار في منظومته منطق الطير ، تتمثل فيما يلي : [1]

١ — لا بد للطريق من مرشد ومريد ، تكون مهمة المرشد الهداية والإرشاد وحل معضلات الطريق ، وعلى المريد تنفيذ الأوامر دون سؤال أو اعتراض .

٢ — التصوف هو الصلة التي تحدد العلاقة بين الله والسالك حتّى تصل بالسالك إلى حد الفناء في الله والبقاء به بعد الفناء ، والصلة بين الله والعالم متعددة ، فهي كصلة البحر بالقطرة وصلة الشمس بالظل ، وصلة الكنز بالطلسم ، وصلة السيد بعبده ، وأنه لا سلطان لأحد غير الله ، فهو الفاعل وحده ، وهو السلطان ولا سلطان لغيره .

٣ — العشق هو القوة الخفية التي تدفع السالك إلى المضي قدماً في الطريق ، أملاً في لقاء المحبوب الأزلي ، حتّى أن العشق في رأي الصوفية ومنهم العطار يعتبر أعلى مكانة من الكفر والايمان معاً ، والعشق أسمى مكانة من العقل ، كما أن العشق يسمو بالعاشق حتّى يجعله يفني في ذات المعشوق ، والعشق نوعان : عشق دائم وهو عشق المعرفة ، وعشق زائل وهو عشق الصورة الذي يزول بزوال الصورة . ولقد حظي العشق بالاهتمام الأكبر من العطار ، وذلك لأن العشق يمد السالك بذخيرة تساعده في سلوك الطريق ، حتّى ولو كان غاية في الضعف ، كما أنه القوة الخفية التي تبعث الإنسان على الطلب والعمل والإقدام . . . بل إنه مفتاح التصوف كله .

٤ — الطريق الصوفي غايته الإدراك والاتحاد ، ووسيلة الصوفي للوصول

---

(١) لمعرفة المزيد من أفكار العطار في منطق الطير ، يحسن الرجوع إلى الترجمة العربية للمؤلف ، ص : ٤٠ — ٥٨ وكذلك النص المترجم .

إلى الحضرة وإدراك الله تتمثل في العشق لا العقل ، حيث أن العشق صادر عن الذات الإلهية فهو مدرك لها ، أما العقل فهو مخالط للطبيعة البشرية ، فمحال بالنسبة له إدراك الذات الإلهية . والطريق الصوفي مقسم إلى مراحل من مقامات وأحوال هي عند العطار باسم الوديان ، ويضم الطريق سبعة أودية هي : وادي الطلب — وادي العشق — وادي المعرفة — وادي الاستغناء — وادي التوحيد — وادي الفقر الفناء .

٥ — الفناء الصوفي هو الحال التي تتوارى فيها آثار الإرادة والشخصية والشعور بالذات وكل ما سوى الحق ، فيصبح الصوفي وهو لا يرى في الوجود غير الحق ولا يشعر بشيء من الوجود سوى الحق وفعله وإرادته . وهذا الفناء في الله اتخذ عدة صور في منطق الطير أهمها ؛ فناء السالك في الله كفناء القطرة في البحر أو فناء الظل في الشمس ، أو الفناء في النور والتخلي عن ظلمة الجسد البشري ، أو فناء السالك حتى يصبح شعرة في ذؤابة المحبوب . وبعد أن يتحقق الفناء ينتقل السالك إلى مرحلة البقاء بعد الفناء ، وهذه حالة لا تتأتى لأي وصف ، وليس في مقدور أي إنسان أن يشرحها .

٦ — العطار من المؤمنين بوحدة الشهود وليس من أنصار وحدة الوجود ، ووحدة الشهود معناها الفناء عن شهود التكثر والتعدد ، لا نفي هذا التكثر والتعدد في ذاته ذلك الذي يؤكده مذهب وحدة الوجود ، فالمؤمن بوحدة الشهود لا يشهد في الوجود إلا الله ، أما المؤمن بوحدة الوجود ، فهو يسقط التكثر والتعدد في الوجود العيني ولا وجود الا لله ، ولا شك أن هناك فارقاً بين الغيبة عن شيء (وأعني التكثر) وبين نفي هذا الشيء . ووحدة الشهود حال أو تجربة يعانيها الصوفي ، لا عقيدة ولا علم ولا دعوى فلسفية يحاول برهنتها أو يطالب الغير بتصديقها .

• • •

هذه فكرة غاية في الإيجاز عن أفكار العطار في منطق الطير ، وقبل أن

ننتقل لترجمة نماذج شعرية منه ، أشير إلى أن الكتاب يقع في مقدمة وخمس وأربعين مقالة ، وبعد كل مقالة يورد العطار مجموعة من الحكايات التي يعبر بها عن آرائه ومعتقداته ، ويشرح في بعضها أحوال بعض مشايخ الطريق ورسومهم في السلوك وتربية المريدين . ولهذا فمنطق الطير من الكتب التي لا غنى عنه للباحث في التصوف الإسلامي العربي منه والفارسي .

در ذم تعصب

ای گرفتار تعصب مانــده
دائمــاً در بغض و در حب مانده

گر تو لاف از هوش و از لب میزنی
پس چرا دم از تعصب میزنــی

در خلافت نیست میل ای بیخبر
میل کی آید ز بو بکر و عمر

میل اگر بودی در آن دو مقتدا
هر دو کردندی پسر را پیشوا

هر دو گر بُردند حق از حقوران
منع واجب آمدی بر دیگران

منع را چون نا پدیدار آمدنــد
ترك واجب را روادار آمدنــد

گر نمیآید کسی در منع یار
جمله را تکذیب کن یا اختیار

ور کنی تکذیب اصحاب رسول
قول پیغمبر نکردستی قبــول

گفت هر یارم نجمی روشن است
بهترین قرنها قرن من است

بهترین خلق یاران منند
اقربا و دوستاران منند

بهترین چون نزد تو باشد بتر
کی توان گفتن ترا صاحب نظر

کی روا داری که اصحاب رسول
مرد ناحق را کنند از جان قبول

یا نشانندش بجای مصطفی
از صحابه نیست این باطل روا

اختیار جمله شان گر نیست راست
اختیار جمع قرآن پس خطاست

بلکه هرچ اصحاب پیغمبر کنند
حق کنند و لایق و در خور کنند

تا کنی معزول یکتن را زکار
میکنی تکذیب سی و سه هزار

آنکه کار او جز بحق یکدم نکرد
تا بزانو بند اشتر کم نکرد

او چو چندینی در آویزد بکار
حق ز حقور کی برد، این ظن مدار

میل در صدیق اگر جایز بُدی
خود اقیلونی کجا هرگز بُدی

۲۰ – در عُمَر گر میل بودی ذرّهٔ
کی پسر کُشتی بزخم دُرّهٔ

دائماً صدّیق مرد راه بـود
فارغ از کل لازم درگاه بود

مال و دختر کرد وجان بر سر نثار
ظلم نکند اینچنین کس شرم دار

پاك از قشر روایت بـود او
ز آنکه در مغز درایت بود او

آنکه بر منبر ادب دارد نگـاه
خواجه را ننشیند او بر جایگاه

۲۵ – چون ببیند اینهمه از پیش و پس
تا حق او را کی تواند گفت کس

باز فاروقی که عدلش بود کار
گاه میزد خشت و گه میکند خار

بند هیزم را بخود بر داشتی
پا برهنه شهر را بگذاشـتی

بود هر روزی درین حبس نفس
هفت لقمه نان طعام او را و بس

سرکه بود با نمك بر خوان او
نی ز بیت المـــال بودی نان او

۳۰ ــ ریگ بودی گر بخفتی بسترش
دُرّه بالش بود در زیر سرش

بر گرفتی همچو سقّا مَشك آب
پیر زن را آب بردی وقت خواب

شب برفتی دل ز خود بر داشتی
جملهٔ شب پاس لشکر داشتی

با حُذیفه گفت ای صاحب نظر
هیچ می بینی نفاقی در عُمَر

کو کسی تا عیب من در روی من
میل نکند تحفه آرد سوی من

۳۵ ــ گر خلافت بر خطا میداشت او
هفت من دلقی چرا میداشت او

چون نه جامه دست دادش نه کلیم
بر مرقع دوخت صد پاره ادیم

آنکه ز ینسان شاهی خیلی کند
نیست ممکن کو بکس میلی کند

آنکه گاهی خشت و گاهی گِل کشد
اینهمه سختی نه بر باطل کشد

گر خلافت بر هوا میرانـدی
خویشتن بر سلطنت بنشانـــدی

۴۰ – شهرهای منکران از نـــام او
شد تهی از کفر در ایام او

گر تعصب میکنی از بهـــر این
نیست انصافت بمیر از قهر ایـــن

او ببرد از زهر و تو از قهر او
چند میری گر نخوردی زهر او

هین مکن ای جاهل حق ناشناس
از خلافت خواجگی خود قیاس

بر تو گر این خواجگی آید بسر
زین غمت صد آتش افتد در جگر

۴۵ – گر کسی از ایشان خلافت بستدی
عهـــدهٔ صد گونه آفت بستدی

نیست آسان تا که جان در تن بود
عهدهٔ خلقی که در گردن بود

★ ★ ★

الترجمة العربية :

في ذم التعصب

– يا من وقعت أسير التعصب ، وظللت أبداً أسير البغض والحب ،
– إن كنت تفاخر بالعقل واللب ، فكيف تنطق بعد ذلك بالتعصب ؟

ـ أيها الجاهل لا رغبة في الخلافة،إذ كيف تتأتى لدى أبي بكر وعمر مثل هذه الرغبة !

ـ لو كانت لديهما الرغبة وهما صاحبا قدوة ، لأعطى كل منهما لابنه من بعده الولاية .

ـ ولو كانا قد سلبا الحق من المستحقين ، لكان منعهما واجباً على الآخرين .

ـ ولكن ما قام هؤلاء بمنعهما ، بل تركوا القيام بهذا الواجب لمن انتخب .

ـ وإذا كان أحد لم يتقدم لمنع الصدّيق ، فلك أن تكذب الجميع أو أن توافقهم جميعاً .

ـ ولكن،إن تكذب صحابة الرسول ، فإنك بذلك تنكر أحاديث الرسول .

ـ فقد قال : أصحابي نجوم زاهرة[1] ، وأفضل القرون قرني .

ـ وأفضل الخلق صحابتي وأقربائي ومن حظوا بصداقتي .

ـ أما إذا كان الأفضل لديك أسوأ ، فكيف يمكن أن يقال إنك صاحب نظر ؟ !

ـ وكيف تجيز لصحابة الرسول ، أن يتقبلوا بقلوبهم رجلاً لا يتمتع بالقبول ؟

---

١ ـ إشارة إلى حديث الرسول : « اصحابي كالنجوم الزاهرة ، فبأيهم اقتديتم ، اهتديتم » .

— أو أن يجلسوه مكان الرسول ، فمثل هذا الباطل لا يجوز من صحابة الرسول .

— وإذا كان اختيارهم خاطئاً ، فاختيار جمع القرآن يكون كذلك خاطئاً !

١٥ — إن كل ما يفعله صحابة الرسول هو الحق ، ولا يفعلون إلا ما يليق بالحق .

— فإن كنت تنكر على أحدهم تولي الأمر ، فإنك تكذب بذلك ثلاثة وثلاثين ألفاً[1] .

— أما من لا يعمل إلا متوكلاً على الله ، فهو من يعقــل بعيره ويتوكل[2] .

— وكيف يليق بمن يتبع هذا المنطق ، أن يسلب المستحقين أي حق ، فتخل عن هذا التفكير .

— وإذا جاز أن تكون الرغبة لدى الصديق ، لما قال « أقيلوني »[3] على الإطلاق .

---

١ — لعل الشاعر يقصد العدد الكثير من الأنصار والمهاجرين الذين حضروا البيعة لكل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

٢ — إشارة إلى حديث الرسول « اعقلها وتوكل » : الجامع الصغير ج ١ ، ص : ١٥٥ .

١ — إشارة إلى قول ابي بكر في خطبة الخلافة « اقيلوني ، اقيلوني لست بخيركم » .

٢٠ – ولو قدر أن لدى عُمر قدراً ضئيلاً من الرغبة ، لما قتل ابنه ضرباً بالدرة .

– كان الصديق رجل طريق دائماً ، ومتخلياً عن الكل وللأعتاب كان ملازماً .

– لقد قدم ماله وابنته وروحه نثاراً ، فمثل هذا الرجل لا يستمرئ الظلم ، فالزم جانب الحياء !!

– لقد تطهر من قشور الرواية ، حيث كان في لب الدراية .

– وهل يعقل أن يُجلس الرسول مكانه ،من يتعدى على منبر الأدب؟

٢٥ – وأي شخص يدرك هذا كلّه ، لا يمكنه الادعاء بأنه – أي أبو بكر – غير خليق بالخلافة !

– أما عمر الفاروق الذي كان العدل همّه الدائم ، فقد كان يخلط الأجر أحياناً ، ويقتلع الأشواك أحياناً .

– كما كان يحمل كومة الحطب على كتفه ، ويمضي بها وسط المدينة حافي القدمين .

– ويقضي يومه في رياضة «حبس النفس» ، ولم يكن طعامه يتعدى سبع لقيمات .

– وما كان على خوانه غير الملح مع الخل ، وما كان خبزه من بيت المال .

٣٠ – وإذا نام فالحصى فراشه ، والدرة وسادة رأسه .

– وكان آناء الليل يحمل قربة الماء كالسقا ، ليوصل المياه إلى العجوز .

– وكم كان يقضي ليله سهراً يقظاً ، حتّى يداوم تفقد جنده .
– وذات مرة قال لحذيفة : يا صاحب النظر ألم ترَ مطلقاً نفاقاً في عمر ؟

– إن من يبصّرني بعيوبي في مواجهتي ، لا يغضبني ، بل إنه كمن يتحفني بهدية !

٣٥ – لو قدر وكان تولّيه الخلافة على سبيل الخطأ ؛ فلم كان نصيبه أسمال الدراويش ؟

– كم افترش مرقعاً من مئات القطع ، حيث عدم الرداء والكليم !

– ومن كان يحكم بهذه النزاهة والمقدرة ، لا يمكن اتّهامه بالتحيز والعصبية .

– ومن كان يحمل الدرة أحياناً ، والطين أحياناً ، لا يمكن أن يتحمل هذه الشدائد جزافاً !

– ولو قدر وساس الخلافة وفق الهوى ، لأجلس نفسه في مرتبة السلطنة .

٤٠ – لقد خلت على أيامه مدن المنكرين من الكفر خوفاً منه ورهبة .

– فإن كنت تتعصب ضده ، فلست منصفاً، ولتمت أسير القهر.
– لقد مات– عمر – بالسم ، أما أنت فستموت بقهره، وإن لم تذق سمه .

– أيها الجاهل الجاحد للحق، لا تجعل من نفسك مقيّماً للخلافة .

– فإن كانت نفسك قد سيطرت عليك ، فستسبب آلاف الآلام والأحزان لك .

٤٥ – وإذا كان أحد غيرهم قد تولى الخلافة ، لسيطرت على عهده الآفات والكوارث .

– وما دامت الروح تسري في الجسد ، فليست عهدة الخلق في الأعناق أمراً هيناً !!

★ ★ ★

مقالهٔ ثانیه

در سخن هدهد با مرغان برای طلب سیمرغ

مجمعی کردند مرغان جهان
هر چه بودند آشکارا و نهان
جمله گفتند این زمان در روزگار
نیست خالی هیچ شهر از شهریار
از چه رو اقلیم ما را شاه نیست
بیش از ین بی شاه بودن راه نیست
یک دگر را شاید ار یاری کنیم
پادشاهی را طلبکاری کنیم
زانکه چون کشور بود بی پادشاه
نظم وترتیبی نماند در سپاه
پس همه در جایگاهی آمدند
سر بسر جویای شاهی آمدند
هدهد آشفته دل پر انتظار
در میان جمع آمد بی قرار

حُلهٔ بود از طریقت در بــرش
افسری بود از حقیقت بر سرش
تیز فهمی بود در راه آمــده
از بَد واز نیك آگاه آمــده
گفت ای مرغان منم بی هیچ رَیب
هم برید حضرت وهم پیك غیب
هم ز حضرتْ من خبر دار آمــدم
هم ز فطرتْ صاحب اسرار آمدم
آنکه بسم الله در منقار یافت
دور نبود گر بسی اسرار یافت
میگذارم درغــم او روزگــار
هیچکس را نیست با من هیچکار
چون که آزادم ز خلقان لا جرم
خلق آزادند از مــن نیزهــم
چون منم مشغول درد پادشاه
هرگزم دردی نباشد از سپــاه
آب پیمایم زو هم خویشتن
رازها دانم بسی زین پیش من
با سلیمان در سخن بیش آمدم
لا جرم از خیل او پیش آمدم
هر که غایب شد ز خیلش ایعجب
زو نپرسید و نکرد او را طلب

من چو غایب گشتم از وی یکزمان
کرد هر سوئی طلبکـاری روان

زانکه می نشکیبد از من یك نفس
هدهدی را تا ابد این قدر بس

نامهٔ او بردم و بـاز آمـدم
پیش او در پرده همراز آمـدم

هر که او مطلوب پیغمبر بود
زیبدش بر سر اگر افسر بـود

هر که مذکور خدا آمد بخیر
کی رسد در گرد سیرش هیچ طیر

سالها در بحر و بر میگشته ام
پای اندر ره بسر میگشتـه ام

وادی و کوه و بیابان رفته ام
عالمی در عهد طوفان رفتـه ام

با سلیمان در سفرها بودم ام
عرصهٔ عالم بسی پیمـودم ام

پادشاه خویش را دانسته ام
چون روم تنها که نتوانستـه ام

پس شما با من اگر همره شوید
محرم آنشاه و آن درگه شوید

وا رهید از ننگ خودبینی خویش
از غم وتشویر بیدینی خویش

۳۰ – هر که در وی باخت جان از خود برست
در ره جانان ز نیك و بد برست

جان فشانید و قدم در ره نهید
پای کوبان سر بدان درگه نهید

هست ما را پادشاهی بیخلاف
در پس کوهی که هست آن کوه قاف

نام او سیمرغ و سلطان طیور
او بما نزدیك و ما زو دور دور

در حریم عزت است آرام او
نیست حدّ هر زبانی نام او

۳۵ – صد هزاران پرده دارد بیشتر
هم ز نور و هم ز ظلمت پیشتر

در دو عالم نیست کس را زهرهٔ
تا تواند یافت از وی بهرهٔ

دائماً او پادشاه مطلق است
در کمال عز خود مستغرق است

فهم طایر چون پرد آنجا که اوست
کی رسد علم و خرد آنجا که اوست

نی بدو ره نی شکیبائی از و
صد هزاران خلق سودائـی ازو

۴۰ ــ وصف او چون کارِ جان پاك نیست
عقل را سرمایهٔ ادراك نیـست

لا جرم هم عقل هم جان خیره مانـد
در صفاتش با دو چشم تیره مانـد

هیچ دانائی کمال او نـدیـد
هیچ بینـائی جمـال او ندیـد

در کمالش آفرینش ره نیـافت
دانش از پی رفت و بینش ره نیافت

قِسم خلقان زان کمال و زان جمال
هست گر برهم نهی مشتی خیال

۴۵ ــ بر خیالی کی توان این ره سپرد
تو بماهی کی توانی مه سپـرد

صد هزاران سر چو گو آنجا بود
های های وهوی هوی آنجا بود

بسکه خشکی بسکه دریا در ره است
تا نه پنداری که راهی کوتّه است

شیر مردی باید این ره را شگرف
زانکه ره دور است و دریا ژرف ژرف

رویْ آن دارد که حیران میرویــم
در رهش افتان و خیزان میرویم

۵۰ــ گر نشان یابیم از او کاری بود
ور نه بی او زیستن عاری بود

جان بیجانان کجا آیــد بکــار
گر تو مردی جان بیجانان مــدار

مردمی باید تمام این راه را
جان فشاندن باید این درگاه را

دست باید شست از جان مردوار
تا توان گفتن که هستی مردکار

گر کنی جانی نثــار دلنــواز
صد هزاران جانت آیــد پیشباز

۵۵ــ جان بی جانان نیَرزَد هیچ چیز
همچو مردان بر فشان جان عزیز

گر تو جانی بر فشانی مردوار
بس که جانان جان کند بر تو نثار

★ ★ ★

ابتدای کار سیمرغ

ابتدای کار سیمرغ ای عجــب
جلوه گر بگذشت بر چین نیم شب

در میان چین فتاد از وی پَری
لا جرم پُر شور شد هر کشوری

هر کسی نقش از آن پَر بر گرفت
هر که دید آن نقش کاری در گرفت

آن پَر اکنون در نگارستان چین است
اطلبو العلم و لو بالصین از ینست

گرنگشتی نقش پَر او عیان
این همه غوغا نبودی در جهان

اینهمه آثار صنع از فرّ اوست
جملهٔ جانها نقش پَر اوست

چون نه سر پیداست وصفش را نه بن
نیست لایق بیش ازین گفتن سخن

هر که اکنون از شما مرد رهید
سر براه آرید و پای اندر نهید

جملهٔ مرغان شدند آنجایگاه
بی قرار از عزت آن پادشاه

شوق او در جان ایشان کار کرد
هر یکی بی صبری بسیار کرد

عزم ره کردند و در پیش آمدند
عاشق او دشمن خویش آمدند

ليك چون راهى دراز و دور بود
هر كسى از رفتنش رنجور بود

گر چه ره را بود هر يك كار ساز
هر يكى عذر دگر گفتند بـــاز

★ ★ ★

الترجمة العربية

المقالة الثانيـــة

حديث الهدهد مع الطيور في طلب السيمرغ

— اجتمعت طيور الدنيا جميعها ، ما كان منها ظاهراً أو خفياً .

— وقالوا جميعاً : في هذا العصر وذاك الأوان ، لا تخلو مدينة قط من سلطان !

— فكيف يخلو إقليمنا من ملك ؟ وأنّى لنا أن نقطع طريقنا هذا بلا ملك ؟

— لو يساعد بعضنا البعض ، لتمكنا من السعي في البحث عن ملك .

— لأنه إذا خلا أي إقليم من ملك ، انعدم النظام والاستقرار لدى الجند .

— سارع الجميع إلى الاجتماع ، أملاً في البحث عن ملك أو سلطان .

— وأقبل الهدهد مضطرباً لكثرة الانتظار ، أقبل بين الجمع لا يقر له قرار .

ـ جاء مرتدياً على صدره حلة الطريقة ، جاء وقد علا مفرقة تاج الحقيقة .

ـ جاء وقد خبر الطريق ، جاء بعد أن أدرك ما فيه من قبيح ورشيق .

ـ قال : أيتها الطير ، إنني بلا أدنى ريب مريد الحضرة ورسول الغيب .

ـ جئت مزوداً من الحضرة بالمعرفة ، جئت وقد فطرت على أن أكون صاحب الأسرار .

ـ ومن سطر اسم الله على منقاره ، ليس ببعيد أن يدرك الكثير من الأسرار !!

ـ إنني أعيش نهب همومه زمناً طويلاً ، ولا صلة لي بأي إنسان.

ـ فإن أتحرر من الخلق ، فإنهم بلا أدنى ريب سيتحررون مني كذلك .

ـ ولكن إن أكن مشغولاً بهموم الملك ، فلا يمكن أن يصيبني من الجند أي ألم .

ـ وبفضله أدرك الماء في باطن الأرض[1] ، وأدرك المزيد من الأسرار .

---

١ ـ يقال إن الهدهد يرى الماء في باطن الارض ؛ فقد ورد في الخبر ان أبا حنيفة سال الصادق كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال: لان الهدهد يرى الماء في باطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة ... (انظر تعليقات القاضي طباطبائي ، نسخة منطق الطير ١٣٤٧ ش ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .

– لقد تحدثت مع سليمان كثيراً ، فلا جرم أن أكون مقدماً على خيله .

– والعجيب أن كل من غاب عن حضرته ، لم يسأل عنه ولم يبعث في طلبه .

– ولكن إن غبت عنه لحظة ، أرسل من يطلبني في كل مكان .

– إنه لا يصبر عني برهة ، فحسب الهدهد إلى الأبد تلك المنزلة !

– لقد حملت رسالته ، ورجعت بالجواب إليه ، كما أطلعني على الخفي من أسراره .

– وكل من كان مقبولاً من الرسول ومطلوباً ، كان التاج زينة مفرقه .

– وكل من ذكره الله بالخير ، كيف يشق غباره أي طير ؟

– كم قضيت السنين أجوب البر والبحر ! وكم أصابني قطع الطريق بالاضطراب والدوار !

– قد جبت الوديان والجبال والقفار ، كما طوّفت العالم منذ عهد الطوفان .

– وسافرت مراراً مع سليمان ، كما جبت عرصات العالم .

– وهكذا عرفت أنّ لنا ملكاً ، ولكني لا أستطيع السير إليه بمفردي .

– فإذا صحبتموني في سفرتي ، أصبحت أصفياء ذلك الملك وجلساء عتبته .

– فاطرحوا عنكم معرة الغرور والهوى ، وتخلصوا كذلك من آلام كفركم وهمومه .

٣٠ – فإن كل من يملك روحاً تسارع بالتخلص من ربقة النفس ، يكون في طريق الأحبة منزهاً من كل حسن وقبح !

– انثروا الأرواح وسيروا في الطريق ، وامضوا قدماً نحو تلك الأعتاب .

– إن لنا ملكاً بلا ريب ، وهو يقيم خلف جبل يقال له جبل قاف

– اسمه « السيمرغ » ملك الطيور . وهو منا قريب ، ونحن عنه جد بعيدين !

– مقره حيث العزة والمكانة ، ولا تكف الألسن عن ترديد اسمه والابتهال إليه !

٣٥ – وتكتنف الطريق إليه مئات الألوف من الحجب ، بعضها من نور ، وبعضها من ظلمة .

– وليس لفرد في كلا العالمين مقدرة حتى يحيط بشيء من كنهه .

– إنه الملك المطلق ، المستغرق دائماً في كمال العز .

– ولكن كيف يطير الفهم إلى حيث يوجد ؟ وكيف يصل العقل إلى حيث يقيم ؟

– لا طريق إليه ، حتى ولو كثر المشتاقون من الخلق إليه .

٤٠ – وإذا كان وصفه أكبر من فعل الروح الطاهرة نفسها ، فليس للعقل قدرة على إدراكه .

– لا جرم أن يحار العقل ، كما تحار الروح عن إدراك صفاته !

– ما أدرك عالمٌ كماله ، وما رأى بصيرٌ جماله !

– إذ لا طريق إلى كماله بين البشر ، فقد توقف الحجا ، ولا سبيل إلى النظر !

– إن تجمع أنصبة الخلق من ذلك الكمال وهذا الجمال ، فلن تزيد جميعها عن قبضة من خيال .

٤٥ – وكيف يمكن سلوك الطريق اعتماداً على الخيال ؟ وأنّى لك الوصول إلى القمر على ظهر سمكة ؟

– إن مئات الألوف من الرءوس تصير كرات هناك ، وما أكثر العويل والصراخ هناك .

– في طريقه تكثر البحار والقفار ، فلا تظن أن الطريق إليه قصير

– لذا يلزم رجل شجاع جسور لهذا الطريق ، وذلك لأنه طريق طويل وبحر عميق عميق !

– ولأننا حيارى أمامه ، فسنسلك الطريق متعثرين.

٥٠ – فإن تدرك منه علامة أو إشارة ، فهنا يبدأ العمل ، وإلا فستظل الحياة عاراً وكلها خلل .

– ولكن كيف يتأتى للروح أن تعمل دون أحبة ، فإن كنت رجلاً فلا تكن روحك بلا أحبة .

– لسلوك هذا الطريق تلزم الشجاعة ، ونثر الروح ضرورة لهذه المنزلة الرفيعة .

– وواجبك أيها الشجاع ، أن تتخلى عن الروح ، حتى يمكن القول بأنك خليق بالعمل .

– فإن تتخل طواعية عن روحك العزيزة، فسرعان ما يُنعم علياك بمئات الأرواح .

٥٥ – الروح لا قيمة لها إن كنت بلا أحبة ، فكن كالرجال وانثر روحك الغالية .

– فإن تنثر الروح متشبهاً بالرجال ، فما أكثر ما سينثره عليك الأحبة من الأرواح !

★ ★ ★

ابتداء أمر السيمرغ

– بداية أمر السيمرغ بالعجب ، أنها مرت مجلوة الطلعة منتصف الليل بديار الصين .

– وسقطت منها ريشة وسط تلك الديار ، فلا جرم أن عم الهيجان العالم .

– وتصور كل شخص شكل تلك الريشة ، أما من رآها فقد تعلق قلبه بها .

٦٠ – وتلك الريشة محفوظة الآن في متحف الصين ، فاطلبوا العلم – كما قال الرسول – ولو بالصين .

– ولو لم يبدُ نقش تلك الريشة واضحاً للعيان ، لما عمت الدنيا تلك الغلبة وذلك الهيجان !

– آثار الابداع جميعها نتاج عظمتها ، وجميع المخلوقات كلها صورة من ريشتها .

– وإذا كان وصف الريشة بلا بداية أو نهاية ، فلا يليق الحديث عنها أكثر من ذلك .

– والآن كل من تحرر منكم من القيود ، عليه أن يتقدم إلى الطريق ويسلكه .

٦٥ – عندما عرفت الطير عزة هذا السلطان ، لم يعد يقر لها قرار في هذا المكان .

– وبدأ الشوق إليه يؤثر في أرواحهم ، وما أكثر ما بدر عنهم دون صبر أو روية .

– وعزموا على قطع الطريق وتقدموا إليه ، وعادى كل عاشق له نفسه .

– ولكن لما كان الطريق طويلاً وبعيداً ، فقد تألم كل واحد من قطعه !

– ومع أن كل فرد جعل سلوك الطريق كل همه ، إلا أن كل واحد منهم رجع يسوق عذراً مختلفاً ![1]

* * *

١ – بعد ذلك يبداء العطار يسرد في عدة مقالات اعذار بعض الطيور مشيرا فيها الى اعذار الخلق وحججهم الواهية للتخلي عن سلوك الطريق، وكان العطار من خلال الهدهد يرد على كل طائر مفندا عذره والحجج الواهية الضعيفة ، وانه لا عذر مطلقا عن سلوك الطريق .

بعد ذلك تتوالى المقالات (خمس وأربعون مقالة) واحدة بعد الأخرى ،حيث يتحدث العطار عن أعذار الطيور ، وأسئلتهم واستفساراتهم عن الطريق وصعابه ، ثم يأتي ذكر الأودية التي سلكوها ، وكانت هذه الأودية بمثابة المقامات لدى غيره من مشايخ الصوفية ، وإن اختلفت عنها في مسمياتها ، ولا غرابة في ذلك فالطريق إلى الحضرة الإلهية بعدد أنفس الخلائق ، وأخيراً تصل الطيور إلى الحضرة، فيقص علينا العطار ما حدث هناك .

مقالهٔ خامس وأربعون كه مقالهٔ آخراست

در راه افتادن مرغان بسوى سيمرغ

زين سخن مرغان وادى سر بسر
سرنگون گشتند در خون جگـــر
جمله دانستند كاين مشكل كمان
نيست بــر بازوى مشتى ناتــوان
زين سخن شدجان ايشان بيقـــرار
هم دران منزل بسى مردنــد زار
واندگر مرغان همه زان جايگـــاه
سر نهاده از سر حيـــرت براه
٥ ــ سالها رفتند در شيب و فـــراز
صرف شد در راهشان عمر دراز

آنچه ایشان را درین ره رخ نمود
کی توانم شرح آن پاسخ نمود
گر تو هم روزی فرود آئی بـراه
عقبه آنره کنی یك یك نگـاه
باز دانی آنچه ایشان کـرده انـد
روشنت گردد که چون خون خورده اند
آخر الامر از میـان آن سپـاه
کم کسی رهبرد تـا آن پیشگـاه
زانهمه مرغ اندکی آنجا رسیـد
از هزاران کس یکی آنجا رسید
باز بعضی غرقـه دریـا شدنـد
باز بعضی محو و نا پیـدا شدنـد
باز بعضی بـر سر کـوه بلنـد
تشنه جان دادند در بیم وگزنـد
بـاز بعضی را ز تـف آفتاب
گشت پر ها سوخته ، جانها کباب
باز بعضی را پلنگ و شیـر راه
کرد در یکدم برسوائـی تبـاه
باز بعضی نیز خائب آمدنـد
در کف ذات المخالب آمدند

باز بعضی در بیابـــان خشك لب
تشنه در گرما بماندند از تعب

بـــاز بعضـــی زآرزوی دانـــهٔ
خویش را کُشتند چون پروانهٔ

باز بعضی سخت رنجور آمدند
باز پس ماندند و مهجور آمدنـــد

باز بعضی در عجایب‌هـــای راه
باز استادنـــد هـــم بر جایگاه

۲۰ ــ باز بعضی در تماشـــا و طرب
تن فرو دادند فارغ از طلـــب

عاقبت از صد هزاران تـــا یکـــی
بیش نرسیدنـــد آنجـــا اندکـــی

عالمی مرغان که میبردنـــد راه
بیش نرسیدنـــد سی آنجایگـــاه

سی تن بی بال وبر رنجور وسست
دلشکسته ، جان شده ، تن نا درست

حضرتی دیدند بی وصف و صفت
برتر از ادراك عقـــل و معرفت

۲۵ ــ برق استغنا چو می افروختـــی
صد جهان در یکزمان میسوختی

صدهزاران آفتـــاب معتبـــر
صدهزاران مـــاه وانجُم بیشتـــر
جمع میدیدنـــد حیران آمـــده
همچو ذرّه پای کوبان آمـــده
جمله گفتندای عجب چون آفتاب
ذَرّهٔ محواست پیش آن جناب
کی پدید آئیم مـــا آنجایگـــاه
ای دریغا رنج بـــرده مـــا براه
دل بکُل از خویشتن برداشتیـــم
نیست زان دستی کـــه ماپنداشتیم
هست اینجا صد فلك یكذره خاك
ما اگر باشیم وگرنه زان چه بـــاك
آنهمه مرغان چو بیدل آمدنـــد
همچو مرغ نیم بِسْمِل آمدنـــد
محو می بودند وکم ، ناچیز هـــم
تا بر آمد روزگاری نیـــز هـــم
آخر از پیشان عالی در گهـــی
چاوش عـــزّت درآمـــد ناگهی
دید سی مرغ خَرَّف را مانده باز
بال و برّ وجان و تن هم در گداز

پای تاســر درتَحَیُّر مانده

نی تنیشان ماند نی پــر مانــده

گفت هان ای قوم از شهر که اید

در چنین منزلگه از بهر چــه اید

چیست ای بیحاصلان نــام شمــا

یا کجا بوده است آرام شمــا

یا شما را کس چگوید در جهان

یاچکــار آیــد زمشتــی ناتوان

۴۰ ــ جمله گفتند آمدیم این جایگاه

تا بود سیمرغ مــا را پادشــا

ما همه سر گشتگان درگهیــم

بیــدلان و بیقــراران رهیــم

مدتی شد تــا درین راه آمدیم

از هزاران ، سی بدرگاه آمدیم

برامیــد پادشــاه ازراه دور

تابود ما را درین حضرت حضــور

کی پسندد رنج ما ایــن پادشــاه

آخر از لطفــی کنــد درمانگاه

۴۵ ــ گفت آن چاوش کای سر گشتگان

همچو گل درخون دل آغشتگــان

گر شما باشید ورنه در جهـــان

اوست مطلـــق پادشـــاه جاودان

صد هزاران عالم پـــر ازسپـــاه

هست موری بر در این پادشـــاه

از شما آخر چه خیزد جز زحیـــر

باز پس گردید ای مشتی فقیـــــر

زینسخن هریك چنان نومید شد

کانزمان چون مردهٔ جاوید شد

جمله گفتند این معظم پادشـــاه

چون دهد ما را بخواری سربراه

زو کسی را خواریئی هرگز نبـــود

بود ور ، زوخواریئی جز عِزّ نبود

• • •

المقالة الخامسة والأربعون وهي المقالة الأخيرة
في سلوك الطير الطريق إلى صوب السيمرغ

ـ بعد سماع هذا الكلام كله ، سارعت جميع طيور الوادي بتنكيس الرءوس في دماء الأكباد .
ـ وعلمت جميعها ، أن هذه القوس الصعبة ، لا تقوى عليها سواعد حفنة من العجزة
ـ ولم تجد أرواحهم الاستقرار بسبب هذا القول ، وما أكثر الذين ماتوا من العجز في ذلك المنزل .
ـ أما الطيور الأخرى التي اندفعت إلى المسير ، فبفعل ما سيطر عليها من تحير
ـ قضت سنوات متنقلة بين مرتفع ومنخفض ، كما قضت عمراً مديداً في الطريق .
ـ ولكن كيف أستطيع شرح وتفسير كل ما وقع لهم في المسير ؟
ـ إن تسلك الطريق ذات يوم ، فستلاحظ عقباته واحدة واحدة
ـ وستعلم ما فعلته الطيور ، وسيتضح لك كيف تحملت الآلام والهموم
ـ وفي النهاية تمكن نفر قليل من بين ذلك الحشد ، سلوك الطريق إلى الحضرة .
ـ لقد وصل نفر قليل من كل أولئك الطير ، فهناك يصل واحد من بين كل عدة آلاف
ـ فقد غرق البعض في البحر ، كما أصيب البعض بالفناء
ـ وأسلم البعض أرواحهم عطشى على قمم الجبال من شدة الحرارة والألم

– وأصيب البعض من وهج الشمس باحتراق الأجنحة وشواء الأرواح
– كما أصيب آخرون بالذلة والمهانة ، مما تواجد بالطريق من أسود ونمور
– ووقف البعض خائباً خائفاً ، بين مخالب كل مفترس
– ومات البعض من التعب ، في صحراء صادية الشفة
– وقتل البعض أنفسهم كالفراشات ، وذلك من أجل تعلقهم بالحبوب
– وأصاب البعض الألم وكذا الوهن ، مما دهمهم بالتخلف والهجران
– وتوقف البعض أمام عجائب الطريق ، ولزم كل منهم موقعه
– وأسلم البعض أجسادهم للطرب ، وكفوا بعد ذلك عن الطلب
– وأخيراً لم يتقدم إلى هناك إلا نفر قليل من بين مئات الألوف
– وذلك الجمع الغفير من الطير ، لم يصل منه إلا ثلاثون طائراً
– وصل الثلاثون وقد عدموا الأجنحة والريش ، وألم بهم التعب والوهن ، وصلوا محطمي القلوب ، فاقدي الأرواح ، سقيمي الأجساد
– فرأوا الحضرة دون وصف أو صفة ، لقد رأوها تسمو على الإدراك والعقل والمعرفة .
– وما أن أضاء برق الاستغناء ، حتى أحرق مائة عالم في لحظة واحدة .
– فرأى الجميع عدداً وفيراً من الشموس المعتبرة ، كما رأوا عدداً كبيراً من الأقمار والنجوم الزاهرة .
– وهكذا وقع الجميع في الحيرة ، وظلوا كذرة مضطربة حائرة .
– وقال الجميع : إن كانت الشمس تبدو كذرة فانية أمام ذلك السلطان الأعظم .
– فكيف نبدو نحن في هذه الأعتاب ، فيا للحسرة على ما تحملناه من آلام بالطريق .
– ولكننا لم نقطع الأمل بعد من بلوغ الهدف المنشود .

ـ فإذا كانت مئات العوالم مجرد ذرة من تراب هناك ، فأي خوف إن وُجدنا ، أو أصابنا العدم ؟
ـ عندما جاءت تلك الطيور منهوكة القوى ، جاءت كطائر نصف ذبيح
ـ وقد أصابها الفناء والمحو ، وظل يحيط بهم حتى ذلك الوقت .
ـ وأخيراً جاء حاجب العزة ، من الأعتاب العلية فجأة .
ـ فرأى أمامه ثلاثين طائراً غاية في العجز ، وقد وهنت أجسادها وأرواحها .
ـ وتملكتها الحيرة من أولها إلى آخرها ، ووقفت خائرة القوى شديدة الوهن .
ـ قال : ثوبوا إلى رشدكم ، فمن أي مدينة أقبلتم ؟ ومن أجل أي شيء إلى هذه الأعتاب جئتم ؟
ـ وما أسماؤكم أيها الجهلة ؟ وأين تكمن راحتكم ؟
ـ وبم يصفكم الإنسان في الدنيا ؟ وأي فعل يمكن أن يتأتى من حفنة من العجزة ؟
ـ قال الجميع : جئنا إلى هذا المكان ، ليكون السيمرغ لنا السلطان
ـ إننا جميعاً حيارى في هذه الديار ، وقد أصبحنا عاشقين لا يقر لنا قرار
ـ لقد انقضت مدة مديدة حتى جئنا من هذا الطريق ، ووصلنا إلى الأعتاب ثلاثين بعد أن كنا ألوفاً .
ـ جئنا من طريق بعيد ، جئنا يحدونا الأمل في أن نحظى بالحضور في هذه الحضرة
ـ فمتى يرضى السلطان عما كابدناه من تعب ، وحتى يرعانا في النهاية بالعطف والحدب ؟
ـ قال حاجب الحضرة : أيها العجزة ، يا من تلوثتم بدماء القلب كالوردة
ـ إن تكونوا أو لا تكونوا في العالم ، فهو السلطان المطلق الدائم .

— ومائة ألف عالم مليئة بالجند والحشم ، ليست إلا نملة على باب هذا السلطان الأعظم .
— ولن يتأتى منكم في النهاية إلا الألم والزحير ، فعودوا أدراجكم أيها الجمع الحقير .
— يئس كل واحد من هذا القول ، وأصبحوا بلا حراك كالموتى المحنطين .
٥٠ — قال الجميع : كيف ينعم هذا السلطان المعظم علينا بالذل آخر الأمر ؟
— فلم يحظ أحد بعد بالذل منه مطلقاً ، ولو حدث لنا هذا ، فليس الذل منه سوى عز وسؤدد !

• • •

رفتن مرغان بسوی سیمرغ ورسیدن سی مرغ بدان درگـــاه

جان آن مرغان ز تشویر وحیـــــا
شد فنای محض وتن شـــد توتیـــا
چون شد ند از کل کل پاك آنهمه
یا فتند از نـــور حضرت جان همه
باز از سر بنده٭ نوجـــان شدنـــد
باز از نوعی دگر حیران شدنـــد

کرده وناکردهٔ دیرینه شان
پاك گشت ومحو شد از سینه شان
آفتاب قربت از پیشان بتافت
جمله را از پرتو آن جان بتافت
هم ز عکس روی سی مرغ جهان
چهرهٔ سیمرغ دیدند آن زمان
چون نگه کردند این سی مرغ زود
بیشك این سی مرغ آن سیمرغ بود
در تحیر جمله سر گردان شدند
می ندانستند این یا آن شدند
خویش را دیدند سیمرغ تمام
بود خود سیمرغ سی مرغ تمام
چون سوی سیمرغ کردندی نگاه
بود خود سی مرغ در آنجایگاه
ور بسوی خویش کردندی نظر
بود این سیمرغ ایشان آن دگر
ور نظر در هر دو کردندی بهم
هر دو یك سیمرغ بودی بیش وکم
بود این یك آن وآن یك بود این
در همه عالم کسی نشنود این

آنهمه غــرق تحیــر ماندنــد
بی تفکر در تفکــر ماندنــد
چون ند انستند هیچ از هیچ حال
بی زبان کردند از آن حضرت سؤال
کشف این سر قوی در خواستنـد
حل مائی وتوی در خو استنـد
بی زبان آمد از آنحضرت جـواب
کآئینه است انحضرت چون آفتاب
هر که آید خویشتن بینــد درو
جان وتن هم جان وتن بینــد درو
چون شما سی مرغ اینجا آمدیــد
سی درین آئینه پیدا آمدیـــد
گرچل وپنجاه وشصت آیید باز
پرده جز از خویش نگشایید باز
گرچه بسیاری بسر گردیده اید
خویش می بینید وخودرا دیده اید
هیچکس را دیــده برما کی رسد
چشم موری بر ثریا کی رســد
دیده موری که سندان بر گرفت
پشهٔ فیل بدندان بر گرفـــت

هر چه دانستید ودیدید آن نبــود
وانچه گفتید وشنیدیــد آن نبود
اینهمه وادی که از پس کرده اید
واینهمه مردی که هر کس کرده اید
جمله در افعــال ما میرفته ایــــد
وادی ذات وصفت را رفتــه اید
چون شما سی مرغ حیران مانده اید
بیدل وبی صبر وبیجان مانده ایــد
ما بسی مرغی بسی اولیتریــــم
زانکه سیمرغ حقیقــت گوهریم
محو ما گردید در صد عزونــــاز
تابما در خویش را یابید بــاز
محو او گشتند آخــر بر دوام
سایه در خورشید گم شد والسلام
تا که میرفتند می گفتم سخن
چون رسید ندش نه سرماند ونه بُن
لا جرم اینجا سخن کوتاه شــــد
رهرو ورهبر نمانــد وراه شــد

ذهاب الطير صوب السيمرغ ، ومثول الثلاثين طائراً إلى تلك الأعتاب

– فنت أرواح تلك الطيور فناءً محضاً ، وذلك حياءً وخجلاً ، كما أصبحت أجسادهم في زرقة التوتيا .

– وما أن تطهرت جميعها من كل الكل ، حتى وجدوا أرواحهم جميعاً من نور الحضرة .

– وهنا عادوا عبيداً للروح الجديدة ، كما تملكتهم حيرة من نوع جديد .

– وانمحى من صدورهم كل ما صنعوه ، وما لم يصنعوه .

– وأضاءت من جباهم شمس القربة ، فأضاءت أرواح الجميع من هذا الشعاع .

– وعندما نظر الثلاثون طائراً على عجل ، رأوا أن السيمرغ هو الثلاثون طائراً .

– فوقعوا جميعاً في الحيرة والاضطراب ، ولم يعرفوا هذا من ذاك .

– حيث رأوا أنفسهم السيمرغ بالتمام ، ورأوا السيمرغ هو الثلاثين طائراً بالتمام .

– فكلما نظروا صوب السيمرغ كان هو نفسه الثلاثين طائراً في ذلك المكان .

– وكلما نظروا إلى أنفسهم ، كان الثلاثون طائراً هم ذلك الشيء الآخر .

– فإذا نظروا إلى كلا الطرفين ، كان كل منهما السيمرغ بلا زيادة أو نقصان .

– فهذا هو ذاك ، وذاك هو هذا ، وما سمع أحد قط في العالم بمثل هذا .

– وأخيراً غرقوا جميعاً في الحيرة ، وانخرطوا في التفكير بلا عقل أو بصيرة .

– ولما لم يدركوا شيئاً من هذه الحال ، سألوا صاحب الحضرة بلا حرف هذا السؤال .

– ما حقيقة هذا السر القوي ؟ وماذا تعني الأنية والأنتية ؟

– جاءهم الخطاب بلا لفظ قائلاً : إن صاحب الحضرة مرآة ساطعة كالشمس .

– وكل من يقبل عليه يرى نفسه فيه ، ومن يقبل بالروح أو الجسد ، يرى الجسد أو الروح فيه .

– ولأنكم وصلتم هنا ثلاثين طائراً ، فقد بدوتم في هذه المرآة ثلاثين طائراً .

– وإذا حضر أربعون أو خمسون طائراً ، فلن يرفعوا الحجب إلا عن أنفسهم .

– وإن تردوا إلى هنا أكثر عدداً ، فسترون أنفسكم ، وقد رأيتموها .

– وليس لأي انسان أن تدركنا عينه ، وكيف تدرك عين النملة نور الثريا ؟

– وهل رأيت نملة حملت سنداناً ؟ أو رأيت بعوضة حملت بين فكيها فيلاً ؟

– كل ما أدركته ، وما رأيته أنت ، ليس هو ذلك الشيء ، وما قلته وما سمعته أنت ، ليس هو ذلك الشيء .

– وتلك الأودية التي سلكتموها ، وتلك الشهامة التي أبديتموها .

– قد تمت كلها من أجلنا ، وهكذا عبرتم وادي الذات والصفة .

– ولما أصبحتم ثلاثين طائراً حائراً ، بقيتم بلا قلوب ، عديمي الصبر ، فاقدي الأرواح .

– ونحن الثلاثين طائراً السابقون ، فلذا نحن الجوهر الحقيقي للسيمرغ .

– فامحوا أنفسكم فينا بكل ارتياح وسعادة ، حتى تجدوا أنفسكم فينا .

٣٠ ـ وهكذا انمحوا فيه على الدوام ، كما ينمحي الظل في الشمس والسلام .
ـ كنت أتكلم ما داموا في سلوك ومسير ، وما أن وصلوا ، لم يعد للقول بداية أو نهاية .
ـ لذا لا جرم أن نضب معين الكلام هنا ، حيث لحق الفناء بكل من السالك والمرشد والطريق .

• • •

دیــوان شمس تبریزی

مولانا جلال الدین الرومی

صاحب هذا الديوان من أعظم شعراء الفارسية ، إن لم يكن أعظمهم وهو جلال الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن حسين الخطيبي المعروف باسم مولوي أو ملا الروم ، والمعروف اسمه على سبيل الاختصار بجلال الدين الرومي ، وعلى الرغم من أنه إيراني المولد فارسي اللسان فقد نسب إلى بلاد الروم (آسيا الصغرى — تركيا الحالية) وذلك لأنه أقام معظم سني حياته في بلاد الروم ، وأسس فرقة صوفية عرفت بالمولوية ، وظلت تواصل رسومها وتقاليدها في الزي والعبادة حتى بداية القرن العشرين عندما ألغت الحكومة التركية نظام التكايا ، ولكن رقصاتهم الشهيرة تعتبر من الفولكولور الشعبي التركي الذي تحرص تركيا الحديثة على الحفاظ عليه ، وتقديم نماذج منه في المناسبات الوطنية والاحتفالات العامة .

وجلال الدين ولد في بلخ عام ٦٠٤ هـ (١) . وكان والده المعروف باسم بهاء ولد من المقربين إلى السلطان محمد خوارزشاه ، وكان يعمل بالإرشاد والوعظ وإلقاء الدروس على التلاميذ في الشريعة والحديث والتفسير ، ولم تمض فترة طويلة بعد ولادة جلال الدين حتى حدثت جفوة بين بهاء ولد والد جلال الدين وبين السلطان الخوارزمي ، فآثر والده التوجه إلى مكة لأداء فريضة

---

(١) براون : الترجمة العربية ص : ٦٥٤ ، محمد محمدي : ص ٢٦١ .

الحج والابتعاد عن العاصمة بلخ حتى تستقر الأمور ، ويزول أثر الجفوة بينه وبين السلطان ، فخرج الوالد ومعه أسرته ومن بينها ابنه جلال الدين محمد ، ووصلوا إلى نيسابور ، وهناك التقت الأسرة بالشيخ فريد الدين العطار الذي أحسن استقبالهم وأهدى نسخه من أحد كتبه إلى الطفل جلال الدين وبشرهم بأنه سيكون له شأنه في الطريقة ، وقد اختلف الرواة في اسم الكتاب الذي أهداه له فريد الدين العطار فمن قائل بأنه نسخة من (أسرار نامه) [1] ، ومن قائل بأنه نسخة من كتابه (الهى نامه) [2] ، المهم أن هذا اللقاء تم بين الطفل جلال الدين والشيخ فريد الدين في عام ٦١٠ هـ [3] .

بعد ذلك توجهت الأسرة إلى بغداد ومنها إلى مكة وأدوا فريضة الحج ، ونظراً لاضطراب الأحوال السياسية في خوارزم . وتعرض المنطقة لهجمات المغول آثر بهاء ولد البقاء فترة في الشام حتى تهدأ الأحوال ويعود إلى موطنه الأصلي . ولكن السلطان علاء الدين كيقباد [4] أحد سلاطين السلاجقة في آسيا الصغرى دعاه إلى قونية ليقوم بالوعظ والإرشاد وإلقاء الدروس الدينية ، فتوجه إلى قونية واشتغل بمجالس الدرس حتى توفي عام ٦٢٨ هـ .

كان جلال الدين أثناء الفترة السابقة يحضر دروس والده ، فكان هذا الوالد هو المعلم الأول له ، وقد استطاع أن يكون ملماً بكثير من علم والده والعلوم المتداولة في ذلك الوقت حتى أن السلطان أمر بأن يتولى جلال الدين منصب والده بعد وفاته ، وأن يقوم هو بالإرشاد والوعظ . فتولى جلال الدين منصب الواعظ والمرشد وله من العمر أربعة وعشرون عاماً ، ولكنه لم يكن يكتفي بما حصل من علوم حيث كان يطلب المزيد دائماً ، فتعرف على الشيخ

(١) فرهنك أدبيات فارسى درى ، ص : ٤٩١ ، ومحمد محمدي ص : ٢٦٣ .
(٢) براون : الترجمة العربية ، ص : ٦٤٣ .
(٣) فرهنك أدبيات .. ص : ٤٩١ .
(٤) گلهاى جاويدان ، ص : ٩٩ .

برهان الدين محقق الترمذي [1] ، وكان يحضر درسه ويفيد من علمه ، وينقل عنه بعض أفكاره في الدروس التي يقوم هو بتدريسها .

ويذكر البعض بأنه لم يكتف بذلك ، بل سافر إلى حلب ودمشق لكي يلتقي بالعلماء هناك ويستزيد من علمهم ، وبخاصة أن معظم علماء المسلمين في شرقي العالم الإسلامي كانوا قد هاجروا إلى الشام خوفاً من حملات المغول . فكانت الشام مكاناً خصباً للعلوم والمعارف ، فأفاد جلال الدين علماً عظيماً بذهابه اليها ويقول البعض بأن إقامته في الشام استمرت من أربعة أعوام إلى سبعة [2] . عاد بعدها إلى قونية ليواصل عمله بالتدريس والوعظ والإرشاد .

ظل الحال كذلك إلى أن حدثت حادثة كبرى في حياة جلال الدين أحدثت في حياته تغييراً جذرياً ، وجعلته يهجر مهنة الوعظ والإرشاد ، هذه الحادثة الكبرى حدثت عام ٦٤٢ هـ وتمثلت في تعرفه بشيخ اسمه « شمس تبريز » الذي يشبهه البعض بسقراط في قوة تأثيره على مستمعيه ومريديه[3] ، فتأثر جلال الدين بهذه الشخصية الغريبة وأصبح من خالص أتباعه ومريديه ، فكان هذا اللقاء نقطة تحول في حياة جلال الدين الروحية ، حيث انقلب من عالم فقيه له مكانته ويعتد بعلمه ومعرفته في مجال الشريعة الظاهرة ، إلى متصوف غارق في روحانية الحب الإلهي ، ويعبر عن هذه الأحاسيس في أشعار صوفية كلها حرارة وتتسم بصدق الألم والمعاناة في سلوك الطريق ، دون النظر إلى موقف العامة منه وكذلك تلاميذه ، وما وجهوه له من انتقادات ولوم .

ظل الحال كذلك إلى أن قتل شمس تبريز هذا في عام ٦٤٤ هـ [4] ، ويقال إن القتلة كانوا من تلاميذ جلال الدين الرومي ، وأنهم أقدموا على

---

(١) فرهنك أدبيات .. ص : ٤٩١ .
(٢) محمد محمدي ... ص : ٢٦٤ .
(٣) براون ... الترجمة العربية ، ص : ٦٥٧ .
(٤) براون ؛ الترجمة العربية ، ص : ٦٥٧ .

ذلك حتى يخلصوا أستاذهم من قوة تأثير هذا الشيخ وسحره . ومع هذا فلم يرجع جلال الدين إلى سابق عمله في الوعظ والإرشاد ، وظل إلى آخر حياته حبيساً لذلك التأثير الذي أحدثه فيه شمس تبريز على الرغم من أن المدة التي التقيا فيها لم تزد عن الخمسة عشر شهراً .

ولا شك أن هذا التحول هو الذي أوجد لنا الشاعر الكبير والمفكر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي ، وهو الذي خلد اسمه بين أعلام الأدب وأرباب الفكر في العالم أجمع ؛ وشجعه على كتابة وتأليف ما خلف لنا من كتب وأشعار ، وجعله يواصل المسير في الطريق الصوفي حتى توفي عام ٦٧٢ هـ[١] .

وهذه الكتب التي ألفها جلال الدين الرومي بعضها نثري ، والبعض الآخر شعري ، ومن كتبه النثرية كتاب فيه ما فيه ، وكتاب المكاتيب، وكتاب المجالس السبعة ، أما كتبه الشعرية ، فأكثر أهمية ، وأكثر شهرة وانتشاراً ، وهذا الإنتاج الشعري تمثل في مؤلفين عظيمين هما :

أ – المثنوي المعنوي .

ب – ديوان شمس تبريزي .

• • •

المثنـوى[٢] :

يضم المثنوي أكثر من ستة وعشرين ألف بيت من الشعر ، وقد جعله جلال الدين الرومي في ستة كتب ، وجعل مقدمته باللغة العربية ، ويعتبره المهتمون بالتصوف الإسلامي من أعظم الكتب التي ألفت في التصوف الإسلامي عامة والتصوف الفارسي خاصة ، حتى أن الفرس قد تعارفوا على تسميته

---

(١) فرهنك أدبيات فارس درى ؛ ص : ٤٩١ .

(٢) قام أستاذنا المرحوم الدكتور محمد كفافي بترجمة بعض أجزاء المثنوي إلى اللغة العربية .

باسم « القرآن البهلوي » أي القرآن الفارسي [1] . ولنترك الحديث وعن المثنوي الآن إلى فرصة أخرى ونتحدث بعض الشيء عن كتابه الشعري الثاني ديوان شمس تبريزي ، وبخاصة أن النماذج التي سنقدمها ستكون من هذا الديوان .

• • •

ديوان شمس تبريزي :

كان من المفروض أن يعرف هذا الديوان باسم « ديوان جلال الدين » أو « ديوان المولوي » أو « ديوان مولانا » ولكنه عرف باسم « ديوان شمس تبريزي » وذلك لعدة أسباب منها :

١ ــ أنشد جلال الدين ما به من غزليات ورباعيات تخليداً لذكرى مرشده الروحي شمس تبريز ، وبخاصة أن هذا الشيخ هو الذي فجر القدرة على النظم لديه

٢ ــ تخلص جلال الدين في معظم غزلياته باسم شمس إحياءً لذكرى هذا الشيخ الذي اختفى بسرعة من على مسرح الأحداث .

٣ ــ لم يكتف جلال الدين بذكر اسم شمس في التخلص ولكنه أورده كذلك في متن كثير من الغزليات .

٤ ــ لم يشأ الشاعر أن يتخذ من اسمه (جلال الدين) تخلصاً شعرياً في معظم غزليات هذا الديوان ، احتراماً لشيخه هذا واعترافاً منه بأن كل ما يقوله ويعبر عنه ، إنما بفضل روح شمس تبريزي وتشجيعها له على النظم والإبداع لذا فهو يسند ما يقوله إلى تلك القوة الخفية الحقيقية وراء هذا الإبداع الفكري .

وديوان شمس تبريزي هذا أو (كليات شمس تبريزي) تضم ثلاثة وأربعين ألف بيت من الغزليات ، وتضم سبعا وثلاثين وتسعمائة وألف

(١) براون ... الترجمة العربية ، ص ٦٥٩ .

رباعية ، وان كان البعض يشكون في صحة نسب كل هـــذه الرباعيات لجلال الدين ، إذ أن بعضها منسوب إلى غيره من الشعراء كذلك [1] .

ويقول براون بخصوص هذا الديوان :

وأهل المشرق لا يقرءون ديوان جلال الدين الرومي أو يدرسونه كثيراً كما يفعلون بالمثنوي ، ولكن بعض المستشرقين الأوربيين يجعلون الديوان أعلا مرتبة من المثنوي من ناحية صياغته الشعرية ومعانيه المبتكرة . وقد كان هذا الرأي رأي جماعة من أكبر الأدباء الذين عاصروا جلال الدين نفسه ، ويدخل في عدادهم الشاعر الكبير سعدي الشيرازي . . .

ويتضمن هذا الديوان أشعار جلال الدين الغنائية أو الغزلية ، ويذكر دولتشاه أن جلال الدين أنشأها في فترة غياب شمس تبريز في مدينة دمشق ، بينما يقول رضا قلي خان إن جلال الدين كتبها رثاء له بعد مقتله ، ويرى نيكلسون أن جزءاً من هذا الديوان كتب في حياة شمس تبريز ، ولكن أكثره تم بعد موته ، وإلى هذا الرأي الأخير يميل المستشرق الإنجليزي براون [3] .

ومما تتميز به أشعار جلال الدين وبخاصة الغزليات أنها كانت نابعة من فكره ووجدانه ، ولم يكن كبقية الشعراء ينظم إرضاءً لهذا أو ذاك ، بل كان ينظم ما يحسه ويشعر به ، لذا فإنه لم يكن حريصاً كل الحرص على أصول النظم من بحور وأوزان وقواف بقدر حرصه على أن يبث ما في قلبه من حرارة وإحساس في كل كلمة يقولها وفي كل غزلية أو رباعية ينظمها ، لذا فإننا نجد الديوان — ومثله في ذلك مثل المثنوي — لا يخلو أحياناً من تصحيف وتحريف وعدم التزام شديد بالوزن والقافية ، وعدم عناية بالمحسنات اللفظية أو المعنوية ، إذ أن جلال الدين لم يُعنَ في شعره مطلقاً بحسن ترتيب الألفاظ ، واعتبر ذلك

(١) محمد محمدي ... ص : ٢٧٢ .

(٢) براون .. الترجمة العربية ، ص : ٦٦٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٥٩ .

أمراً ثانوياً ، وإنما هدفه الحقيقي قوة التأثير في أرواح قارئيه وسامعيه ، لكي يقبلوا على أفكاره ، يؤمنون بها ويعملون بمقتضاها .

ولا شك أن جلال الدين الرومي كان موفقا غاية التوفيق في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه ، حتى عده جميع المؤرخين قديماً وحديثاً زعيماً لمدرسة الشعر الصوفي الإيراني ، وجعلوه يتفوق على مواطنيه السابقين عليه تاريخاً وهما سنائى [1] والعطار ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد كان تواضعه دافعاً له لأن يقول :

عطار روح بود وسنائى دو چشم او
ما از پى سنائى وعطـار آمديم [2]

• • •

(١) من كبار شعراء التصوف الفارسي في القرن الخامس الهجري ، بدأ حياته بالمدح والهزل ، ثم اتجه نحو التصوف والعرفان بعد ذلك ، وخلف إلى جانب ديوانه الشعري ؛ مجموعة من المنظمات أهمها حديقة الحقيقة .

(٢) وترجمته : كان العطار روحاً ، وسنائي عيناه ، أما نحن فقد جئنا بعد سنائي والعطار .

نماذج من ديوان « شمس تبريزى » :

(١) مردخـــدا

مرد خدا مست بوَد بى شـــراب
مرد خـــدا سيربـــود بى كباب
مرد خدا واله وحيـــران بـــود
مرد خدا را نبود خورد وخـــواب
مرد خدا شاه بـــود زير دلـــــق
مرد خدا گنج بـــود در خراب
مرد خدا نيست زبـــاد وز خـــاك
مرد خدا نيست ز نار وز آب
مرد خدا بحر بـــود بى كـــران
مرد خدا بارد دُر بـــى سحاب
مرد خد دارد صد ماه وچـــرخ
مرد خدا دارد صـــد آفتـــاب
مرد خدا عالم از حـــق بـــوَد
مرد خدا نيست فقيه از كتـــاب
مرد خدا زآن سوى كفرست ودين
مرد خدا را چه خطا وصـــواب

الترجمة :

(١) العــارف

- العارف ثمل بلا شراب ، العارف شبع بلا شواء
- العارف واله وحيران ، العارف ليس به حاجة إلى طعام أو سبات
- العارف سلطان وإن لبس الدلق ، العارف كنز وإن قطن الخرابات
- العارف ليس من ريح وتراب ، العارف ليس من نار وماء
- العارف بحر بلا شطآن ، العارف يمطر دراً بلا سحاب
- العارف يملك مئات الأفلاك والأقمار ، العارف يملك مئات الشموس
- العارف عالم بعلم رباني ، العارف ليس فقيهاً عن طريق الكتاب
- العارف سواء لديه الكفر والدين العارف لا فرق عنده بين الخطأ والصواب

• • •

٢ ـ چــه تدبير ؟

چه تدبير ای مسلما نان که من خود را نمی دانم
نه ترسا نه یهودم من نه گبرم نــه مسلمانــم

نه شرقیم نــه غربیم نــه بریم نــه بحریم
نه از کان طبیعیم نــه از افلاك گردانــم

نه از خاکم نه از آبم نه از بادم نــه از آتــش
نه از عرشم نه از فرشم نه از کونم نه از کانم

نه از هندم نه از چینم نه از بلغـار وسقـينـم
نه از ملك عراقينم نـه از خاك خراسانم
نه از دنيي نه از عقبى نه از جنت نه از دوزخ
نه از آدم نه از حوا نه از فردوس ورضوانـم
مكان لا مكان باشد نشانم بى نشـان باشد
نه تن باشد نه جان باشد كه من از جان جانانـم

الترجمة :

٢ — مـا التدبير

— ما التدبير أيها المسلمون ، فأنا نفسي لا أعرف
إنني لست مسيحياً ولا يهودياً ، ولست مجوسياً ولا مسلماً
— كما أنني لست شرقياً ولا غربياً ، ولست برياً ولا بحرياً
ولست من منجم أرضي ، ولست من الأفلاك السيارة
— كما أنني لست من تراب ولا من ماء ، ولست من رياح ولا من نار
ولست من العرش ، ولا من الفرش ، ولست من الكون ولا من المكان
— كما أنني لست من الهند ولا من الصين ، ولست من البلغار ولا من السكسون
ولست من مملكة العراق ، ولا من أرض خراسان
— كما أنني لست من أهل الدنيا ولا العقبى ، ولست من أهل الجنة ولا النار
ولست من نسل آدم ولا حواء ، ولست من الفردوس أو جنة الرضوان
— فمكاني حيث لا مكان ، وبرهاني حيث لا برهان
ولست من الجسد ، ولست من الروح ، وإنما أنا من روح الروح !!

• • •

۳ ــ خبری از یار ما

ای نو بهار عاشقان داری خبر از یار ما
ای از تو آبستن چمن ، وای از تو خندان باغها

ای باد نای خوش نفس عشاق را فریاد رس
ای پاك تر از جان آخر کجا بودی کجا

ای فتنهٔ روم وحبش حیران شدم کین بوی خوش
پیراهن یوسف بدش یا خود ردای مصطفی

ای قیل وای قال تو خوش وی جمله اشکال تو خوش
ماه تو خوش ، سال تو خوش ، ای سال ومه چاکر ترا

روی تو خوش ، بوی تو خوش ، زلف تو خوش ، موی تو خوش
لعل تو خوش ، خوی تو خوش ، خوش گشته از تو حال ما

تو سر بسر جانی مگر یا خضر دورانی مگر
یا آب حیوانی مگر ، کز تست آن نشو ونما

صد سوسن وصد یاسمین از گلستان جان بین
چون نرجس حوران عین عازم شده سوی خطا

آفاق را آراسته عشاق را پیراسته
صد مهر وماه از روی او هر لحظه میابد ضیا

الترجمة :

٣ – خبر عن حبيبنا !

– يا ربيع العاشقين ، ألديك أي خبر عن حبيبنا ؟
يا من حملت منك الخمائل ، وضحكت بفضلك الحدائق
– يا ريح الناي الجميل الألحان ، لتسعف العشاق
ويا من أطهر من الروح ، في النهاية أين أنت ، أين ؟
– كم تملكتني الحيرة يا فتنة الروم والأحباش ، فرائحتك العطرة هذه
كانت كرائحة قميص يوسف ، أم أنها رائحة رداء المصطفى ؟
– يا من حلو كل ما تقوله ، ويا من عذب كل ما تثيره من مشاكل
فشهرك حلو ، وعامك حلو ، يا من أصبح الشهر والسنة تابعين لك !
– وجهك حلو ، رائحتك حلوة ، ذؤابتك حلوة ، شعرك حلو
شفتك حلوة . طبعك حلو ، وبفضلك صار حالنا حلواً
– فهل أنت كلك روح . أم أنك خضر الزمان ؟
أم أنت ماء الحياة ؟ فمنك كل ما في الوجود من نشوء ونماء !
– انظر ! فإن مائة سوسنة ومائة ياسمينة من بستان الروح
قد عزمت مثلها مثل النرجس الحور العين على التوجه صوب بلاد الخطا
– لقد جـَمـَّل الأفاق . وزين العشاق
ففي كل لحظة تحظى مائة شمس ومائة قمر من وجهه بالضياء والإشراق !

• • •

٤ – نماذج من الرباعيات في ديوان شمس تبريزي :

يا ران يا ران ! زهم جدائى مكنيد
در سر هوس گريز پائى مكنيد
چون جمله يكيد ، دوهوائى مكنيد
فرمود وفا ، كه بيوفائى مكنيد

الترجمة :

أيها الأحبة ، أيها الأحبة ! لا تجنحوا إلى الفراق
ولا تولوا الأدبار امتثالاً للهوى والعجب
إن كنتم على وفاق واتحاد ، فلا تكونوا متفرقي الأهواء
لقد أمرنا بالوفاء ، فلا تكونوا عديمي الوفاء

• • •

اندر دل بيوفا غم وما تم باد
آنرا كه وفا نيست ز عالم كم باد
ديدى كه مرا هيچ كسى ياد نكرد
جز غم ! كه هزار آفرين بر غم باد

الترجمة :

ليغص بالهموم والأحزان قلب عديم الوفاء
ولتجتث يا إلهي من العالم عديم الوفاء
أما رأيت أنه لم يتذكرني أحد قط
غير الهموم والأحزان ، فألف حمد وشكر للهموم والأحزان !

• • •

سوز دل عاشقان شررها دارد
درد دل بيدلان اثرها دارد
نشنيدستى كه آه دلسوختگان
بر حضرت رحمتش گذرها دارد

الترجمة :

حرقة قلوب العشاق تنتج شرراً
وآلام قلوب الواهين تنتج أثراً
ألم تسمع بأن آهه المكلومين
تجد لها صوب حضرة رحمته طريقاً ومعبراً ؟ !

• • •

گفتم چشمم : گفت : براهش میدار
گفتم جگرم : گفت : پر آهش میدار
گفتم که دلم : گفت ، چه ، داری در دل ؟
گفتم غم تو ، گفت : نگاهش میدار

الترجمة :

قلت : عيني ! ، قال : اجعلها على طريقه دائماً
قلت : كبدي ! ، قال : املأها بالآهة من أجله دائماً
قلت : قلبي ! قال : ماذا بقلبك ؟
قلت : الغم من أجلك ، قال : حافظ عليه دائماً

• • •

گفتم چشمم ، گفت : که جیحون کنمش
گفتم که دلم . گفت : که پرخون کنمش
گفتم که تنم ، گفت : در این روزی چند
رسوا کنم وز شهر بیرون کنمش

الترجمة :

قلت : عيني ! ، قال : إنني أحيلها جيحون [1] !
قلت : قلبي ! قال : إنني أخضبه بالدمـــاء
قلت : جسدي ! قال : كم ألحقت به الذلة
في هذه الأيام ، وحملته ليلقى خارج المدينة ! [2]

• • •

(١) أي مليئة بالدمع الغزير كنهر جيحون الذي لا يجف مطلقاً ، وهو أحد أنهار بلاد ما وراء النهر .
(٢) كناية عن الذهاب به نحو القبر .

غزليات حافظ الشيرازى

غزليات حافظ الشيرازي [1]

يجمع كل ممن أرخوا للأدب الفارسي على أن غزليات حافظ الشيرازي أعظم ما نُظم في الأدب الفارسي من غزليات ، فلم يسبقه أحد من الشعراء في نظم غزليات استحوذت على اهتمام العامة والخاصة مثلما فعلت غزلياته ، كما لم يأت بعده من تفوق عليه في هذا المجال ، ومكانة حافظ في هذا المضمار جعلته يحرز شهرة واسعة داخل إيران وخارجها ، حتى إن «جوته» الشاعر الألماني الشهير إعتبر حافظاً أحد الأعمدة الأربعة التي قام عليها صرح الآداب العالمية كلها [2] . ولا شك أن شهرة حافظ ارتبطت بما نظمه في ذلك الفن المعروف باسم « الغزل » دون غيره من الفنون الأخرى التي نظم فيها كالمثنوى والقصيدة . ولكن قبل أن نواصل الحديث عن حافظ وشعره ، ما المقصود بالفن الشعري المعروف باسم « الغزل » .

فــن الغــزل :

كان الحديث في الغزل يأتي كمقدمة لمعظم القصائد ، حيث كان الشاعر يلجأ إلى هذا الفن ليستميل إليه فكر المستمعين والقارئين ، فإذا ما ضمن

---

(١) قام أستاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي بترجمة هذه الغزليات تحت عنوان : « أغاني شيراز » ونشرها بالقاهرة عامي ١٩٤٣ ، ١٩٤٧ م.

(٢) فارس وتاريخ أدبيات ، ص : ٩٠ .

إصغاءهم وانتباههم ، دخل في الغرض الأساسي الذي من أجله ينظم القصيدة ، سواء أكان هذا الغرض مدحاً أو وصفاً أو فخراً ، ثم بدأ عدد من الشعراء الفرس في القرن الخامس ينظمون قصائد الغرض منها الغزل وحده ، ونتيجة لاهتمام عدد كبير من الشعراء بهذا الضرب الجديد ، أصبحت له قواعد تفرقه عن بقية الفنون الأخرى من الشعر .

ومن أهم سمات فن الغزل في الأدب الفارسي :

١ — يجب أن يكون الموضوع الذي يتناوله الشاعر في غزلياته الغزل العفيف البريء ، أو الغزل العرفاني الصوفي .

٢ — أن تكون الوحدة الفنية — من أول بيت فيها إلى آخر بيت — خالصة لمعالجة موضوعات الغزل ، وألا يكون الحديث في الغزل مجرد مقدمة لغرض آخر .

٣ — أن تكون أبيات الغزلية ما بين سبعة أبيات وخمسة عشر بيتاً ، وقد أجاز بعض أدباء الفرس أن يكون عدد أبيات الغزلية من خمسة أبيات إلى خمسة عشر بيتاً .

٤ — أن يذكر الشاعر في البيت الأخير أو قبل الأخير تخلصه الشعري ، والمقصود بالتخلص ، اسم الشهرة أو اللقب الذي يود الشاعر أن يُعرف به بين الناس . وهذا التخلص يجعل إسناد كل غزلية إلى ناظمها امراً ميسوراً ، بعكس ما هو حاصل في التأكد من نسب الرباعيات أو المثنويات أو القصائد إلى ناظميها الحقيقيين .

٥ — يجب أن يكون الوزن الذي نظمت فيه الغزليات يصلح للمعاني العاطفية والعرفانية ، أي وزن تقرع موسيقاه الأسماع ، فتنجذب القلوب إلى سماعه وحفظه .

٦ — يجب أن تكون ألفاظ الغزلية متسمة بالرقة والسلاسة بعيدة عن

الايقاع العنيف الذي يصلح للملاحم والتعبير عن الحروب والدمار ، ورقة أسلوبها عامل مساعد على سهولة حفظها وتداولها بين الناس ، ولذا فإن معظم الغزليات تصلح للغناء ، ولهذا كان أستاذنا المرحوم الدكتور الشواربي موفقاً عندما ترجم غزليات حافظ باسم « أغاني شيراز [1] » .

• • •

حافظ الشيرازي :

هو شمس الدين محمد المعروف بخواجه حافظ الشيرازي ، ولد بمدينة شيراز عام ٧٢٦ هـ [2] ، كان والده يعمل بالتجارة ولكنه توفي وشمس الدين ما زال صغيراً ، مما دفع أمه لكي ترسله إلى بعض وجهاء المدينة وعلمائها لكي يتولوا الانفاق عليه وتعليمه ، ولكن شمس الدين ضاق ذرعاً بهم ، وهرب واشتغل صبي خباز ، فكان يعمل طوال الليل لكي يتمكن في الصباح من التوجه إلى بعض حلقات الدرس للاستماع والتحصيل ، فكان يحضر بعض الدروس في التفسير والحديث والشعر العربي والشعر الفارسي ، فشجعه هذا على النظم ، ولكنه واجه صعوبات وفشل في بداية الطريق ، مما جعله يخلد إلى العزلة والدرس والمران حتى أجاد النظم ، وهنا خرج إلى الناس يفاخر بشعره وقدرته على النظم ، ووصل تفاخره إلى درجة ادعائه أنه لا يوجد كلام يفوق نظمه سوى القرآن الكريم :

نديدم خو شتر از شعر تو حافـظ
بقرآنى كه تو در سينه دارى [3]

(لم أر شيئاً يفضل شعرك يا حافظ سوى القرآن الذي تحفظه في صدرك)

(١) أي أغاني شاعر شيراز حافظ حيث أن شيراز هي المدينة التي ولد وعاش فيها حافظ ونسب إليها فعرف باسم حافظ الشيرازي .

(٢) محمد محمدي ، ص : ٣١٤ .

(٣) نقلا عن گلهاى جاويدان ، ص : ١٤٥ .

وبمناسبة القرآن الذي حفظه ، نلاحظ أن شاعرنا كان يتخلص باسم (حافظ) وهذا يرجع إلى أنه حفظ القرآن عن آخره ، وأجاد القراءات الأربع عشرة ، ولهذا عرف بالحافظ ، واتخذ هذا الاسم تخلصاً شعرياً له عرف به بعد ذلك .

ويبدو أن أشعار حافظ راجت رواجاً كبيراً ، واستحسنها الناس ، وراقتهم تلك المعاني الجميلة التي احتوتها أبياته ، وتضمنتها عباراته ووجدها معجزة تقصر الألسنة عن آداء مثلها ، فأخذوا يلقبونه بلسان الغيب وترجمان الأسرار [1] . وما زال حافظ حتّى يومنا هذا أحب الشعراء لقلوب الإيرانيين ، وذلك بفضل أشعاره الغنائية التي أقبل عليها الإيرانيون إقبالاً لم تحظ به أشعار غيره [2] .

ويقال إن حافظاً إلى جانب تفوقه في مجال النظم والشعر ، فقد اشتغل كذلك بالتدريس فكان يتولى مهمة التعليم في إحدى المدارس في شيراز ، حيث كان التلاميذ يجتمعون حوله ليدرس لهم كشاف الزمخشري في التفسير ، ومصباح المطرزي في النحو ، وطوالع الأنوار في الحكمة والتوحيد ، ومفتاح العلوم في الأدب ، وأخيراً يسمعهم شيئاً من شعره ، فيحفظونه ويرددونه في المحافل ، وهكذا تسري أشعاره بين الناس .

ويبدو أن حافظا ظل يمارس مهنة التدريس — على الرغم من تبرمه بها بعض الوقت — إلى آخر أيام حياته ، وقد ودع الدنيا عام ٧٩١ هـ [3] ، ودفن في مسقط رأسه شيراز ، وما زال قبره حتّى اليوم مزاراً يحج إليه عشاق فنه ، وكل السائحين الذين يزورون شيراز ، وهذا القبر يوجد في (روضة المصلى)

---

(١) د . ابراهيم الشواربي : أغاني شيراز ط ص : ٣ .
(٢) فرهنك ادبيات فارسى درى : ١٧٥ .
(٣) فرهنك ادبيات فارس ، ص : ١٧٤ ، گلهاى جاويدان ، ص : ١٤٥ ، محمد محمدي ، ص : ٣١٥ .

التي كان حافظ يحبها ويميل إلى الجلوس فيها أثناء حياته [1] . وقد أدخل كريم خان الزندي الكثير من التحسينات على هذا القبر ووضع اللوحة الرخامية الجميلة الموضوعة على القبر ، فلما تولى الشاه رضا بهلوي العرش (١٩٢٦ — ١٩٤٤ م) أمر بتجميل المقبرة والمكان المحيط بها من جديد .

• • •

غزليات حافظ :

ديوان حافظ الشيرازي يشتمل على غزليات ، ومثنوى صغير باسم « ساقى نامه » ، ومجموعة من القصائد ، ولكن شهرة حافظ كشاعر مجيد في فن الغزل جعلت الكثيرين لا يعرفون أنه نظم في أي فن آخر كالمثنوي أو القصيدة ، وروعة أداء حافظ تبدو في نظمه للغزل فإلى جانب المعاني العاطفية والأحاسيس الوجدانية ضمّن الغزليات الكثير من آرائه الخاصة بالنيل من المتكبرين ، والاستهزاء بالمرائين والمخادعين .

كما أن الجمال الذي توفر في غزلياته قد حير المفسرين في شرح هذه الغزليات ، فمن قائل أنه غزل صريح ، الخمر فيه هي الخمر المذهبة للعقل ، والمحبوب فيه هو المحبوب الآدمي الفاني ، ومن قائل بأنه غزل صوفي عرفاني ، الخمر فيه هي الخمر الأزلية التي يديرها الساقي الذي يرشدك إلى طريق الهداية ، حيث يملأ لك الكأس من تعاليمه العالية التي تدفع عنك الضلال والغواية ، وتدفع عنك خمار الليل ، فتجعلك تفيق إلى معشوق جميل ، والله جميل ، وهو كنز مخفي ، وعلى هذا فأصحاب هذا الرأي يرون أن أشعار حافظ لا يجب أن تؤخذ بظاهر ألفاظها ، إذ أن المعاني التي يهدف إليها مستترة

---

(١) أشار إلى روضة المصلى هذه في أشعاره ومنها هذا البيت :

نمى دهند اجازت مرا به سير وسفر   نسيم باد مصلى وآب ركن اباد

وترجمته (لا يسمح لي بالسفر والتنقل ، كل من نسيم المصلى ومياه ركن آباد) .

(وركن آباد هذا نهر بشيراز) .

وراء معاني أخرى أبعد منالاً وأقوى حجّة وأشرف غرضاً . . . لذا قالوا إنه صوفي يسلك مسلك العارفين ويستعمل مصطلحاتهم وعباراتهم ، ولهذه الطائفة مصطلحات وعبارات خاصة بهم يتعذر على الإنسان بدون الاطلاع عليها ، فهم كلامهم وإدراك مرادهم « فحديثهم على ألسنة الطير ، ولا يدرك أسرارهم إلا من كان شبيهاً بسليمان » . [1]

لذا قال أصحاب هذا الرأي : إن الغزل العرفاني بلغ على يد حافظ أعلى درجات الفصاحة والملاحة من جهة ، كما أنه من جهة أخرى ارتدى ثوباً من بساطة خاصة [2] .

ورأى ثالث يقول إن حافظاً خلط في غزلياته الأغراض العاطفية بالمعاني العرفانية فأصبح من السهل تخريج غزلياته على أنها غزل آدمي عادي ، ومن السهل أيضاً تخريجها على أنها معاني صوفية خالصة ، وهذا سر جمال هذه الغزليات ، وسبب هام من أسباب نجاح حافظ كشاعر غزليات مجيد ، بل أنه أصبح يعد أعظم شاعر غزليات أنجبته أرض إيران حتّى يومنا هذا .

وعلى كل حال يمكن تحديد الموضوعات التي تناولها حافظ في غزلياته . بهذه الموضوعات الثلاثة التي عبر عنها الشاه شجاع في حديث له مع حافظ نفسه ، حيث قال له :

« إن غزلياتك لا تجري على منوال واحد ، ولا تصاغ على نمط واحد ، بل كل واحدة منها تشتمل على بعض الأبيات في الشراب ، وبعض الأبيات في التصوف ، والبعض الآخر في وصف الأحبة . . . » [3]

• • •

(١) الدكتور ابراهيم أمين الشواربي : أغاني شيراز .
(٢) محمد محمدي ، ص : ٣١٦ .
(٣) د . ابراهيم أمين الشواربي ، أغاني شيراز ، ج ١ ، ص ٩٠ .

وتبدو أهمية غزليات حافظ وحسن استقبال الناس لها داخل إيران وخارجها ، في كثرة الطبعات التي حظي بها ديوانه . فإلى جانب العديد من الطبعات داخل إيران فقد طبع ثلاث مرات بالقاهرة :

الطبعة الأولى عام ١٢٥٠ هـ حيث طبع بمطبعة بولاق متضمناً ترجمة تركية قام بها سودي التركي ، والطبعة الثانية عام ١٢٥٦ هـ وأخيراً للطبعة الثالثة عام ١٢٨١ هـ وقد حرصت على ذكر هذه الطبعات الثلاث ، لأشير إلى أن المطابع المصرية كانت في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين مهتمة بنشر كتب التراث الفارسي ، حتى قال البعض بأن مجموع ما طبعته مطبعة بولاق من كتب التراث الفارسي أكبر من مجموع ما طبع في جميع مطابع إيران في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي .

وفي الهند حظي هذا الديوان بالعديد من الطبعات فاقت الثلاثين طبعة ، كما قام عدد كبير من الشراح في إيران وتركيا والهند وأوربا بشرح الغزليات والتعليق عليها . كما ترجمت الغزليات ثماني مرات إلى الألمانية وأربع مرات إلى الفرنسية ، وأكثر من عشرين مرة إلى الإنجليزية . ولكنها لم تحظ إلا بترجمة واحدة إلى اللغة العربية قام بها أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أمين الشواربي حيث طبعت في مجلدين عام ١٩٤٣ ، وأعيد طبعها مرة أخرى عام ١٩٤٧م ، ونود أن تتاح الفرصة لإعادة طبعها مرة ثالثة في المستقبل القريب !

• • •

نماذج من غزليات حافظ

١ — دع الدنيا واهملها

ألا يأيها الساقي أدر كأساً وناولها

كه عشق آسان نمود أول ، ولى افتاد مشكلها

ببوی نافه کآخر صبا زآن طره بگشـــاید

زتاب جعد مشکینش چه خون افتاده ده دلها

مرا در منزل جانان چه امن وعیش چون هردم

جرس فریاد میدارد که بر بندید محملهـــا

بمی سجاده رنگین کن گرت پیر مغان گوید

که سالك بیخبر نبود ز راه ورسم منزلهـــا

٥ — شب تاریك وبیم موج وگردا بی چنین‌هائل

کجا دانند حال مـــا سبکباران ساحلها

همه کارم ز خود کافی بید نامی کشید آخر

نهان کی ماند آن رازی کزو سازند محفلهـــا

حضوری گر همه خواهی از وغایب مشو حافظ

متی ما تلق من تهوی دع الدنیـــا واهملهـــا

دع الدنيـــا وأهملهـــا

— ألا أيها الساقي أدر كأساً وناولها
فالعشق يبدو سهلاً في البداية ، ولكن سرعان ما يوقع في المشاكل
— وتلك الرائحة المسكية التي تحملها ريح الصبا
عندما تمر بجدائل شعرها المعطر ، كم تدمي القلوب والأفئدة ! !
— وأنيّ يطيب لنا العيش والسعادة في ديار الأحبة
وفي كل لحظة يتعالى جرس الرحيل قائلاً : هيا اربطوا أحمالكم !
— ولتخضب بالخمر سجادتك . إن يأمرك شيخ المجوس بذلك

إذ أن السالك عديم الخبرة بالطريق ومنازله

— الليل مظلم ، والأمواج عاتية ، والدوامة جد عظيمة
فكيف نتمكن نحن الضعاف من معرفة أين الساحل !
— كل ما أفعله من تلقاء نفسي يدفعني صوب سوء السمعة
فإلام يظل هذا السر الذي يسعى إليه الجميع خافياً ؟
— فإن ترغب في الحضور . فلا تغب عنه يا حافظ
فمتى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهملها .

• • •

٢ — مـــى ومعشوقه

گل دربر ومی در کف ومعشوقه بکام اســـت
سلطان جهانم بچنین روز غـــلام اســـت
گو شمع میارید دریـــن جمع کـــه امشـــب
در مجلس ما ، ماه رخ دوست تمام اســـت
در مذهب ما باده حلال است ولیکـــــن
بی روی تو ای سرو گل اندام حـــرام است
گوشم همه بر قول نی ونغمه ی چنگ است
چشمم همه بر لعل لب وگردش جام است
— در مجلس ما عطر میـــا میز که جان را
هر لحظه ز گیسوی تو خوشبوی مشام است
از چاشنی قنـــد مگـــو هیـــچ وز شکـــر
زانرو که مرا بالب شیرین تو کام است

تا گنج غمت در دل ویرانه مقیم است
پیوسته مرا کنج خرابات مقام است
از ننگ چه گوئی ، که مرا نام ز ننگ است
وز نام چه پرسی ، که مرا ننگ زنام است
میخواره وسر گشته ورندیم ونظر باز
وانکس که چو ما نیست در این شهر کدام است
۱۰ – با محتسبم عیب مگوئید که او نیز
پیوسته چو ما در طلب شراب مدام است
« حافظ » منشین بی می ومعشوقه زمانی
کایام گل ویاسمن وعید صیام است

۱ – الخمر والمعشوقة

– الورود من حولنا ، والكأس في أيدينا والمعشوقة وفق مرادنا
ففي مثل هذا اليوم يكون سلطان الدنيا مجرد تابع لنا
– لتقل : لا تحضروا الشموع إلى هذا الجمع
فالليلة اكتمل بدر تُم الحبيب في مجلسنا
– الخمر في عقيدتي حلال ، ولكنها تصبح حراما
بدون طلعتك أيتها السروية القد
– اذناي مشدودتان دائماً إلى نغمات الناي وألحانه
بينما عيناي معلقتان على تلك الشفتين الياقوتيتين ، ودوران الكأس

– ليفح العطر في مجلسنا ، فإن روحي
تتنسم العطر من ذؤابتيك في كل لحظة
– لا تتحدث عن حلاوة السكر وطلاوته
فكل ما أبغيه هو حلاوة شفتيك
– وما دام كنز غمك كامن في قلبي الخرب
فإنني سأظل مقيماً على الدوام في الخرابات
– أي سوء سمعة تتحدث عنها ، فوجودي وسمعتي من سوء السمعة هذ
وأي حسن سمعة تتحدث عنها ، فسوء سمعتي مستمدة من حسن
السمعة هذه !
– إننا نحتسي الخمر ونثمل ونفسق ، ولكن انظر !
فأي شخص في هذه المدينة لا يفعل فعلنا ؟
– لا تتحدث عن العيوب مع المحتسب ، فهو الآخر
في بحث دائم عن الشراب والخمر مثلنا
– وأنت يا « حافظ » لا تجلس لحظة بدون خمر ومعشوقة
فالأيام هذه أيام الورود والياسمين وعيد الفطر !

٣ – روزگـــار

سر فتنــه دارد دگــر روزگار
من ومستى وفتنه ى چشم يــار
همى ما نم از دور گردون شگفت
ولى نيست در وى مجــال گرفت
فريب جهان قصه ى روشـــن است
سحر تا چه زايد شب آبستـــن است

دلا بر جهـــان دل منـــه زينهـــار
که کس برسر پـــل نگيرد قرار
همان منزل است اين جهـــان خراب
که ديده است ايـــوان افراسيـــاب
نه تنها شد ايوان وكاخش ببـــاد
که کس دخمه اش را ندارد بياد
چو خوش گفت جمشيد با تاج وگنج
که يكجو نيرزد ســـراى سپنـــج

٣ – الفـــلك

– كم يثير الفلك من فتن
يتساوى أمامها السكر وعين الحبيب والمتكلم
– إنني في حيرة دائمة من دوران الفلك
ولكن دون أي جدوى أو نفع
– خداع الدنيا أمر غاية في الوضوح
فمتى ينبلج صبح من ذلك الليل المظلم ؟
– حذار أيها الحبيب أن تأمن جانب الدنيا !
إذ لا يتخذ أي إنسان قراراً وهو واقف على حافة قنطرة !
– أي منزل تكون هذه الدنيا الخربة ؟
وإلا ، فمن ذا رأى إيوان افراسياب ؟
– لم يذهب قصره وإيوانه أدراج الرياح فحسب
بل لم يعد أحد يتذكر سراديبه وطرقاته
– لذا أجمل بما قاله جمشيد مع ما كان له من تاج وكنوز :
إن هذه الدنيا العاهرة لا تساوي حبة شعير واحدة !!

٤ ــ نور باده

ساقی بنور باده بر افروز جام مـــا
مطرب بگو که کار جهان شد بکام ما

ما در پیاله عکس رخ یار دیده ایم
ای بیخبر ز لذت شرب مـــدام مـــا

هرگز نمیرد آنکه دلش زنده شد بعشق
ثبت است بر جریدهٔ عالم دوام ما

چندان بود کرشمه و ناز سهی قدان
کآید بجلوه سرو و صنوبر خرام ما

٥ ــ ای باد اگر بگلشن احباب بگذری
زنهار عرضه ده بر جانان پیام مـــا

گو نام ما ز یاد بعمدا چه میبری
خود آید آنکه یاد نیازی ز نام ما

مستی بچشم شاهد دلبند ما خوشست
ز آنرو سپرده اند بمستی زمام مـــا

ترسم که صرفهٔ نبرد روز باز خواست
نان حلال شیخ ز آب حرام ما

حافظ ز ديده دانهٔ اشكى همى فشان
شايد كه مرغ وصل كند قصد دام ما
١٠ – درياى اخضر فلك وكشتى هـــلال
هستند غرقِ نعمت حاجى قوام مـــا

* * *

ضياء الخمر

الترجمة :

– أضىءْ أيها الساقي بنور الخمر كأسنا
واشدُ أيها المطرب ، فقد أصبحت الدنيا ملكاً لنا

– لقد رأيتُ صورة الحبيب في كأس شرابنا
فاعلم ذلك ، أيها الجاهل بلذة خمرنا !

– من نبض قلبه بالعشق ، حيٌّ على الدوام
لذا ثبت وجودنا الدائم في صحف العالم

– إلام تدوم هذه النظرة الفاترة ، وتلك القامة الهيفاء ؟
وقد أقبلت علينا تلك الشبيهة بالسرو والصنوبرة في اختيال ودلال

٥ – أيتها الريح ، إن مررت بروضة الأحباب
فكوني يقظة ، واعرضي رسالتي على الأصحاب

– وقولي – لها – لماذا تتعمدين إسقاط اسمي من ذاكرتك
فسيأتي وقت يسقط فيه اسمي من تلقاء نفسه !!

– كم يحلو السكر والشراب أمام عينيّ معشوقي الناعستين
لذا تُرِك لي العنان للسكر والعربدة .

– إنني أخشى ألا يفضل في يوم القيامة

خبزُ الشيخ الحلالُ ، شرابَنا الحرامَ

– لتسكب – يا « حافظ » – حبة دمع واحدة من عينك

لعل طائر الوصل يتجه صوب شباكك

١٠ – إن بحر الفلك الأخضر ، والهلال السابح في الفضاء

كلاهما غريقاً نعم الحاج قوام الدين.[1]

★ ★ ★

---

١ – هو حاجي قوام الدين حسن وزير أبي اسحق اينجو حاكم شيراز المتوفى عام ٧٥٤ هـ ، وقد كان حافظ الشيرازي يقدم – كعادة الشعراء في عصره – إنتاجه الشعري إلى عظماء عصره ، وبخاصة من يأمل الشعراء في عطاياهم وكرمهم . انظر أغاني شيراز ج ١ ، هامش ص ٥٨ .

۵ – ماهِ حُسن

اي فروغ ماه حسن از روی رخشان شما
آبروی خوبی از چاه زنخـدان شمـا

عزم دیدار تو دارد جان بر لب آمده
باز گردد یا بر آید چیست فرمان شما

کس بدور نرگست طرفی نبست از عافیت
به که نفروشند مستوری بمستان شما

بخت خواب آلود ما بیدار خواهد شد مگر
زانکه زد بردیده آبی روی رخشان شما

با صبا همراه بفرست از رخت گلدسته
بو که بوئی بشنویم از خاك بستان شما

عمرتان باد و مدام ای ساقیان بزم جم
گر چه جام ما نشد پرمیْ بدوران شما

دل خرابی میکند دلدار را آگه کنید
زینهار ای دوستان جان من و جان شما

کی دهد دست این غرض یارب که همدستان شوند
خاطر مجموع ما زلف پریشان شمـا

دور دار از خاك و خون دامن چو بر ما بگذری
کاندرین ره کشته بسیارند قربان شما

١٠ ـ ميكند حافظ دعائى بشنو آمين بگو
روزى ما باد لعل شكر افشان شما

★ ★ ★

بدر الحسن

الترجمة :

ـ يا من يستمد ضياءُ القمر حسنَه من وجهك الوضاء
ويا من يستمد ماءُ الحسن جمالَه من غمزاتك ذات البهاء

ـ لقد تراقصت روحي على شفتي أملاً في رؤيتك
فبم تأمر ، فهل ترجع إلى مستقرها ، أم تولي الفرار ؟

ـ لقد سلبت نرجسة عينك الراحة والعافية من الجميع
لذا من الأفضل ألا يباع العفاف إلى من هم سكارى حبك

ـ وبما يفيق حظي الغافي من سباته
إذا ما سطع ماء حسنك المشرق أمام عيني

٥ ـ لترسل مع ريح الصبا باقة من ورود وجهك
لعلنا نتنسم رائحة تراب العطرة روضتك

ـ لتطل أعماركم على الدوام يا سقاة محفل جمشيد[1]

---

١ ـ أشهر ملوك الدولة الأسطورية المسماة بالبيشدادية ، حيث بلغت الدولة عظمتها وأوجها على أيامه ، واستطاع أن يسيطر على ربوع الدنيا كلها ، وكان له كأس ينظر فيه فيرى جنبات العالم كله وقد خدع بما ملك فادعى الألوهية وتكبر وتجبر حتى ضاق به الناس ذرعا ، واستطاع ملك حميري يقال له الضحاك التغلب عليه وتقويض دعائم ملكه ، ... انظر تاريخ الطبري وابن الاثير والشاهنامة وغيرها من الكتب التي عنيت بدراسة التاريخ الأسطوري لإيران القديمة .

على الرغم من أن كئوسنا لم تملأ على عهدكم

– لتخبروا الحبيب بأن القلب نهب للخراب والدمار

وكم يليق بالأحبة أن يحافظوا على الأرواح

– متى تتحقق – يا إلهي – هذه الأمنية

وهي اتحاد خاطري المجموع بذوائبك المبعثرة !

– ولترفع – إن مررت بنا – أذيالك عن التراب والدماء

إذ ما أكثر القتلى في هذه الطريق ، وقد كانوا قرباناً لك .

١٠ – إن «حافظاً» يداوم الدعاء والابتهال ، فاستمع إليه ، وأمّن على دعائه حينما يقول : ليكن زادنا على الدوام شفتك الناثرة للسكر !!

* * *

٦ ــ سوی میخانه

دوش از مسجد سوی میخانه آمد پیر ما
چیست یاران طریقت بعد ازین تدبیر ما

ما مریدان روی سوی قبله چون آریم چون
روی سوی خانهٔ خمار دارد پیر ما

در خراباتِ طریقت ما بهم منزل شویم
کاین چُنین رفتست در عهد ازل تقدیر ما

عقل اگر داند که دل در بند زلفت چون خوشست
عاقلان دیوانه گردند از پی زنجیر ما

۵ ــ روی خوبت آیتی از لطف بر ما کشف کرد
زان زمان جز لطف و خوبی نیست در تفسیر ما

بادل سنگینت آیا هیچ در گیرد شبی
آه آتشناك وسوز سینهٔ شبگیر ما

تیر آه ز گردون بگذرد ، جانا خموش
رحم کن ، بر جان خود پرهیز کن از تیر ما

★ ★ ★

صوب الحانة

الترجمة :

– توجه شيخنا البارحة من المسجد صوب الحانة
فأي تدبير نقدم عليه بعد هذا يارفاق الطريقة ؟

– وكيف نتجه صوب القبلة نحن المريدين
وقد توجه شيخنا نحو حانة الخمار والفاسقين ؟

– إننا رفاق في «خرابات» الطريقة
وهذا قدرنا منذ الأزل والتقدير

– إن يدرك العقل كم يكون القلب مسروراً وهو قيد ذؤابتك
لتملك الجنونُ العقلاءَ أملاً في قيد طرتك

٥ – لقد كشف لنا وجه حسنك آية من لطفك
لذا لم يعد في تفسيرنا غير لطفك وحسنك

– هل تؤثر ذات ليلة في قلبك الحجري الصامد
آهاتي المتقدة ، ونار صدري المتأججة ؟

– لقد تخطى سهم آهاتي الأفلاك ، فالزم الصمت أيها الحبيب
وترفق بروحك واحفظها بعيدة عن مرمى سهامي !!

★ ★ ★

وهذه ترجمة منظومة لهذه الغزلية ، قام بنظمها أستاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي ، في كتابه أغاني شيراز الجزء الأول .

صلاة الأمس أداها ، وولَّى نحو حانات
رفاق العمر ! قولوا لي: أفيما كان تدبير ؟

فإنا من مريديه ، فكيف الآن نتلوه ؟
وسعي (الشيخ) للخمار والحانات مقصور ؟

وإنا من محبيه وتحوينــا (خرابــات)
ومن عهد مضى بعداً ، جرى في ذاك تقدير

ولو يدري الأولى لاموا ، بطيب الحال في قيدي
لجنوا رغبة سعيــاً لقيدي وهو زنجــير

وذاك الوجه من نور بدا في حسنه آيــاً
هي الحسن ، وما فيها لغير الحسن تفسير

وأما قلبه العاتي ، فما لانت نواصيــه
بأنّاتي وقد أمسى لها في الليل تسعــير

فباعد آهة المحزون واحذرها لكي تمضي
إلى الأفلاك بالشكوى ، وهل للأمر تغيير ؟

* * *

۷ – دل میرود ز دستم

دل میرود ز دستم صاحبدلان خدا را
دردا که راز پنهان خواهد شد اشکارا

کشتی شکستگانیم ای باد شرطه برخیـــز
باشد که باز بینم دیدار آشنا را

ده روزه مهر گردون افسانه است افسون
نیکی بجای یاران فرصت شمار یارا

در حلقهٔ گل و مل خوش خواند دوش بلبل
هات الصبوح هبوا یا ایها السکارا

۵ – ای صاحب کرامت شکرانـــهٔ سلامت
روزی تفقدی کن درویش بینوا را

آسایش دو گیتی تفسیر این دو حرفست
با دوستان مروت با دشمنان مدارا

در کوی نیکنامی ما را گذر ندادند
گر تو نمی پسندی تغییر کن قضا را

آن تلخوش که صوفی ام الخبائثش خواند
أشهی لنا وأحلی من قبلة العــذارا

هنگام تنگدستی در عیش کوش ومستی
کاین کیمیای هستی قارون کند گدا را

۱۰ ـ سرکش مشو که چون شمع از غیرتت بسوزد
دلبر که در کف او مومست سنگ خارا

خوبان پارسی گو بخشندگان عمرند
ساقی بده بشارت رندان پارسا را

حافظ بخود نپوشید این خرقهٔ میْ آلود
ای شیخ پاك دامن معذور دار ما را

* * *

ضاع مني القلب

الترجمة :

ـ أيها الأحباب ، إن قلبي يضيع من يدي ، فاقه لنا !
وكم أخشى أن يصبح سري الدفين جهاراً عياناً !

ـ لتهبي أيتها الريح النشطة ، وحركي سفينتنا المحطمة .
لعلنا نحظى برؤية الحبيب مرة ثانية .

ـ وا أسفاه ، إن التعلق بأذيال الفلك لا يدوم أكثر من عشرة أيام
لذا أعتبر القرب من الأحبة مغنما ، وأي مغنم!

ـ ما أجمل نواح البلبل البارحة في حلقة الورود والشراب
وهو يردد : هات الصبوح ، هبوا يا أيها السكارى !

٥ ـ يا صاحب الكرامة ، مع أن لك الشكر بالسلامة
لتتفقد ذات يوم ذلك الدرويش المسكين

ـ راحة الدنيا كامنة في تفسير كلمتين اثنتين

هما : المروءة مع الأصدقاء ، والمداراة مع الأعداء

– لقد حُرمنا سلوكَ طريق الاستقامة وحسن السمعة
وإن لم يرق لك ذلك ، فلتغير القضاء ، إن استطعت ! !

– إن هذه (الخمر) المرة المذاق ، التي أسماها الصوفي أم الخبائث
أشهى لنا وأحلى من قبلة العذارى .

– ذلك لأنها في زمن الشدة والفقر والسكر
تحيل المسكين الفقير أغنى من قارون !

١٠ – لا تكن عنيداً ، فسرعان ما يحرقك الحبيب كالشمعة ، مما بك من غيرة

فالحبيب قادر على جعل الحجر الصلد شمعا لينا !

– إن الحسان الناطقات بالفارسية يهبن طول العمر

فبشّر بذلك أيها الساقي كلاً من المعربدين والأطهار

– لم يرتَدِ «حافظ» بنفسه هذه الخرقة المبللة بالخمر
فالتمس لنا – أيها الشيخ الطاهر – العذر..

★ ★ ★

۸ – رحم کن بر غریب

– گفتم ای سلطان خوبان رحم کن بر این غریب
گفت در دنبال دل ره گم کند مسکین غریب

– گفتمش مگذر زمانی ، گفت معذورم بـــدار
خانه پروردی چه تاب آرد غم چندین غریب

– خفته بر سنجاب شاهی نازنینی را چـــه غـــم
گر خار و خاره سازد بستر و بالین غریب

– ای که در زنجیر زلفت جای چندین آشناست
خوش فتاد آن خال مشکین بر رخ رنگین غریب

– مینماید عکس می در رنگ روی مهوشـــت
همچو برگ ارغوان بر صفحهٔ نسرین غریب

– بس غریب افتاده است آن مور خط گرد رخت
گر چه نبود در نگارستان خط مشکین غریب

– گفتم ای شام غریبان طرهٔ شبرنگ تـــو
در سحرگاهان حذر کن چون بنالد این غریب

– گفت حافظ آشنایان در مقام حیرتنــــد
دور نبود گر نشیند خسته و مسکین غریب

* * *

رحمةً بالغريب

الترجمة :

– قلت : يا سلطان الحسان لترحم هذا الغريب
قال : كم يضل في إثر الهوى كل مسكين غريب !!

– قلت : لا تفارقنا ، وابق فترة ! قال : لتلتمس لي عذرا !
إن من تربى في الدور ، أنىّ له الإحساس بهموم الغريب ؟

– ومن نام على بساط سنجابي مدللاً معززا ، كيف يعتريه الغم
إذا كان فراش الغريب من أشواك وحصى ؟

– يا من وقع الكثيرون من الأصحاب أسرى قيد طرتك
ما أبهى خالك الأسود على خدك الشبيه بالورد الأحمر الوحشي !

– إذا ما تراءت الخمر أمام وجهك القمري
فإنها تبدو كورقة أرغوان على صفحة نسرين

– وكم يبدو غريباً ذلك الخط النحيل حول خديك
مع أن الخط الأسود لا يكون هكذا غريباً في معرض الصور !

– قلت : يا من ليل الغرباء ماثل في سواد طرتك
الحذر الحذر ، إن بكى هذا الغريب وقت السحر

– قال : يا « حافظ » ، الأصحاب أنفسهم في مقام الحيرة ،
لذا ليس غريباً أن يظل ذلك المسكين نهب المشقة والمسكنة !!

* * *

ترجمة منظومة لأستاذنا المرحوم الدكتور ابراهيم أمين الشواربي :

قلت يا سلطان قلبي ، كن رحيماً بالغريب
قال : في إثر الهوى ، قد يشرد الساري الغريب

قلت : قف عندي رويداً ! قال : دعني واختياري
لست في نُعمى أشتكي لوم الغريب

قد جعلتُ الفرو فرشاً ، واتخذت الكون عرشاً
لست أرثي لو تغطى بالحصى ذاك الغريب

قلت : قلبي قد تردى في افتتـــان وتمني
وبحسن الحال غنى ، قال : يا نعم الغريب

٥ ـ خده الخمري يبدو ، بعد كأس قد حساها
مثل لون الأرغوان ، فوق نسرين غريب

وغريب كيف يبدو ، ذلك الخط نحيــلاً
وجميلاً وهو لا يبدو على الرسم غريب

قد قضيت الليل حزناً ، في حنين واصطبار
فاخش ، دمعي يا حبيبي في الدجى يبكي الغريب

قال لي سراً وهمساً : حيرة الأصحاب كبرى
ليس شيئاً ما رأيت ، قد دها ذاك الغريب !

۹ – شب قدری

آن شب قدری که گویند اهل خلوت امشبست
یا رب این تأثیر دولت در کـدامین کوکبست

تابگیسوی تو دست نا سزایان کـم رسـد
هر دلی از حلقهٔ در ذکر یارب یا ربست

کشتهٔ چاه زنخدان تؤم کز هر طرف
صد هزارش گردن جان زیر طوق غبغبست

شهسوار من که مه آیینه دار روی اوست
تاج خورشید بلندش خاك نعل مرکبسـت

عکس خوی بر عارضش بین کآفتاب گرم رو
در هوای آن عرق تاهست هر روزش تبسـت

من نخواهم کرد ترك لعل یار و جام میْ
زاهدان معذور داریدم که ایـنم مـذهبست

اندر آن ساعت که برپشت صبا بندند زین
با سلیمان چون برانم من که مورم مرکبست

آنکه ناوك بر دل من زیر چشمی میزند
قوت جان حافظش در خنـدهٔ زیر لبست

★ ★ ★

الترجمة :

ـ يقول أهل الخلوة ، إن الليلة ليلة القدر
فيارب : في أي كوكب يكون تأثيرها السعيد !!

ـ وحتى تقصر أيدي المنكرين من الوصول إلى طرتك
فإن كل قلب في الحلقة يردد في الأذكار قولة « يا رب » !

ـ إنني قتيل طابع الحسن العميق لديك
كما أرى حولك آلاف الأرواح صرعى جمال جيدك

ـ فارسي من يقف القمر حاملاً مرآة أمام وجهه
ومن يصبح تاج الشمس العالية موطئاً لنعاله

ـ انتبه إلى ما يعلو عارضه من ضياء وبريق ، حتى أن الشمس المتقدة
قد زاد أوارها ولهيبها في كل يوم ، أملاً في وصاله وبهاه

ـ لذا إن لم أتخلّ عن شفة الحبيب الياقوتية وكأس الخمر
فالتمسوا أيها الزهاد لي العذر ، فقد أصبح هذا مذهبي واعتقادي

ـ وأنّى لي مرافقة سليمان ، وقد امتطى صهوة جواد الصبا
أما أنا فقد اتخذت من النملة لي مركباً

ـ وذلك الذي يطلق سهام عينيه خلسة ليردي قلبي
قادر على إحياء روح « حافظ » ببسمة من شفتيه !

★ ★ ★

الفهرست

الفهرس

صفحة

صفحة

القسم الثاني

من روائع الشعر الفارسي